تموز (يوليو) ١٩٨٣ - رمضان ١٤٠٣

المختار

من ريدرز دايجست

أسرار الوحدة ١٥
الهندسة الوراثية ٣٠
تحذير الى المدخنات ٣٦
الربوط: انشط العمال ٣٩
الغزالة النروجية ٤٣
الابن سر ابيه ٤٨
اعصار في الاطلسي ٦٠
الرحلة الكبرى ٦٨
نساء في عالم الرجال ٧٤
٧ تمارين للذقن المزدوج ٧٩
البذلة السعيدة ٨٣

سبع درجات بين الذكاء والعبقرية

(ص ٢٦)

هل يعود الدولار الى الذهب؟

(ص ٤٠)

القائد الاعمى ٨٦
دعوها تطير ٩٣
حبيب الملايين ٩٨
قاهر العصابات ١٠٤
جوزفين ١٠٩
الجدار العظيم (كتاب الشهر) ١١٥
غابة يوليو ٦
هبة نادرة ١١

اكتب واربح ١ - حكايات ٩ - حديقة افكار ٣٥ - الطب ٧٧ -
الضحك ٩٧ - دائرة المعارف ١١٣ - القسيمة ١٣٦ - تأملات ١٤٣

الحثيون في أنقرة

(ص ٥٠)

لبنان ٦٠٠ق - سورية ٧٠٠ق - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - اليمن ٨ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest July 83 Nº 56

أمّنوا لأولادِكم نُموًّا صحيحًا

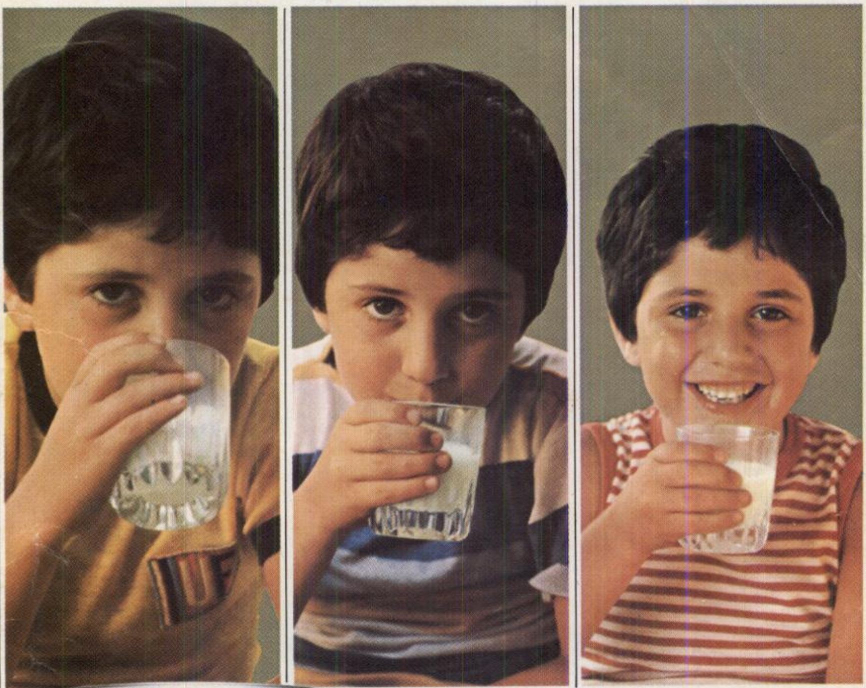

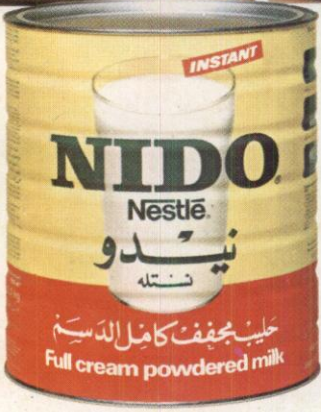

نيدو السريع الذوبان هو حليبٌ كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًّا متكاملاً. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلاتٍ مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار.

نيدو السريع الذوبان

ليَنموَ اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله

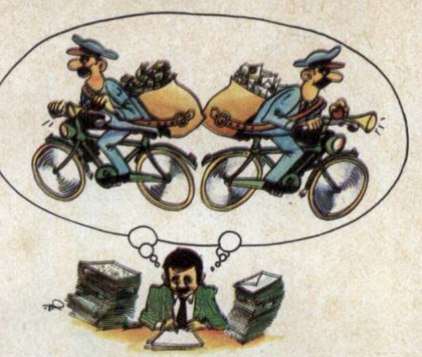

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:
مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

TC-AL26
نقدم لكم مجموعة "الفا" α
بُعد جديد كليّا في عالم التلفزيون
مجموعة "الفا" α فريدة من نوعها. قدرة الشاشة على تحليل الالوان تؤمن لكم صورة فائقة. والجهاز مزود داخليا بجهاز استقبال لانظمة "بال وسيكام" و"ان.في.اس.سي ٤٤٤ ٣٥٨": ما عليك سوى تشغيل الجهاز لتبدأ اشارات التلفزيون بالانتقال مباشرة من جهاز الفيديو الى جهاز التلفزيون متجنبة كليا عملية المرور بجهاز الإستقبال والهوائي لتعطيك صورة اكثر وضوحا وبراقة من اي جهاز آخر. مكبر مزدوج للاصوات المنخفضة التردد مبني داخليا ومكبر مزدوج للاصوات العالية التردد مركب في اعلى الجهاز وقابل للتفصل يجعلان صوت مجموعة "الفا" α مماثلا لصورتها. وللحصول على صوت فائق، الجهاز مزود بمحطات لوصل اجهزة الستريو مباشرة بجهاز التلفزيون.
رمز الثقة
National
ناشيونال

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير ــ المدير المسؤول: ادمون صعب ·
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري ·

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: ادوار ت · طومسون · مدير التحرير: آلان دوليرو. المدير العام: جون ا· اوهارا ·

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ــ باريس · الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية ــ بيروت ·الخدمات الصحافية: شركة النهار ش·ت·م·ل· بيروت · التحرير: شارع روما، بناية هاشم · ص·ب· ٤٤٢ ــ ١١ التلكس ANAHAR 22322 LE بيروت · التلفون ٣٤٠٥٥٦ · الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص·ب· ٨٧٠٧ ــ ١١ · التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ــ ٣٤٥٧٣١ ·

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت · الطباعة: سيكو، بيروت ــ لبنان· التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية ·

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة · يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان، جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى · وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية · وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الوردة البيضاء (ايف غان ــ فرنسا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
July 83 Nº 56 (New Series) Vol. 5

© 1983 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة ·

الإحتفال بخمسين عاماً من الانجازات

خلال خمسين عاماً أصبحنا إحدى أكبر ثلاث شركات لصناعة السيارات في العالم.
إنه لشيء يستحق الاحتفال.
وهذا ما يؤكده جميع العلماء والمهندسين والفنيين في شركة نيسان. لأنهم ينتمون إلى تقاليد الجودة والابتكار التي حسنت الكثير من حياة ملايين الناس.
إن السعي وراء التفوق هو الذي نقلنا من النجاح المتواضع لأولى موديلاتنا عام ١٩٣٢ إلى الانتصار الباهر لسيارات هذا العام. واليوم هنالك ما يقارب من ٥٠ موديلاً لسيارات نيسان تصنع لـ ١٢٨ بلداً في القارات الست، حيث نوصل الناس إلى المعرفة والثقة بسياراتنا وشاحناتنا ووكلائنا وشبكة خدماتنا.
والسبب في ذلك هو الاسم المجرب والمختبر... نيسان.

NISSAN نيسان

لقد اخترنا أن نكون في المقدمة

نيسان
داتسون

غابة يوليو

وصف شاعري لاجواء الصيف دونه الكاتب ادوين واي تيل الحائز جائزة بوليتزر

الأول مــن يوليــو (تمــوز) • عندما يـُقبل يوليو يبلغ الصيف الذرى وتحل ايام لاهبة يغلفها ضباب شفاف• يزحف العشب من الحقول وتتداعى الزرازير والشحارير لتتجمع اسراباً في المراعي الفسيحة•

يتطلع يوليو الى الغد والى ما فات• فحينما نرى العصافير تتدافع افواجاً نلمح اولى تباشير الخريف ويخالجنا احساس الشاعر الامريكي هنري ثورو عندما كتب مرة: "باكراً جداً يبدأ الوقت المتقدم من السنة!" ومع ذلك ففي كل مكان نرى ما يشهد ان الربيع ما زال هنا• فنحن

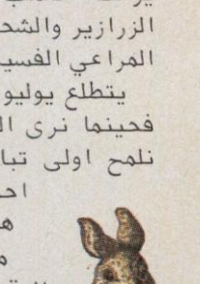

لا نزال نعيش ايام الاشياء الصغيرة: الارانب الصغيـرة تقضـم عشـب الـمـروج، شجيرات نبتت حديثاً تجهد نامية الى العلى، ضفادع لم تكتمل بعد تندفع على حافة البحيرة• حقاً، لا نزال نعيش تجدد شباب الطبيعة•

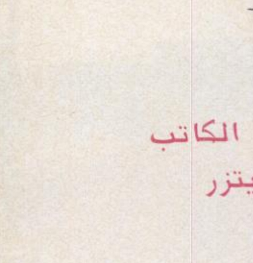

الرابع من يوليو• مع حر الصباح ارقب نحلة طنانة تحوّم فوق اعشاب المرج المتشابكة• تصطدم بساق نبتة فتتعثر وسط الوريقات الهيفاء ثم تنطلق حرة من جديد•

Condensed from «A Walk Through the Year,» copyright
(c) 1978 by Edwin Way Teale, published by Dodd, Mead & Co., New York, N.Y.

في تجوالي اسبر الاعماق. اقلب الوريقات واتتبع خربشات رواد الخضرة. ابتهج لرؤية الاجساد الصغيرة الطائرة المتنوعة الاشكال والالوان. اتوقف لاتتبع طيران فراشة تترنح في الفضاء تحت الشمس، ثم اجد يعسوباً متشحاً بألوان معدنية جذابة يستدفىء على الجدران العتيقة. واعثر على مجموعة بيض بدأت تخرج منها مخلوقات صغيرة كاسرة، وحول ساق عشبة اقع على حشد من اليرقات المحمرة كالكرز. اتأمل النحل المخطط وهو يحط الرحال على ازهار السوسن السوداء العيون ثم يحوم برشاقة ليجمع اللقاح. هذي هي اخبار البراري.

التاسع من يوليو. بعد ظهر هذا اليوم المشوب بالسكون تهادت غيوم صغيرة مندوفة على مدى الافق الغربي. وتدافعت منها جبال بخار غيرت اشكالها وارتفعت كالمظلات في اتجاه السماء. ثم نحو الساعة الرابعة تحس كأن تياراً مرّ فغير الهواء، وتحدق بك السماء وقد مازجت زرقتها مسحة اسوداد.

اجلس وزوجتي على سلم منزلنا نرقب العاصفة وهي تتدحرج نحونا. وراء الافق خفقات برق تومض وتموت بصمت. ثم تنتشر عبر الحقول تلك الومضات المميزة التي تنذر عادة بعاصفة صيفية. وتعلو همهمات الرعد وتكبر شرارات البرق وتزداد لمعاناً وقرباً. ثم تهب ريح غربية وتتكسر اولى قطرات المطر الكبيرة على اغصان الليلك وتبقع التراب تحتها.

ومن داخل المنزل نرقب الفيض الغزير يكتسح الحقول، ونعاين شهقات الهواء في الاشجار فتتباعد اوراقها وتتدافع نزولا مع الريح. الرعد في جلبة حولنا، وتستمر العاصفة في زخم لا ينثني طوال نصف ساعة او اكثر.

اخيراً يرحل الرعد شرقاً عبر التلال وينحسر السواد وتهدأ الريح وتتوقف الامطار. فتنفرج سماء الغرب ونخرج الى فناء منزلنا المفعم باصوات الماء المتساقط نستطلع ما افسدته العاصفة.

السادس عشر من يوليو. اذ اسير عبر ممرات الغابة الحظ تغيرات الطبيعة التي حلت مع اواسط يوليو. فقد غابت ازهار الحوض البيضاء الحمامية وذرت الزنابق البرية بذورها. وتحت النباتات الشوكية المجدولة افترشت الارض ازهار يابسة. ها هو الزرياب (ابو زريق) يعود بعد غيبة وجيزة بنى فيها عشه، وبدأت اناشيد زيزان الحصاد تمخر هواء الصيف الساخن كأنها المنشار. أما نمس البراري الذي كبر الآن فقد عاد يطلق صفرات حادة تنتهي بكركرة ثاقبة. الصيف يحث الخطى.

العشرون من يوليو. مع الغسق تطالعنا حمرة السوسن العميقة. نجد حباحباً (سراج ليل) متشبثاً بقفا

وريقة، سراجه مطفأ وهو يغط في نوم عميق. نشتم اريج شوك البراري الارجواني العسلي الشذا. هكذا نمضي سحابة نهارنا نتمتع باشياء لطيفة صغيرة، انما غير تافهة. لأنها اشياء تدوم. هي جزء من دورة طبيعية بسيطة لكنها راسخة لا تقهر ولا يحدها زمان، تلك التي قال عنها الشاعر البريطاني توماس هاردي انها سوف "تستمر الى ما لا نهاية بينما سلالات من الملوك تحكم وتزول."

الثاني والعشرون من يوليو. حرارة الشمس وغياب القمر والغروب والليالي الساكنة: أزلية هي تغيرات الطبيعة. تدفق النسغ في عروق الشجر وتبرعم الاوراق وتفتح الزهر تبلغ أوجها مع ينوع الثمر.

اراني هذه الايام اسير بتؤدة عبر ممرات الغابة الضيقة. ومن المساحات المكشوفة ألملم حفنات من التوت البري الذي ما ان تمسه حتى يهوي عن اغصانه. اقطف من هنا ورقة غار وارتشف الرحيق النازف من عنقها. واكسر غصناً من شجرة بتولا عابقة برائحة عطر.

السادس والعشرون من يوليو. فجأة، عند حافة دغل الخوخ البري المحاذي للفناء وعبر حمرة الشفق، تتراءى لنا عشيرة من الثعالب. ونعاين ثلاثة جراء وهي تعبث كالهررة على المرج الاخضر، يطارد واحدها الآخر فتقفز ثم تتراكض في دوائر وتتدحرج لتنهض من جديد.

التاسع والعشرون من يوليو. يقودك خيط نحيف من آثار القوائم عبر العشب المكلل بالندى، وكأنه خاتم اخضر مرّ على بساط مديد من الفضة. من هنا عبر مخلوق صغير - ربما فأر حقول - مخلفاً وراءه خطاً طويلا عبر قطرات الندى التي تلمع تحت الشمس ساعة شروقها. انظر خلفي. ها آثاري قد سجلت تراوحي عبر جمال الفجر.

واحدج الشمس بنظرة خاطفة فأرى اقواس قزح صغيرة تشع عبر شباك بسطتها العناكب على العشب الاخضر، وتتيه فيها اضواء حمراء وزرقاء وخضراء براقة.

حيثما حللنا في عالم المرئيات يحف بنا الجمال متجلياً في اشكال لا تحصى. وقد عبر شاعر الهند رابندرانات طاغور عن احساسه بهذا الجمال اللامتناهي قائلا: "حين اغادر هاهنا، فلتكن كلمة وداعي ان لا شيء ابداً يمكن ان يفوق ما رأيت."

■ **ادوين واي تيل**

الجمال بلا فضيلة يشبه منزلا من غير باب وسفينة من دون ريح وربيعاً لا ماء فيه.

مثل ايطالي

حكاياتٌ مِنَ العَالَم

مكسيكو تصبح بلداً

في العام ١٩٠٠ كان قليلا عدد المدن التي تفوق المليون بسكانها. لكنّ هذا العدد سيغدو بضع مئات في العام ٢٠٠٠، ومنه أسماء غريبة مثل أوغبوموشو وأيلورين في نيجيريا وكانانغا في زائير.

واذا صحّت توقعات التقرير السكّاني الذي نشرته الامم المتحدة عام ١٩٨٠، فإن ٦٦ مدينة في الصين وحدها سوف يتجاوز عدد سكان الواحدة منها المليون مع بداية القرن الجديد. وستكون مكسيكو أكبر مدن العالم بسكانها البالغ عددهم ٣١ مليوناً. أما العدد الاجمالي لسكان العالم فسيبلغ ستة مليارات ومئتي مليون، ويكون نصفهم في المدن. وفي العام ١٩٠٠، عندما كان عدد سكان العالم ملياراً و٦٠٠ مليون نسمة، كان واحد في المئة يعيش في المدينة.

صحيفة "باريد"

الفرنك القديم

لا شيء يدل على تمسك الفرنسيين بالماضي أكثر من أنجاز حساباتهم المالية بالفرنك القديم بعد مرور أكثر من عشرين سنة على الغاء وأعتماد الفرنك الجديد. لكنّ العدد منهم غيّر رأيه بعد قرار أصدرته محكمة في مدينة نيس في مارس (آذار) ١٩٧٩، اذ رفضت أستئناف دعوى تقدم بها مدير شركة للادوات الكهربائية طالباً الغاء مفعول حوالة بقيمة ٧٥ الف فرنك أعطاها الى البستاني الذي يعمل في حديقة منزله.

والواقع أن المدير السيء الحظّ أراد دفع ٧٥٠٠ فرنك. لكن تفكيره بالفرنك القديم جعله يكتب ٧٥ الفاً. ورفض البستاني أن يعيد الفرق الى سيده، مدعياً أنه خسر معظم المبلغ على طاولة القمار.

وحكمت المحكمة بأن البستاني لم يقترف أي جرم مخالف للقانون، وقضت بشرعية الحوالة.

صحيفة "الفال تايمس"، لندن

أرنست همنغواي الكوبي

في أكشاك بيع الصحف في كوبا، يفوق عدد صور الروائي الاميركي الراحل أرنست همنغواي، الفائز جائزة نوبل للادب الذي عاش هناك، عدد صور الرئيس الكوبي فيدل كاسترو.

ل.م.ب.

كيف تتقدم الفيلم وتقرأ مقياس الإضاءة وتشغل الفلاش وتضبط الكاميرا وتلتقط الصورة... في خلال ثانية

كل ما عليك هو الضغط على الزر!

ربما فاتك التقاط الكثير من الصور فق الآن من السهل التقاطها بواسطة كاميرا كوداك ديسك التي تنوب عنك فيما عدا الضغط على الزر. في كل مرة تلتقط صورة تحلل كاميرا ديسك الضوء. وتشغل الفلاش أو توقفه أوتوماتيكياً حسب الحاجة كي تكون جاهزة لإضاءة الفلاش من جديد خلال ١,٢ ثانية. ليس هناك كاميرا أخرى بفلاش داخلي تقوم بكل ذلك.

التصوير الفوتوغرافي على الديسك من كوداك أسهل الطرق لالتقاط الصور الجيدة. زوروا محلات بيع آلات التصوير اليوم واطلبوا مشاهدة عرض الكاميرا.

Kodak

ديسك

التصوير توغرافي على الديسك من كوداك
كل ما عليك هو الضغط على الزر.

هِبَة نادرة

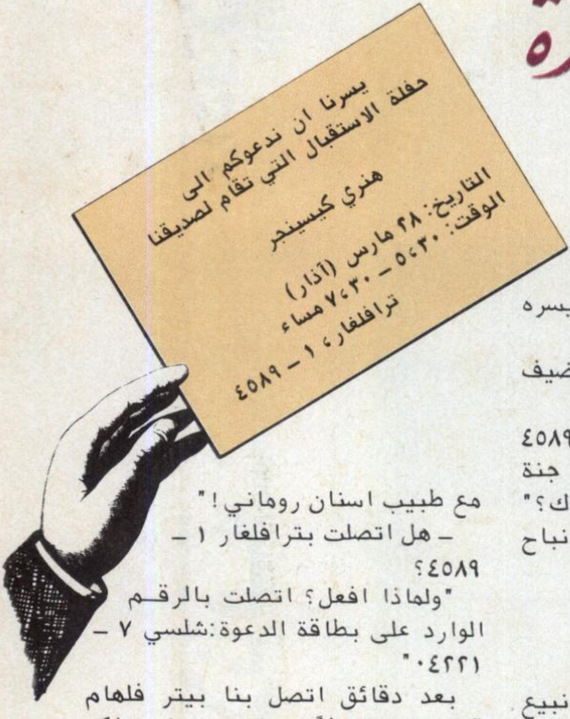

حمل الينا البريد
ذات صباح الدعوة الآتية:

قالت زوجتي: "من ذا الذي يسره ان يدعونا؟"

قلبت الظرف فلم اجد اسم المضيف ولا عنوانه. انه لأمر غريب.

واتصلت بترافلغار ١ – ٤٥٨٩ فاجاب صوت اجش: "هنا جنة الحيوانات هل يمكنني ان اساعدك؟" وتناهى الى سمعي صوت ببغاء ونباح جرو.

– اهنا ترافلغار ١ – ٤٥٨٩؟

"نعم."

– امتأكد انت من ذلك؟

"بالطبع انا متأكد. نحن نبيع الحيوانات هنا منذ اربع عشرة سنة!"

– اني آسف.

واقفلت الخط. وبعد قليل رن الهاتف. كانت صديقتنا مارجوري سلون التي بادرتني: "هل تلقيت دعوة الى... حسناً! لقد اغفل صاحب الدعوة ذكر اسمه فاتصلت بالرقم المذكور على البطاقة واذا بي اتحدث مع طبيب اسنان روماني!"

– هل اتصلت بترافلغار ١ – ٤٥٨٩؟

"ولماذا افعل؟ اتصلت بالرقم الوارد على بطاقة الدعوة: شلسي ٧ – ٤٢٢١."

بعد دقائق اتصل بنا بيتر فلهام قائلا ان مضيفاً احمق نسي ان يذكر اسمه على بطاقة دعوة الى حفلة استقبال تقام تكريماً لهنري كيسينجر، وعندما اتصل بالرقم المذكور على البطاقة ردت سيدة تدعى سول كمنسكي وتملك مصبغة.

فجأة لمعت في ذهني فكرة طربت لها فقلت: "بيتر! انها مزحة. لا وجود

مقياسُ الأناقة
RADO رادو
DIASTAR
Mod. dép.

لحفلة استقبال. من تظنه يحوك لعبة كهذه؟ احزر. صح! سكولي!" وادرت رقم سكولي غير المسجل في دليل الهاتف.

اجاب كبير الخدم: "هنا منزل ورثنغتون."

- باركر، اخبرني، هل السيد ورثنغتون موجود؟

"كلا يا سيدي، انه في سوثباي."

- ارجو ان تعلمه اننا سنحيي حفلة كبرى في الرابع من مارس (آذار) تكريماً لصديقنا العزيز الستر كوك. اما رفيقة السيد ورثنغتون في العشاء فستكون الممثلة لورين باكال. ارجو ان تذكره بالرد على الدعوة على الرقم... (وقلبت الصفحات الصفراء) ... لكسنغتون ٢ - ٩٥٧٣٠.

"حسناً يا سيدي، ولكن ايمكنني ان اسأل عمن يتكلم؟"

- بالطبع يمكنك ذلك.

واقفلت الخط.

رهان خاسر - قابلت سكولي للمرة الاولى في منزل آل موناهان. يومئذ قالت جيل وعيناها تومضان: "اقدم لك شولر ايمس ورثنغتون."

وقال الرجل برصانة: "ارجو ان تدعوني سكولي، الا اذا كنت تفضل لقب "ابو غمازة." ولم يكن في وجهه اي نقرة.

كان في اوائل الثلاثينات وذا محيّاً صبياني يبعث على الارتياح. ولم يكن شكله مميزاً على الاطلاق فهو ازرق العينين وردي الخدين ممتلىء الجسم ويضع نظارتين كبيرتين ولدتا فيه عادة دفعهما فوق عظمة انفه بين فينة واخرى. وكل من تحدث معه لخمس دقائق لا بد انه اكتشف سرعة بديهته وحسن تعبيره الساخر. وعندما سألته عن العمل الذي يمارسه تنهد وقال: "اني عبقري في وراثة الاموال."

وحاولت زوجتي غمز قناته بالتحدث عن حياة البطالة التي يعيشها الاغنياء. فأجابها دونما اكتراث: "لكني لم اعرف البطالة يوماً. فأنت لا تدركين الوقت الذي يحتاج اليه المرء للترفيه عن نفسه." ونظر الي قائلا: "أتحب المراهنة؟"

- ليس تماماً.

"انا احبها. اترى تلك السمراء التي تشق طريقها مترنحة نحو البيانو؟ اذا تعثرت ولامست يدها المفاتيح لحظة تعثرها ليصدر عنها نغم افتتاح سيمفونية بيتهوفن الثانية، فاني اعطيك عشرين الف دولار. واذا لم تفعل، فأنت تعطيني دولارين فقط."

كان عرضاً مغرياً واحتمالاته لمصلحتي كثيرة ومجازفتي محدودة تكاد لا تذكر، فقلت: "اراهن".

هل تعثرت السمراء ومدت يدها لتستند الى البيانو فعزفت نغم الافتتاح؟ طبعاً لا.

وناولت سكولي دولارين فقال: "شكراً، هذه هي الطريقة المثلى التي اكتشفتها لتكديس الثروة. وبالطبع فانا أعرض رهاناً متواضعاً على الكتاب والمتسولين، اما أصدقائي الاثرياء فأقدم اليهم عروضاً تذهب بألبابهم فأقترح دفع ربع مليون دولار في مقابل... خمسين مثلا."

وسألته زوجتي: "الا تخسر ابداً؟"
ـ انا لا أراهن في مجالات يمكن ان اخسر فيها. فالطمع يحول افضل الناس سذّجاً ومغفلين.

رسائل وردود ـ كان مزاح سكولي ينبع من ازدرائه كل ما هو مبتذل وعادي وغير ممتع عقلياً.

ذهب مرة يودع عروسين جديدين مسافرين في البحر لقضاء شهر العسل. ولوح الزوجان لاصدقائهما الذين احتشدوا على رصيف الميناء يصرخون: "رحلة سعيدة!" لكن سكولي اختفى فجأة. وما كادت السفينة تغادر المِيناء حتى ارسل في طلب العريس ليتسلم برقية قصيرة جاء فيها: "لماذا لم تكتب الينا بعد؟"

واذا ما قرأ سكولي تعليقاً سخيفاً او غير مباشر في الصحف، ارسل الى "مرتكب" ذلك العمل مجلداً كبيراً مفرطاً في السخف وباعثاً على الملل ووقعه مع ملاحظة مثل: "اتمنى ان يسرّك استرشادي بعملك."

ويقول سكولي متأملا: "تصور ذلك الغبي وهو يراجع الفهرست بسرعة ليرى في اي صفحات تمت الاشارة اليه. لقد اضطررت الى نزع الفهرست ايضاً."

وكان سكولي يملك خطي هاتف. والرقم غير المسجل في الدليل خصه باصدقائه الاقربين. واذا ما اتصلت بالرقم المسجل، فقد يجيبك الممثل كاري غرانت قائلا: "هالو، انا كاري غرانت. هنا منزل شولر ورثنغتون الذي استأجرته خلال مدة مكوثه في مستشفى المجانين. ارجو الا تتصل ثانية."

كثيرون وجدوا سكولي ساخراً بطبعه. لعله كان كذلك، غير انه قدر شيئاً واحداً: الموهبة. كان يغادر المسرح بعد مشاهدة اوبرا او رقصة باليه او مسرحية وهو مفعم بغبطة تملأ كيانه. ولا يفتأ يرسل الهدايا الى هؤلاء الذين يثيرون اعجابه: كافيار الى صاحبة صوت نديّ او صورة لبرنارد شو الى كاتب مسرحي.

سكولي الذي قدر الموهبة حق قدرها وعشق الناس المبدعين الخلاقين كان ينظر الى نفسه فيرى انه لا يملك اي موهبة. وفي هذا المجال كان مخطئاً. فهو ملك هبة نادرة هي تخطي الضجر والتحايل على السأم في الحياة. فأشاع الضحك حوله وبعث الفرح في عالم قاس لا يرحم.

■ ليو روستن

عاشر القوم

في قاعة باليه في كيب تاون (جنوب افريقيا) انطلقت الموسيقى ورفعت الستارة على عامل ما زال يجهز المسرح. فما كان منه الا أن نهض بتؤدة ورفع يديه بجلال وغاب وراء الكواليس بحركات مسرحية رشيقة.

م.ب.

أسرار الوحدة

قديماً قال سقراط: "اعرف نفسك." واضاف الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس: "في اي وقت يختاره المرء، يمكنه ان يلجأ الى ذاته."

Photo: Four By Five, Inc.

ن

نحن في شهر يناير (كانون الثاني) والمطر يتجمد إذ يسقط. أنا جالسة الى طاولتي في بيت ران عليه صمت عميق بحيث بت اسمع حركة الطيور وهي تحط على السطح. لا احد يأتي الى الداخل مطالباً بالعشاء. لا احد يدعوني الى الخارج لكي ارى الجليد على شجرة البتولا ذات القضبان. لا احد، لا احد يقاطعني متذمراً: "ألم تعملي ما فيه الكفاية لهذا اليوم؟"

بدأ هذا الصمت قبل سبع سنوات في يوم ربيعي جميل ملأه خرير المياه حياة. وكان زوجي متحمساً لبدء موسم الغولف، رياضته المفضلة، فقبلني بسرعة وانطلق خارجاً وهو يقول: "لا تملي من البقاء وحدك، فسأكون هنا في الثالثة عصراً." إلا أنه قبل ساعات من الثالثة سقط على أثر نوبة قلبية ولم يعد البتة الى البيت.

قد تبدو تجربتي فريدة من طريقة وصفها، لكنها ليست هكذا في الواقع. فهناك الوف مؤلفة من الارامل، نساء ورجالا. كما ان وفاة عزيز ليست العامل الوحيد الذي يدخلنا مملكة الوحدة. فالعلاقات بين الناس تنقطع لأسباب شتى، والوحدة اليوم هي على ازدياد في أماكن كثيرة. واذا عمر واحدنا زمناً كافياً، فلا بد من ان يصادف تجربة او اثنتين من هذا القبيل في حياته.

ونحن الذين نعيش بمفردنا تقتحم الوحشة خلوتنا من وقت الى آخر. وتجرحنا تلك الساعات القصيرة التي - ولا احد يعيننا خلالها - نبدو اطول كثيراً مما هي. ويغمرنا شوق الى حياة الشراكة والى الفرح الذي تغدقه على من يحياها.

غير ان الوحدة قد تكون طريقة حياة ملأى بالرضا والدفء وحتى بالفرح. وبما ان الشعور بالوحدة يبرز لدى العديد منا على غير انتظار، كان لزاماً علينا ان نتعلم كيف نجد تلك المباهج من اجل ان تكون حياتنا محفوفة بالكرامة والجلال.

الذاكرة والاستمرار - إذ انظر اليوم الى خبرتي القاسية طوال هذه السنوات يمكنني ان أرى كيف استخرجت من وحدتي عناصرها الايجابية. وكما تأتي اشعة الشمس الاولى بعد مطر، ضئيلة ولكن نامية، هكذا ينبع الدفء من الوحدة التي لا نختارها. وهو ينتمي اليها كما ينتمي الحزن والأسى. فمن اين يأتي هذا الدفء؟

انه يأتي اولا من الذاكرة التي تشد ايام حياتنا المتباعدة بعضها الى بعض. فالوحدة تقوي الذاكرة. والذكريات تقوي لدينا حس الاستمرار متحدية الانقطاع الذي احدثه الحزن. وعن هذه الذكريات ينشأ نوع جديد من الادراك.

في احد ايام الصيف جمعت رسائل زوجي الي واعدتُ قراءتها في سياقها الزمني. ووقعت فيها على صورة انسان محب ومعقد ومعذب في معظم الأحيان. فما اراد ان يكون وما كانه فعلا صورتان مختلفتان. ويا حبذا لو فهمت ذلك في حينه واعنته

على النهوض من شرك الحياة اليومية.

وربما كان الادراك الذي تكون لدي اليوم ثمرة الأيام والتجارب. فنحن لا نرى من فقدنا كشخص واحد الا حين ننظر اليه من بعد. واذ ذاك تتحرر نظرتنا من التوافه.

ولئن تكن الذاكرة تستخلص الدفء من الوحدة، فهذا الدفء يأتي ايضاً من شعور متزايد بهويتنا. وبعدما امضيت اسابيع عدة بمفردي وجدت نفسي منشغلة بسلسلة حوارات فتحتها بيني وبين ذاتي: بين الذات التي شاءت ان تموت وتلك التي اختارت الحياة، الذات التي آمنت وتلك التي رفضت، الذات التي احبت وتلك التي سفهت المحبة لأنها تؤذي كثيراً.

ألم نعرف على الدوام ان كلا منا مجموعة من الذوات التي تحوي العطف الى جانب القسوة والنضج مع الطفولة والحكمة في ازاء السخف؟ اولم نعرف كذلك ان الحوار بين تلك "الذوات" المتحاربة كان ينتظر دوره على الدوام؟

ان مواجهة هذا الصراع هي التي جعلتني ادرك حقيقة مشاعري الغامضة وأجيب عن بعض الأسئلة المهمة من نوع: لماذا أفعل هذا عوضاً عن ذاك؟ ما المطلوب مني؟

عندما نكون محاطين بالناس تطفىء الأحاديث العادية الصغيرة جزءاً من بصيرتنا الفطرية. اما في وحدتنا فنحن مرغمون على الاصغاء الى الأسئلة التي تولدها فينا التجربة.

ادراك جديد - الوحدة هي المناخ الذي تولد فيه هويتنا وفيه نتعلم ان نتغلب على مخاوفنا. لقد كانت لي مخاوف كثيرة حين دخلت الوحدة عالمي: الخوف من قيادة السيارة بمفردي والخوف من الظلام والخوف من الا يحبني احد بعد ذلك اليوم.

وفي وحدته، على المرء ايضاً - وهو يصارع التقدم في السن - ان يتكيف لأمور جديدة. وإذ ذاك يكتشف بسرعة، وان بألم، اي انسان هو وما هي طاقاته. واذا ذكرنا كلمات الشاعر الالماني راينر ماريا ريلكه ان الشخص في وحدته لا يمكنه الهروب من عين احد، ادركنا ان الصدق هو السبيل الأفضل.

ولعمري ان اعظم ما يتكون في الوحدة هو الروح البشرية عينها. ولا نكير ان الوحدة تحول الكثيرين مشككين، لكن اولئك لم يستغلوا تجارب الوحدة التي تؤدي الى نمو الروح. وكم من وحدة تكشفت عما يدعوه الصوفيون "الله داخل كل انسان."

ان الوحدة تمنحنا ادراكاً جديداً للآخرين. وهذا قد يبدو مفارقة حين نسأل: الا تعوقنا الوحدة عن اقامة علاقات صحيحة مع الآخرين؟ ان الأمر يبدو لي نقيض هذا. فالمتوحد يقيم علاقات افضل من سواه. والسبب الاهم هو حاجته الى تلك العلاقات. وقد كتب عالم النفس السويسري كارل غوستاف يونغ: "ليست الوحدة بالضرورة عدوة الرفقة، إذ لا احد يدرك قيمة الرفقة اكثر من الشخص الوحيد."

ان قلب المتوحد الفارغ اذاً أكثر استعداداً لاستقبال الآخر والحوار معه في العمق. أما إذا كان المرء منشغلا بحب شريكه، فهذا يعوق انفتاحه الحر على الآخرين. والمتوحد يرى الآخرين كما لو كان يرى نوراً وسط الظلام. واحزانهم تخترق وحدته كما لو كانت أحزانه هو. والوحدة تتيح لنا ان نفهم الآخرين على نحو افضل وان نبصر ما تعامينا عنه طويلا.

ثم اذ نقضي وقتاً اقصر مع الآخرين يكتسب هذا الوقت قيمة جديدة وخاصة. ويمكنني القول اني بت اتكلم واصدقائي على نحو اعمق، ربما لان كلامي بات اكثر حرية وصدقاً. وهذا يعزز ما قاله لي طبيب نفسي قبل سنوات: "كلما تعمق المرء دنا اكثر الى الآخر."

ان الوحدة جزء لا يتجزأ من تجربة النضج وإذا احسن المرء استخدام وحدته، ففي امكانه طرد ما كان يسد منافذ حياته والقاء النور على زوايا تجربته.

الا ان الوحدة لا تحمل معها السكينة او الاستكانة. والحق ان الحياة الداخلية لمن يختبر الوحدة هي بمثابة حجر رحى يدور على انفعالات كثيرة. وفي ظني ان الوحدة لا تترك المرء كما وجدته. انما هو يخرج منها اكثر غضباً او اكثر لطفاً، اشد قسوة او اشد عطفاً، اقوى مرارة او اقوى محبة، اوفر انغلاقاً او اوفر انفتاحاً... لكنه لا يخرج البتة كما كان.

والوحدة، كجميع التجارب التي نستمد منها دروساً، مفعمة بالألم.

ولكي نتجنب طغيان الألم على حياتنا يجدر بنا اعتماد الخطوات الآتية:

١. لا ترثي لحالك. لا شيء يفصلنا عن الآخرين اسرع من الشفقة على الذات. والخطر الذي يواجه كل متوحد هو ان تغدو مشاعره أهم ما في حياته. فهو قد يرفض الآخرين طويلا في افكاره بدلا من مواجهتهم.

ويجدر بالمتوحد ان يتحدى بعض معطيات الواقع ليحب الحياة والآخرين باخلاص، وان يتذكر ان المشاعر التي يغذيها في وحدته لا تزول بسهولة. فعليه اذاً تغذية المشاعر النبيلة.

٢. ابحث عن مباهج الوحدة. كم سمعتُ من شخص متوحد يقول: "لا شيء حسناً يحدث لي قط." ولكن يستحيل ان يأخذ المرء موقفاً كهذا ان هو سجل يومياته. ولقد حرصت على تدوين المباهج الخاصة في مفكرتي: "اليوم زارني صديق ومعه هدية غير متوقعة... اليوم تنزهت طويلا وعدت مبتهجة." واذ اقلب الصفحات يمكنني استعادة مراحل نموي واكتشاف روعة الحياة وجمالها.

٣. انظر الى وحدتك كوقت للنمو. مشكلة الكثيرين من المتوحدين التعساء أنهم لا يجدون لوحدتهم اي معنى. لكن حياتنا هي، او يجب ان تكون، كالفصول والطقس: حركة من الشمس الى الظل ومن المطر الى الجفاف. والوحدة ليست مرحلة تأتي وتنقضي، بل هي مثل حلقة في

سلسلة حياتنا. واذا شئنا، امكننا ان نجعل منها وقتاً للنمو نرى عبره ماضي ايامنا ومستقبلها.

٤. اقبل وحدتك. لا تنظر الى وحدتك كشيء عابر ولا كشيء دائم، ولكن كواقع.

واذا كان عليك ان تقضي ايامك وحيداً، فعليك ان تكون مستعداً لذلك. ولكن اذا كنت تشاء امراً آخر: ان تتزوج ثانية او تحصل على عمل جديد او تبدل صداقاتك، فيجدر بك ان تعد نفسك لكي تكون اهلا لهذه الامور حين تأتي، ان هي اتت على الاطلاق.

٥. عمّق حياتك. ان فضيلة الوحدة المميزة هي مساعدتنا على الادراك. واذا كانت قوة الحياة تأتي من الداخل، فاذهب فوراً الى هناك وابدأ التأمل والصلاة. وهناك فتش عن الجوانب المضيئة التي اهملتها معظم حياتك.

٦. أحب ذاتك واحترمها. لا تؤنب نفسك او تعاقبها على اخطاء تظن انها ادت الى وحدتك. ولكن استرح وكُل حسناً ونم لكي تستعيد نشاطك. ولا تنسَ أن تمنح نفسك المكافآت والمفاجآت والأفراح وأن تقول لذاتك: "لقد تألمت. وسأمنح نفسي الراحة والفرح عوضاً عن ذلك."

اذا خُير الناس في شأن وحدتهم، فالقليل منهم سيختار الوحدة كحال دائمة. وأنا من هؤلاء. لكني اقبل الوحدة كجزء من الحياة يأتينا أحياناً ولا يستطيع المرء ان يحقق ذاته من دونه. ولقد صدق الكاتب المسرحي البريطاني كريستوفر فراي إذ قال: "لا يمكن المرء ان يدعو نفسه حراً ما لم يستطع تحري الأسئلة التي تطرحها عليه وحدته. فهو يحيا عبر الاجابة عن هذه الاسئلة."

ولا ننسَ ان كلا منا متوحد، حتى وان يكن يعيش في بيت يملأه الناس. فكل منا وُلد وحيداً، وهو يكتشف معنى حياته وحيداً ويموت وحيداً. وأهم ما يمكننا تعلمه هو ان نحيا مع ذواتنا بشجاعة وتواضع وفرح.

■ آرديس ويتمن

زوجة اينشتاين والمرصد الكوني

أُخذت زوجة العالم الكبير البرت اينشتاين ذات مرة الى مرصد ماونت ويلسون في كاليفورنيا، حيث قيل لها ان المنظار العملاق في المرصد هو لتخطيط تركيبة الكون. لكن السيدة اينشتاين أجابت: "هذا ما يفعله زوجي على ظهر غلاف قديم."

كتاب "اينشتاين: حياته وعصره"

من الادلة على زحف الهرم الينا ابتهاجنا بقول الآخرين اننا نبدو صغاراً.

ا ب.

هل يعود الدولار إلى حظيرة الذهب؟

ان ارتباط الاقتصاد العالمي بالدولار جعل اي تبدل في وضع العملة الامريكية ينعكس على بلدان العالم المختلفة، سلباً حيناً وايجاباً حيناً آخر. وخلال السنوات الاخيرة شهد الدولار تقلبات خطيرة، خصوصاً بعد فك الارتباط بينه وبين الذهب في اغسطس (آب) ١٩٧١. وتطرح حالياً تساؤلات حول مدى امكان اعادة ربط الدولار بالذهب باعتباره مقياساً ذا قيمة حقيقية اكثر اماناً من قيمة "الورقة الخضراء" التي تخرج من مطابع الدولار الامريكية وتستند الى قوة امريكا السياسية والاقتصادية

لا تزال خطة الرئيس الامريكي رونالد ريغان الشاملة لتحرير الاقتصاد الامريكي من ربقة السيطرة الحكومية تواجه الآفة نفسها التي اقلقته مدة سنتين، الا وهي الارتفاع غير المألوف في معدلات الفائدة.

في صيف ١٩٨٢ خفض مجلس الاحتياط الاتحادي (البنك المركزي الامريكي) معدلات الفائدة المرتفعة فأحيا الآمال بتعافي الاقتصاد. غير ان هذه الخطوة لم تكن سوى تدبير موقت ربما أعطى نقيض النتائج المرجوة وتسبب في إحياء التضخم.

ان الحل النهائي لارتفاع معدلات الفائدة وللتضخم العالي هو في

اعتماد نظام نقدي ثابت يثق به الامريكيون، مُقْرِضين كانوا أم مستدينين. وفي هذا الشأن يقول المحرر الاقتصادي الشهير وارن بروكس: "الثقة شرط للرخاء والاستثمارات الكبيرة وازدهار الزراعة والتجارة. ولا ينجم عن فقدان هذه الثقة سوى الفقر."

ومفتاح هذه الثقة هو الذهب. فكلما وهَت العلاقة في الولايات المتحدة بين العملة الامريكية وهذه السلعة الثمينة ازدادت الصورة الاقتصادية كآبة. يقول روجر جبسن عضو مجلس الشيوخ الامريكي ورئيس اللجنة الاقتصادية المشتركة: "يرى بعض الناس ان العودة الى اعتماد قاعدة الذهب هي خطوة جذرية. لعل هذا صحيح، لكن المشكلات التي ينطوي عليها اعتماد هذا المقياس - اي التضخم واسواق التمويل الطويل الأجل ومعدلات الفوائد القصيرة الأجل - هي ايضاً مشكلات جذرية."

بدأت الازمة المستمرة في الاقتصاد الامريكي في اغسطس (آب) ١٩٧١ عندما أنهى الرئيس ريتشارد نيكسون الضمان الذي يجعل للدولار قيمة معينة من الذهب. وكان نيكسون يأمل بذلك زيادة تصدير البضائع الامريكية مما يؤدي الى زيادة فرص العمل في الولايات المتحدة. إلا ان قطع الصلة الأخيرة بين الدولار والذهب ادى الى اسوأ تضخم عرفته البلاد في تاريخها. ويذهب لويس ليرمان رجل الاعمال الذي ترشح لمنصب حاكم نيويورك عام ١٩٨٢ الى ان قطع علاقة الدولار بشيء له قيمة حقيقية وثابتة منح السياسيين قدرة شبه مطلقة على اصدار الدولارات لسد العجز الذي بدوا قاصرين عن ضبطه. ويضيف ليرمان ان ما حصل كان اشارة الى العالم بتخلي السلطات الامريكية عن الضوابط في الشؤون المالية والاقتصادية.

خسائر اقتصادية - في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ فوجىء الامريكيون بخطة جديدة تهدف الى كبح جماح التضخم. فقد اعلن بول فولكر رئيس مجلس حكام الاحتياط الاتحادي ان البنك المركزي لن يولي ضبط معدلات الفائدة اي اهتمام لكنه سيركز على خفض مجموع الكتلة النقدية. وأتت هذه السياسة على غرار نظريات ملتون فريدمان الحائز جائزة نوبل والذي يرى ان السبب في التضخم يرجع الى الاسراف في إصدار أوراق النقد.

ووقفت هذه الخطوة حجر عثرة في تقدم الاقتصاد إذ فرضت التقشف على الامريكيين جميعاً. وكان فولكر صريحاً عندما قال أمام الكونغرس: "ان مستوى معيشة الامريكي المتوسط الحال سينخفض، لكنني لا أرى مناصاً من ذلك."

لم يكن من ذلك مناص بسبب العلاقة بين هذه السياسة الجديدة ومعدلات الفائدة. فمعدلات الفائدة "الحقيقية" - أي مردود الاموال الفعلي بعد اخذ معدل التضخم في الاعتبار - ظلت ثابتة نصف قرن وبلغت ٢،٥ في المئة على وجه التقريب. غير ان المعدل الحقيقي

بعد خطوة فولكر لضبط الكتلة النقدية ارتفع سريعاً الى ٤،٢ في المئة عام ١٩٧٩ والى ٦،٣ في المئة عام ١٩٨٠ والى ٩،٨ في المئة عام ١٩٨١. وفي القمة الاقتصادية التي عقدت في اوتاوا في صيف ١٩٨١ اتهم المستشار الالماني آنذاك هلموت شميت الرئيس الامريكي رونالد ريغان بكونه اول رئيس في التاريخ تبلغ معدلات الفائدة في عهده هذه النسبة من الارتفاع. فأكد له ريغان أنها ستنخفض.

والحق ان مجلس الاحتياط الاتحادي أفلح في خفض معدل التضخم وتوقع مخططو سياسة ريغان الاقتصادية تدني معدلات الفائدة نتيجة لذلك. غير ان معدلات الفائدة الحقيقية تابعت ارتفاعها الى حد لم يسبق له مثيل وبلغت ١٢ في المئة في الربع الاول من ١٩٨٢. فخابت الآمال التي عقدت على خفض معدلات الضرائب عام ١٩٨١ بهدف تنشيط الاقتصاد باعادة حوافز الاستثمار والادخار. وكانت لائحة الخسائر الاقتصادية طويلة:

● بلغت معدلات الفائدة على الرهون نحو ١٨ في المئة فأدى ذلك الى خمود الفورة العقارية واصاب مشاريع الابنية السكنية وهن شديد.

● بعدما اصبحت نسبة الفائدة على القروض لشراء السيارات ١٧،٤ في المئة تلقى منتجو السيارات الامريكيون ضربة شبه قاضية اضيفت الى وطأة المنافسة اليابانية. فلم يعد السائقون يتحملون وطأة شراء سيارات جديدة، وسرحت مصانع السيارات ألوفاً من عمالها، كذلك فعلت مصانع الفولاذ وسواها من منتجي القطع.

● ارتفعت معدلات الفائدة على بطاقات الدين (Credit cards) الى ١٩،٨ في المئة وزادت فوائد التقسيط على ٣٠ في المئة فنتج من ذلك إحجام عن الشراء.

● حالت معدلات الفائدة المرتفعة دون انتفاع الشركات من القوانين التي سنت حديثاً لتشجيع الاستثمارات المالية فدب الرعب في ادارة ريغان.

● أُجبرت أوروبا على رفع معدلات الفائدة للاحتفاظ برؤوس الأموال في الاسواق المحلية فاتسعت رقعة الجمود الاقتصادي في اوروبا نفسها. وقوي الدولار بالقياس الى العملات الاخرى الى حد زاد صعوبة تصدير المنتوجات الامريكية واخذ يهدد الصناعة.

ما كاد صيف ١٩٨٢ يأتي حتى غير فولكر موقفه. وربما كان السبب في ذلك تهديد الكونغرس بالموافقة على تشريع يقضي بأن يملي هو السياسة المالية. لكن اغلب الظن ان السبب هو شعور فولكر بتعريض الاقتصادين المحلي والعالمي للخطر.

عود الى القاعدة — في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٢ خفض مجلس الاحتياط الاتحادي معدل الحسم. وفي اوائل اغسطس (آب) تدخل في اسواق العملات الاجنبية ليوقف ارتفاع سعر الدولار على حساب العملات الأخرى. ثم اخذ يشتري مزيداً من سندات

الخزينة بهدف زيادة الكتلة النقدية. فانخفضت معدلات الفائدة واستعادت البورصة نشاطها على نحو مدهش بعد جمود طويل.

إلا ان هذا الانخفاض لم يعقبه انخفاض سريع في التضخم فترك ذلك اثراً عميقاً في السياسيين ومنهم زعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ هوارد بيكر الذي اقر بالمنطق الشائع من ان العجز المتكرر في الموازنة هو السبب الرئيسي في ارتفاع الفوائد.

أما زعيم الاقلية في مجلس الشيوخ روبرت بايرد فحذر مجلس الاحتياط الاتحادي قائلا: "ان الكونغرس لن يتحمل ارتفاعاً في معدلات الفائدة" وان التشريع الذي يجبر البنك المركزي على العمل "يغدو ضرورة ملحة إذا ارتفعت معدلات الفائدة في نهاية فصل الشتاء او مطلع الربيع."

وبانتهاء ١٩٨٢ كانت معدلات الفائدة الحقيقية لا تزال مرتفعة وتقارب ٨ في المئة. ومن الضروري ان تنخفض هذه النسبة ليستعيد الاقتصاد عافيته، وهذا لا يتحقق الا باستمرار السياسة الجديدة لمجلس الاحتياط الاتحادي.

ولئن يكن كثيرون من صانعي القرارات في الادارة الامريكية يعارضون هذه السياسة لكونها تزيد التضخم، فان معاوني ريغان السياسيين يرحبون بها. وقد قال جيمس بيكر المسؤول عن حملة ريغان الانتخابية في حديث خاص ان محاولة اعادة تنشيط الاقتصاد وإن من طريق "بعض التضخم" هي العلاج الناجع. غير ان اعتماد هذا العلاج سيحث فولكر على اعادة تقليص الكتلة النقدية، واي تقليص يؤدي الى ارتفاع جديد في معدلات الفائدة سيحدو الكونغرس على الرد الفوري العنيف.

لقد بات لزاماً على المؤثرين في الوضع المالي ان يختاروا بين شرين: عودة التضخم وشد الحزام، مما يؤكد عدم الاستقرار المتأصل في النظام الحالي. لذلك يزداد عدد الاقتصاديين والسياسيين الذين يكتشفون او يعيدون اكتشاف اهمية المنطق الداعي الى اعتماد قاعدة الذهب، ذلك بان للذهب قيمة معروفة ومقبولة عالمياً تمنح المال الذي تدعمه قيمة معروفة ايضاً.

يقول النائب الامريكي جاك كمب: "قيل في التعريف بالدولار انه يمثل وزناً معيناً من الذهب. وبقي هذا التعريف معتمداً من ١٧٩٢ الى ١٩٧١. والواقع أننا لم نعانِ التضخم المتصاعد المزمن الا بعد تخلينا عن قاعدة الذهب. فالعافية المالية تتطلب عودتنا الى مقياس مالي ذي قيمة حقيقية، ولعل الاختيار الاصح في هذا المجال هو الذهب."

ويقول المستشار السابق في شؤون الاقتصاد الن غرينسبان: "عندما يُقضى على التضخم فان اعتماد قاعدة الذهب يعزز السياسات التي تناهض التضخم ويصبح استئناف التبذير امراً بالغ الصعوبة." وفي الوقت نفسه يلفت مؤيدو قاعدة الذهب الى ان الاستقرار المالي الذي توفره هذه القاعدة يؤدي الى انخفاض كبير في معدلات الفائدة.

ويدعو روبرت منديل، وهو استاذ في جامعة كولومبيا واقتصادي سابق في صندوق النقد الدولي، الى الرجوع الى قاعدة الذهب كوسيلة لاستقرار مالي وطني وعالمي. أما المستشار الاقتصادي ألن رينولدز الذي كان من غلاة اتباع النظرية النقدية فينحو نحواً مماثلا ويقول: "علينا ان نتوجه الى الذهب لأنه السبيل الى المال الصحيح، والمال الصحيح يعني قيام فورة اقتصادية."

دولار الورق – قدم النقاد اعتراضات مختلفة على اعتماد قاعدة الذهب فرأى بعضهم أنه يضع نظام أمريكا المالي تحت رحمة اكبر دولتين تنتجان الذهب، اي جنوب افريقيا (٢٢ مليون اونصة سنوياً) والاتحاد السوفييتي (١٠ ملايين اونصة سنوياً). ومما قيل في هذا الصدد: ألا يستطيع هذان البلدان احداث بلبلة في الاسعار من طريق الاحتفاظ بانتاجهما او اغراق الاسواق به؟ الواقع ان مجموع انتاجهما ليس سوى غيض من فيض ولن يكون له تأثير كبير في كمية الذهب في العالم التي تبلغ مليارين ونصف مليار أونصة (تملك حكومة الولايات المتحدة ٢٦٤ مليون أونصة).

ولكن كيف يمكن ان تعود الولايات المتحدة الى قاعدة الذهب؟ لقد قُدمت اقتراحات عدة في هذا الشأن لكنها تقوم جميعاً على اساس تغطية الدولار بكمية محددة من الذهب. ويقول ليرمان: "ان فضيلة قاعدة الذهب هي بساطتها التي تفوق الوصف." والحق ان التحدي الحقيقي الوحيد في اعتماد هذه القاعدة يكمن في الوصول الى تسعير سليم للذهب. فاذا اعلن الرئيس الامريكي هذا التسعير في تاريخ معين، فان الولايات المتحدة ستثبّت سعر الدولار بالنسبة الى الذهب. وينبغي ان يعكس السعر المعلَن وضع الذهب في سوق العرض والطلب بالقياس الى السلع الأخرى. ويعود التقلب في سعر الذهب هذه الايام الى التقلب في طلب "دولار الورق" الامريكي. فالمعرفة بان "دولار الورق" سيصبح دولاراً ثابتاً من الذهب توقف توقعات التضخم والتخمينات التي تبنى عليها.

والى ذلك فان تغطية الدولار بالذهب على نحو ثابت سيكون له نفع فوري. فمجلس الاحتياط الاتحادي لا يمكنه في الوقت الحاضر ان يعرف اذا كانت الاوراق النقدية التي يطبعها تفيض عن حاجة الاقتصاد او تنقص عنها او تلائمها. لكن اعتماد قاعدة الذهب سيغير هذه الحال. وتجدر الاشارة في هذا المقام الى ملاحظة مالكوم فوربس الابن في مجلة "فوربس": "إن قاعدة الذهب شبيهة بعدّاد السرعة المزود بطَنّان، فحين يسرع السائق او يبطئ أكثر مما ينبغي يرن الطنان. وحين يدفع مجلس الاحتياط الاتحادي الى السوق المالية بفائض من المال يبادر الناس الى ابدال الاوراق النقدية بالذهب فتعلم السلطات ان عليها تقليص كمية الاموال التي تدفع بها الى هذه السوق. أما حين يبالغ المجلس في

خفض كمية هذه الاموال ويبادر الناس الى ابدال الذهب بالاوراق النقدية فيعلم هذا المجلس ان عليه زيادة تلك الكمية. وهذا المعيار يتيح للسوق ان تحدد المستوى المناسب للتسهيلات الائتمانية."

ومن الواضح ان تغطية الدولار بالذهب تخرج المصير الاقتصادي من سيطرة الاقتصاديين والسياسيين وتضعه في مكانه الطبيعي أي في أيدي الشعب. والأمريكيون يدركون ذلك بالفطرة. ففي العام ١٩٨١ عندما كادت معدلات الفائدة ان تبلغ أرقاماً قياسية اجرى خبير الاحصاء روبرت تيتر استطلاعاً واسعاً للرأي العام طارحاً السؤال الآتي: هل تحبذ عودة الولايات المتحدة الى نظام نقدي يرتكز الى الذهب؟ وقد اجاب ٣٩ في المئة ممن شملهم الاستطلاع بالايجاب و٢٤ في المئة بالنفي وأبدى ٣٧ في المئة جهلهم بالأمر.

ان الامريكيين يريدون ان يتخلصوا من عبء معدل الفائدة، لكنهم في الوقت نفسه يتطلعون الى عالم يكون فيه ثبات العملة تعبيراً عن الايمان بالمستقبل. وهذا هو اكثر الامور الحاحاً على رونالد ريغان في النصف الثاني من ولايته إذ ان عافية البلاد الاقتصادية هي الآن على المحك.

■ **رولند ايفنس وروبرت نوفاك**

طبيب اسنان

بعد دخوله كلية طبّ الاسنان، راح أخي يجرب اثواب المختبر المختلفة الاشكال والالوان أمام المرآة. وكان كلما ارتدى ثوباً يتمتم بعض الكلمات. وقال لي ان ذلك من أصول المهنة.

وعندما لبس الرداء الثالث، مدّ يده نحو المرآة وقال: "عشرين ديناراً من فضلك."

وبعد وضع الرداء الرابع، قال: "يجب ألا تهملي تنظيف أسنانك بالفرشاة كل صباح ومساء يا سيدتي."

ويبدو انه أحبّ الرداء الخامس أكثر من أيّ رداء آخر. فما ان وضعه حتى قال: "ألغي جميع مواعيدي بعد ظهر هذا اليوم. فأنا ذاهب الى نادي كرة المضرب."

ج.م.

فسحة في الزحمة

كنتُ في مترو لندن وقت الازدحام عصراً، فرأيت شخصاً لايدانيه أي من الركاب. ولدى اقترابي منه عرفتُ سبب نعيمه، اذ وجدتُ في كل من يديه دلو دهان مفتوحاً.

ج.س.

كلّ مغن في جوقة رباعية لديه ثلاثة أسباب لضعف اداء الجوقة.

ا.ب.

عالم نفس مرموق يقترح سبع خطوات عملية لتقوية قدراتنا الذهنية

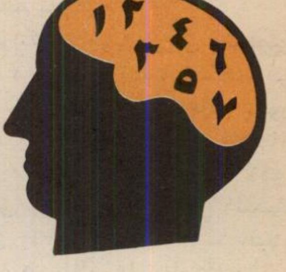

٧ درجات بين الذكاء والعبقرية

الفرق بين التفكير الجيد والتفكير الرديء ليس في معطياتنا الذهنية بمقدار ما هو في طريقة استعمالها٠ وباللجوء الى طرائق التفكير الصحيحة يمكن ذوي الذكاء العادي ان يتصرفوا كعباقرة أحياناً٠

والدكتور ادوارد دو بونو عالم نفس ممارس واستاذ لمادة الطب الاستقصائي في جامعة كيمبريدج الانكليزية، وهو شارك في تأليف كتاب بعنوان"تعلم كيف تفكر"(★)مقترحاً مجموعة وسائل بسيطة لتقوية عملية التفكير٠ وطريقته المبتكرة هذه وجدت طريقها الى الشركات والمدارس وتبناها مسؤولون حكوميون في بلدان مختلفة٠ ويقول دو بونو: "العبقرية هي قدرة المرء على حل مسائل الحياة اليومية، وفي امكان اي كان تقوية هذه القدرة٠" وفي ما يأتي سبع خطوات عملية في هذا السبيل٠

١٠ الحسنات والسيئات والأهمية٠

الخطوة الاولى الحاسمة في تقوية التفكير هي أن يرى المرء الامور من غير أن يحد بصره٠ وليحاول كل منا الآتي: انظر الى الأشياء ذات اللون الأحمر في الغرفة حيث أنت منقطعاً عن القراءة الى أن تكون شاهدتها جميعاً٠ والآن أغمض عينيك واسأل نفسك عن عدد الأشياء ذات اللون الأخضر في الغرفة٠ ثم افتح عينيك وانظر حولك٠ أأنت مندهش لعدم معرفتك تلك الأشياء؟ السبب هو تركيز انتباهك على اللون الأحمر٠

الأمر نفسه حاصل بالنسبة الى الأفكار٠ فعندما يسمع معظمنا للمرة الاولى بفكرة جديدة أو بحل جديد لمسألة ما، يكون رد فعله الغريزي

(★) «The Learning – to – Think Coursebook,» 2nd Edition, copyright (c) 1982 by the Edward de Bono School of Thinking, by Edward de Bono and Michael de Saint Arnaud, is published by the Edward de Bono School of Thinking, New York, N.Y.

القبول أو الرفض· وبعد ذلك يعمل عقله دفاعاً عن موقفه·

لكن ثمة طريقة بسيطة لتجنب هذا الشرك وهي حساب الحسنات والسيئات والأهمية· ويوضح دو بونو هذه الطريقة بالمثل الآتي: في نقاش حول تصميم حافلات النقل العام يقترح أحدهم إلغاءَ جميع المقاعد· فما هو رأيك؟

مهما يكن الجواب، أعد النظر في الأمر من جديد معتبراً الحسنات والسيئات والأهمية· واصرف دقائق ثلاثاً في تدوين كل حسنة وكل سيئة تطرأ على ذهنك حول هذا الأمر، كذلك النقاط المهمة الاخرى التي لا تندرج تحت الحسنات أو السيئات·

معظمنا سيعجب حين يجد أنه دون نحو عشر نقاط حسنة مثل: "إذا خلت الحافلات من المقاعد، فان إصلاحها يكون أسهل وأقل كلفة،" وعدداً مماثلا من النقاط السلبية مع مجموعة لا بأس بها من النقاط الشائقة التي ليست هي بسلبية أو إيجابية مثل: "الراحة ليست من الامور المهمة جداً في الحافلات·"

الهدف من هذا النمط من التفكير هو توسيع الذهن والابتعاد عن الآراء والأحكام السلفية المغلقة· وبكلام آخر، تنبهنا هذه الطريقة الى امور كنا غافلين عنها وتمنعنا من أن نرى اللون الأحمر وحده·

٢· مراجعة جميع العوامل· هذه محاولة واعية للتأكد من أنك فكرت في جميع العوامل الملائمة لاتخاذ قرار· فاذا كنت تفكر في شراء منزل جديد، وجب أن تراجع العوامل المتعلقة به جميعاً· وفي حين أن الامور الأساسية كالمساحة والهندسة والثمن تطرح نفسها بديهياً، الا أن هناك مسائل بالغة الأهمية لا تأتي الى الذهن بهذه السهولة ومنها الأسئلة الآتية: ما هي كفاية اللاقط التلفزيوني؟ اذا انقطعت الكهرباء خلال عاصفة ثلجية، فهل تمكن إذابة الماء المتجمد في الأنابيب سريعاً؟ ما هي القوانين الخاصة بالمنطقة؟

أعرف زوجين شاءا شراء منزل خلال الصيف· وسألهما صديق عن المنظر المشرف عليهما بعد سقوط الأوراق في الخريف· وتبين أن ذلك سيكون أكواماً من هياكل السيارات الخربة·

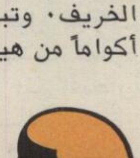

٣· النتائج والذيول· في حين أن الخطوتين الاوليين تفتحان جميع الاحتمالات الممكنة، فان هذه الخطوة تعيننا على اختيار الأفضل من بين هذه الامكانات· ومما يميز الانسان عن الحيوان القدرة على تصور عواقب أفعاله· وفي امكاننا تحسين هذه القدرة كثيراً اذا نحن تعلمنا استخدامها على نحو منهجي· وتعلمنا طريقة دو بونو أن نتصور نتائج أي قرار نتخذه ضمن مراحل أربع في المستقبل: النتيجة الفورية، النتيجة في المدى القريب (من سنة الى خمس سنوات)، النتيجة في المدى المتوسط (من خمس سنوات

الى ٢٥ سنة)، النتيجة في المدى البعيد (أكثر من ٢٥ سنة).

ويطرح دو بونو في محاضراته أسئلة من النوع الآتي: ماذا يحصل اذا نفد النفط من العالم؟ ما هي النتائج الناجمة عن حلول دماغ الكتروني محل الانسان في المصانع؟ وفي إجاباتهم عن أسئلة من هذا القبيل يتعجب الطلاب حين يرون أن تصورهم للذيول الفورية وذات المدى القصير أعانهم على تصور الذيول في المدى البعيد. وسرعان ما يكتسبون الخبرة الضرورية لتطبيق هذه الطريقة على القرارات المتعلقة بحياتهم الشخصية.

لدي صديق كان اليوم أكثر سعادة لو هو لجأ الى هذه الطريقة في الوقت المناسب. وقد جاءني قبل سنوات وكان متزوجاً وفي منتصف عمره وأخبرني أنه دعا شابة الى فنجان قهوة. وقال ان تلك مسألة عابرة. لكنه بذلك لم ينظر إلا الى النتيجة الفورية. ولو تصور الاحتمالات اللاحقة، ومنها إمكان وقوعه في حب تلك الفتاة وطلاقه من زوجته وتأليبها أولاده ضده، وانه بعد عشرين سنة سيغدو زوجاً عجوزاً لامرأة في منتصف العمر قد تسعى الى سواه، لما تمادى في عمله.

٤. الغايات والأهداف. من وسائل التفكير المجدي التي يهملها المرء معظم الأحيان تسجيل جميع الأسباب التي حدته على فعل أمر معين. فمعظمنا يظن أنه يعرف أهدافه في حين تعترضنا أهداف كانت محجوبة أو مهملة.

هناك شخص ألعب معه كرة المضرب (التنس) لكنه يخسر أكثر الأحيان لأنه يسعى الى الضربات "القاتلة" التي لا تصيب الهدف. وعلى رغم أنه يفترض النجاح هدفاً له فثمة هدف آخر يغلق دونه الأول ألا وهو رغبته في أن يبدو عنيفاً مقتدراً. في خبرة هذا الشخص إذاً هدفان يعوقه أحدهما عن بلوغ الآخر.

إن تحديد أهدافنا من شأنه أن يقودنا الى حلّ مشكلاتنا على نحو خلاق. ويخبرنا دو بونو عن جدة جلست تحوك الصوف فيما طفل العائلة يعبث بالخيطان وهو في أول عهده بالمشي. ووضعته في حظيرة اللعب لكنه ظل يزعق الى أن اخرجته. ثم أدركت أن غايتها لم تكن أسر الطفل، بل إبعاده عن الصوف. وإذ ذاك تركته يلعب خارجاً ودخلت هي حظيرته.

٥. الأولويات الرئيسية. تعينك هذه الخطوة على إعادة النظر في ما تجمع لديك نتيجة للخطوات السابقة ثم اختيار الأفضل. ويعطي دو بونو المثل الآتي بالاشتراك مع زميله مايكل دو سانتارنو:

افترض أن أحداً يريد أن يقترض منك مبلغاً من المال. راجع جميع العوامل ثم اختر أهم ثلاثة منها. وربما كان أهمها الآتي: متى سيوفي هذا الشخص دينه؟ وبعد ذلك يأتي: أيمكنني وضع ثقتي في هذا

الشخص؟ أما اذا كان والد يقرض ابنته المال، فربما كان سؤاله الأول: لأي غرض تريده؟ إن العديد منا يتخذ قراراته تبعاً لنزوة عابرة أي لما يحس او يشعر أنه الأهم. غير ان العاطفة ليست بديلا من الفكر.

٦. البدائل والامكانات والاختيارات. الطرائق السابقة كلها لا تمكن المرء من ايجاد حل لمشكلته. أما المفتاح للعثور على بديل فهو البحث عن إمكانات خارج نطاق التفكير العادي.

ويجدر بالمرء إطلاق العنان لخياله من أجل التفكير في جميع الاحتمالات الممكنة بما فيها تلك التي يظنها في العادة غير عملية أو غريبة. وليُعمل طاقته على الحكم بعد ذلك لاطراح ما هو شاذ حقاً وإبقاء ما هو قابل حقاً للتنفيذ.

هناك عدد من الطرائق للبحث عن احتمالات قابلة للتحقيق ومنها التفكير في نقيض ما يطرأ على اذهاننا ومراجعة افتراضاتنا. وربما كان عدم عثورنا على طريقة عمل مجدية يعود الى أننا وضعنا حدوداً مفتعلة لبحثنا. ومن الأمثلة الحسنة على ما نقول احجية عيدان الثقاب:

ضع ستة عيدان ثقاب على طاولة مستخدماً إياها للحصول على أربعة مثلثات متساوية الأضلاع. إذا لم تفلح في هذا الأمر، فربما ظننت أنه من غير المعقول تكوين أكثر من مثلثين اثنين بعيدان ستة. ولكن من قال إن الحل يجب أن يتم ضمن بُعدين؟ اطرح هذا السؤال على نفسك، ترَ أن الحل بات في حوزتك. ففي الامكان صنع هرم رباعي بالعيدان الستة.

٧. وجهة النظر الاخرى. غالباً ما تكون المشكلات صراعاً مع شخص آخر كالزوج أو الزوجة أو رب العمل أو أحد الجيران. وفي إمكان المرء إعداد نفسه على نحو أفضل لوجود الحل إن هو أخذ وجهة النظر الاخرى في الاعتبار. ويحسن به تدوين كل ما يظنه موقف الشخص الآخر. وعندئذ سيقع على أفكار مدهشة ربما عثر بينها على حل لمشكلته.

لقد اشتريت حديثاً جهاز راديو لسيارتي من تاجر حدثني طويلا عن حسنات ذلك الجهاز. لكنه لم يكن خيراً من الجهاز القديم. وكنت على وشك دخول محله والصراخ في وجهه كي يعيد ما دفعته نتيجة لاغرائه. غير اني فكرت في الاثر السلبي لتلك الطريقة من حيث التشكيك في صدقه. لذلك ارتأيت اتخاذ موقف آخر يثير احترامه لنفسه وسمعته التجارية. وكان أن أبدل جهاز الراديو بآخر أفضل من غير أن يطلب مبلغاً إضافياً.

إن جدتي كانت على حق في قولها: "العسل يجلب اليك عدداً من الذباب أكثر مما يفعل الخل." وهي لم تسمع بنصائح دو بونو لكنها اعتمدت فطرتها.

■ مورتون هنت

تقنيات جديدة ومثيرة في حقل الهندسة الوراثية تكشف اسباب السرطان الخبيث وتبرز التدابير الممكنة لعلاجه والوقاية منه

الهندسة الوراثية: سلاح الغد ضد السرطان

وقبل سنتين سئل الدكتور روبرت واينبرغ عن اسباب السرطان فلم يسع هذا الباحث اللامع في البيولوجيا الجزيئية الا التخمين بأن ذلك يعود الى خلل ما يصيب النظام الوراثي في الخلية السليمة. اما اليوم، ومع ان اسئلة عدة ما زالت مطروحة، فان جوابه لم يعد يكتنفه ذلك الغموض. فقد تركزت المشكلة الآن حول نتف معينة من الحامض النووي «DNA» (١) الذي يوجه العوامل الوراثية في الجسم. ويدخل احدى هذه النتف المجهرية خلية سليمة فلا يمر يوم او اثنان حتى تتحول الخلية طافراً خبيثاً.

ويقول واينبرغ: "ان ابحاث السرطان البشري تتقدم بسرعة لم يتصورها احد." ويعزز هو وسواه من الباحثين هذه الخطى المتسارعة للهندسة الوراثية وهي تقنية جديدة تمكن الباحثين من التعامل مع عناصر الوراثة بدقة فائقة.

ولقد اظهر العلماء قبل عشر سنين ان بعضاً من الخمائر يمكن استخدامه في قطع الـ«DNA»وتحريكه واعادة لصقه وحل رموزه. بهذه التقنية يمكن تحديد موضع السرطان في منشأه. كما برهن العلماء صحة الشك الذي خامرهم زمناً طويلا في ان السرطان

(١) Deoxyribonucleic acid

Condensed from New York Times Magazine (October 24, '82).
(c) 1982 by the New York Times Co., New York, N.Y.

ينتج من خطأ في برنامجنا الوراثي. ويبدو ان هذا الخطأ الوراثي (الجيني) ينتقل من جيل الى جيل في بعض الاحيان. الا ان اكثر حالات السرطان تنتج من خلل في الحامض النووي «DNA» داخل الخلايا السليمة يطرأ في مرحلة ما من حياة الانسان. كما تفتك المسرطنات (٢) – والفيروسات في حالات نادرة – بالـ «DNA» فتكون النتيجة تحول الجينات الطبيعية في اجسامنا عوامل مسببة للسرطان او ما يسمى "اونكوجين".

اقفال ومفاتيح – تحتوي كل خلية بشرية على نحو ١٠٠ الف جينة تمتد نحو مترين طولا في سلسلة لولبية متماسكة هي خيط الـ«DNA» وتحمل كل من هذه الجينات المعلومات الوراثية – او القالب – لصنع بروتيين واحد. وقد امكن بواسطة الهندسة الوراثية الحديثة تقليص هذه المجموعة الواسعة من الجينات الى حجم يمكن التحكم فيه. وهكذا فالجينة المشكوك فيها يمكن "قنصها" من الخلية وزرعها في البكتيريا التي تنتج نسخاً عنها طبق الاصل مع كل عملية انفصام خلوي.

وقد اثبتت دراسة حديثة اجراها فريق الدكتور واينبرغ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ان الاونكوجين الذي يسبب سرطان المثانة لدى الانسان تختلف خلاياه عن الخلايا الطبيعية في نقطة واحدة هي انحراف منفرد في وحدة كيميائية واحدة من ٦٠٠٠ وحدة. هذا التحول الطفيف البالغ الصغر يكفي لانتاج بروتيين مشوه. وكما قد تمر قطعة معطوبة عبر خط تجميع آلي من دون الانتباه اليها، كذلك يمر هذا البروتيين في التعاريج البيوكيميائية داخل الخلية محدثاً الخلل في اجهزتها الطبيعية. ويقول الدكتور واينبرغ: "ما ان يبدأ الاونكوجين نشاطه حتى يعصف الدمار بالخلية وتكون النتيجة السرطان."

وكلمة "سرطان" هي اسم شامل لاكثر من مئة نوع من الامراض، غير ان العلماء يعتقدون ان عدداً قليلا من الجينات كاف لان يسبب هذا العدد الوافر من انواع السرطان. كما انهم اكتشفوا من طريق تجميع حامض «DNA» نحو نصف دزينة من الاونكوجينات البشرية. وهناك واحد على الاقل ثبت انه مسؤول عن سرطاني الرئة والمعي الغليظ.

والباحثون في معالجة السرطان هم ايضاً يعتمدون اساليب الهندسة الوراثية، الا ان اهتمامهم مركز اكثر على المظهر الخارجي للخلية السرطانية. فهؤلاء العلماء يهمهم ان يفهموا كيف يتنكر هذا العدو كخلية طبيعية ويجتاز حواجز المناعة في الجسم من دون ان يكشف.

فجهاز المناعة عندما يعمل على نحو سليم يكون دقيق التمييز. ويفرز الجسم بروتيينات تدعى "مولدات المضادات" او "انتيجين" وتدل على الخلايا القاتلة. فتتركز ألوف منها على سطح خلية سرطانية واحدة كما

(٢) مواد كيميائية تسبب السرطان

تتركز على اي عامل مسبب للمرض - كالفيروس او البكتيريا - فيعرف كل عامل عن طريق الانتيجين الخاص به. وهنالك الاجسام المضادة التي تتجول في مجرى الدم في حال استنفار دائم للتفتيش عن هذه العلامات وكأنها مفاتيح تجوب الجسم بحثاً عن اقفال. فما ان يتم اكتشاف "قفل" الانتيجين المطلوب حتى يلجه "مفتاح" الجسم المضاد في التصاق كيميائي يؤدي الى القضاء على الخلية السرطانية. ويغدو الجسم في حال انذار وتنبه فيدفع بالخلايا المقاتلة وبوابل من "مدفعيته" الكيميائية للقضاء على مصادر الخطر.

فالسرطان اذاً قد ينتج من خلل يحصل في اي من مراحل هذه الحلقة المعقدة. فالجسم قد لا يصنع اجساماً مضادة لمقاتلة الانتيجين او قد لا يستخدمها في الوقت المناسب او ان ذخيرته من المواد الفاعلة كالانترفيرون او غيره من السلاح البيوكيميائي قد تعجز عن المقاومة.

مصانع ضد السرطان - ان المعدات الحديثة للبيولوجيا الجزيئية قد تساعد في معرفة مواضع الخطأ وتقويمه. فقد حدد الباحثون هوية ما يراوح بين ٥٠ و١٠٠ بروتيين ذات فاعلية ضد الاورام كما حددوا مواقع الجينات في اكثر من ١٢ منها. فاذا اخفق نظام المناعة في الجسم في تكوين هذه البروتيينات المقاومة، امكن صنعها خارج الجسم. وبنقل دقائق الـ«*DNA*» الملائمة الى البكتيريا يمكن العلماء ان يشكلوا مصانع تنتج كميات من المواد العلاجية التي لم تكن متوافرة سابقاً للدراسة السريرية. ومن هذه المواد الانترفيرون وهو بروتيين قوي يبدو انه يعزز المقاومة في الجسم وقد اخذ اكثر من نصيبه من الاضواء. الا انه نال اهمية كبيرة في الاتجاه الجديد للمعالجة من ناحية فعاليته الخاصة وهي ابرز ميزات الاجسام المضادة. فالجسم يصنع اكثر من مليون نوع من هذه الجزيئات وكل منها يستهدف انتيجيناً واحداً فقط تاركاً بقية الخلايا من دون مساس.

ويعتقد الدكتور فرانك روشر نائب رئيس الجمعية الامريكية للسرطان ان الاجسام المضادة سوف تمكننا من "تحويل المعالجة الكيميائية العشوائية رماية مباشرة دقيقة." فالمعالجة التقليدية تشن هجوماً صاعقاً على الجسم بكامله في محاولة للقضاء على الاورام السرطانية وعلى اي نمو جديد. ويقول الدكتور روشر: "وهكذا تقتل ايضاً بصيلات الشعر وخلايا القناة الهضمية واي انسجة طبيعية سريعة النمو." ولذا يحصل سقوط الشعر والغثيان والتقيؤ كرد فعل سُمي عادي. ويؤمل ان تصيب الاجسام المضادة الخلايا المستهدفة فقط من دون حدوث اي تفاعلات جانبية.

ولاعداد مثل هذه القذائف البيوكيميائية حاولت اجيال من الباحثين عبثاً استخلاصها من الدم. اما الآن فقد امكن الحصول على الاجسام المضادة الضرورية عبر تكنولوجيا التحام الخلية وهي شكل

آخر من الهندسة الوراثية. ففي العام ١٩٧٥ نجح العلماء في مجلس الابحاث الطبية في كامبردج (بريطانيا) في لحم خلية ورم دماغي الى كرية دم بيضاء تنتج اجساماً مضادة. فكان ان ورثت الخلية الهجينة عن الخلية البيضاء الام المقدرة على صنع جسم مضاد معين، وعن الخلية السرطانية المقدرة على التكاثر اللامتناهي خارج الجسم. ثم راحت تتكاثر بلا انقطاع معطية نوعاً واحداً من الاجسام المضادة يدعى "مونوكلونال". وقد هدفت التجارب السريرية الاولى التي اجريت بواسطة المونوكلونال الى تحديد مقدار الجرعة السليمة. وعلى رغم توافر الاجسام المضادة للتجارب العلاجية فان عدداً محدوداً من المرضى قبل للاختبار وهؤلاء لم يفيدوا جميعاً.

وفي التجارب الحيوانية الكثيرة تأتي افضل النتائج من طريق الاجسام المضادة التي تُربط كيميائياً بالعلاج السُمّي. ويأمل الباحثون ان تعمل هذه الاجسام الموشومة بالسمية بمثابة قنابل ذكية تنقل عبواتها القاتلة الى الخلايا المريضة من دون سواها.

العلاج المثالي - كثير من حالات السرطان عندما يبلغ مرحلة متقدمة لا يفيده اي علاج سوى الجراحة او الاشعة لتخفيف حجم الورم السرطاني. الا ان المشكلة تكمن بعد ذلك في بعض الخلايا السرطانية الشاردة التي تفلت من العلاج، اذ انها على رغم صغرها او قلة عددها كافية لان تقوم بهجمة جديدة من جراء سرعة انقسامها وتكاثرها. ويعتقد كثير من الباحثين أن مثل هذه الحالات هي التي تفيد فيها الاجسام المضادة الموشومة بالسمّية لانها تؤدي دوراً لا يثمن اذ تقتل الخلايا السرطانية المتبقية بعد العلاج التقليدي.

وفي دراسة حديثة اجراها اطباء مركز تكساس الصحي في دالاس عولجت فئران مصابة باللوكيميا (سرطان كريات الدم البيضاء) بواسطة الاشعة. ثم حقنت بالمونوكلونال الذي الصق به سم ال"رايسين" المستخرج من بزور الخروع، ولم تبدأ المعالجة الا بعدما بلغ السرطان ربع وزن جسم الحيوان. وقد خفت حدة المرض لدى الفئران الثمانية والثلاثين جميعاً وبعد ستة اشهر بات نصفها خالياً من المرض. من جهة اخرى نفقت جميع الفئران التي عولجت بالاشعة وحدها خلال اربعة او ستة اسابيع.

وقبل العلاج وبعده بقيت مشكلة عصيبة هي انتشار الخلايا السرطانية الى اماكن بعيدة في الجسم. وهنا يبدو ان المونوكلونال قد يفيد ايضاً كوسيلة تشخيصية قوية لتحديد شكل الاورام الخبيثة وموضعها.

ومن اولى التجارب في هذا الحقل واحدة اجريت في مستشفى جامعة لوزان في سويسرا عام ١٩٨١. فقد حقن مريض بسرطان المعي الغليظ بالمونوكلونال الموشوم بأثر بسيط من مادة كيميائية مشعة. ولدى تصوير المريض بعد ٢٤ ساعة بالاشعة بدت

الاورام السرطانية نقطاً بيضاء على شاشة. وكانت هذه هي المرة الاولى التي امكن القاء نظرة واضحة على مدى انتشار المرض. وبمثل هذه الطريقة قد يمكن اكتشاف الكثير من حالات السرطان خلال الفحوص الدورية في عيادة الطبيب قبل مدة طويلة من ظهور اي عرض مرضي.

ومن الطبيعي ان يكون اقصى النجاح هو القضاء على السرطان نهائياً بواسطة اللقاح. ومع ان املا كهذا يبدو بعيد المنال فان روشر لا يعتبره ضرباً من الخيال العلمي.

لقد اجري تعديل طفيف على تقنية التلقيح خلال العقد المنصرم. وما زالت الجراثيم الميتة او المعدومة الفاعلية تحقن في مجرى الدم، فيكون رد فعل الجسم ان يولد الاجسام المضادة الواقية. ونحن نعلم اليوم ان العامل المسبب للمرض ليس ضرورياً حضوره بكامله ليحفز المناعة، فالانتيجين الملتصق بسطحه كاف لهذا الغرض. والسؤال الرئيسي هو هل ان هذه الطريقة ستعطي المناعة القوية الطويلة المدى؟ وهل تكفي جرعة واحدة للمناعة ضد انواع مختلفة.

يتفق الباحثون المتفائلون على ان الهندسة الوراثية ما زالت في اطوارها الاولى. ولا ينكر احد من العاملين في هذا الحقل ان التجارب السريرية يجب ان تستمر سنوات عدة قبل ان تتوصل الى نتائج حاسمة.

وفي اي حال فالهندسة الوراثية تُعتبر التقدم الاهم في حقل السرطان خلال العقد الاخير. فقد كان العلماء حتى الآن يجبهون المرض بوسائل القوة والعنف من جراحة واشعاع وعلاج كيميائي. وكثيراً ما كانت تجاربهم شبيهة بالحروب التي تشنها الدول المستعمرة ضد الثوار: فمهما استوردت من جنود وعتاد فسوف يتعذر عليها ربح الحرب.

واليوم اذا نجحت خطط التلقيح الجديدة، فستكون حداً فاصلا لكل ما حدث في الماضي. فهي من حيث المبدأ تعمل مع الجسم لا ضده اذ تزيد من قوته الدفاعية. ويبدو ان السلاح الذي كنا نحتاج اليه لمقاومة السرطان كان دوماً في متناولنا، ولكن حتى ظهور الهندسة الوراثية لم تكن هناك وسيلة لتجنيد القوى الطبيعية الهائلة المخزونة فينا.

■ شارون وكاثلين ماكوليف

اوركسترا الحي

بعد عودته الى المنزل في نهاية الفصل الجامعي الاول، قال الشاب لاخته واصفاً خبرته الجديدة: "انها حياة رائعة حقاً. ففي جواري عازف كمان وعازف غيتار وقارع طبل وقارع صنج.... أنها اوركسترا كاملة. وهل يطلب المرء أكثر من هذا؟"

فأجابته اخته: "أجل، اني أطلب سدادتين لاذني."

ف.هـ.

حديقة أفكار

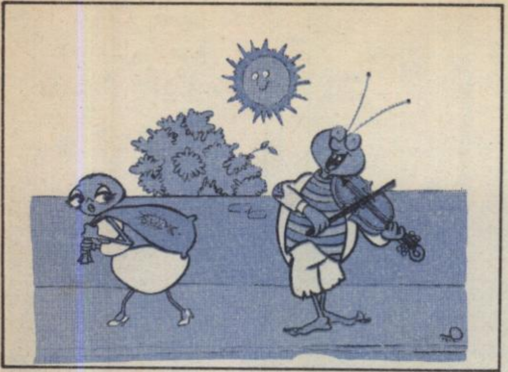

■ لا تحرر جملا من حمله، لأنك بهذا قد تعفيه من كونه جملا.

جورج تشسترتون

■ في الخصام يضيع الحق دائماً.

ب.س.

■ النشوة شيء لا يعبر عنه الكلام. انها كالموسيقى.

مارك توين

■ أتعب ما في التعب ألا يكون لدى المرء ما يفعل.

هـ.هـ.

■ ما غاية وجودنا ان لم تكن جعل الحياة أسهل للآخرين.

جورج اليوت، روائية

■ لا تظن أنك أقنعت شخصاً باخراسه.

جون مورلي

■ اني أحب الحقيقة لأن طعمها كطعم الخبز.

جان انوي

■ مأساة الحياة أننا لا نعرفها الا بعد أن نحياها.

ا.ب.

■ من السهل أن يُفهم حب من النظرة الاولى. لكن العجيب أن تدوم نظرة الحب بين شخصين سنوات طويلة.

سام ليفنسون، فكاهي امريكي

نسبة الوفيات الناتجة من سرطان الرئة في كل ١٠٠ الف مواطنة امريكية. والارقام مأخوذة باذن من الجمعية الامريكية للسرطان وتستند الى معلومات من المركز الوطني الامريكي للاحصاءات الصحية ومن المكتب الامريكي للاحصاء.

هناك حقيقة مرعبة هي ان عدداً متزايداً من النساء يقضين بسرطان الرئة الذي يحمله اليهن التدخين

● ازدادت حالات الوفاة بسرطان الرئة بين النساء الامريكيات بنسبة ٣١٣ في المئة منذ العام ١٩٥٠ و٨٠٠ في المئة منذ العام ١٩٣٠. ولن يمضي وقت طويل قبل ان يصبح هو السرطان الاول المسبب للوفاة بعدما تربع سرطان الثدي طويلا على هذا العرش.

● ازدادت نسبة الاصابة بسرطان الفم لدى النساء الامريكيات. وقد سجل احد تقارير التدرن زيادة ٨٤ في المئة بين ١٩٥٠ و١٩٨٠.

● اشار التقرير نفسه الى زيادة

Condensed from Medical Tribune (December 29, '82).
(c) 1982 by Medical Tribune, Inc., New York, N.Y. Chart by Ernest Coppolino

٥٦ في المئة في نسبة الاصابة بسرطان المثانة لدى النساء الامريكيات.

● ارتفعت نسبة الاصابة بسرطان البنكرياس لدى النساء الامريكيات وهي تكاد تداني النسبة المسجلة لدى الرجال.

ان الارتفاع المروع في هذه الاحصاءات يثبت صحة ما توقعه العلماء قبل جيل حين بدأت النساء التدخين الجدي. وقد تركزت هذه التوقعات على ما لوحظ لدى المدخنين الرجال، فانواع السرطان المتعلقة بالتدخين تستغرق ما يراوح بين ٢٠ و٣٠ سنة للظهور. وللاسف فان الزيادة ستستمر اذ ان الكثير لم يُعرف بعد عن عشرات الملايين من النساء المدخنات.

ولما كانت النساء خارج الولايات المتحدة بدأن التدخين باعداد كبيرة في وقت لاحق - بعد عقدين او ثلاثة في بعض البلدان - فان الزيادة في نسبة الاصابة بالسرطان الذي يحمله التدخين لم تظهر بعد في معظم هذه البلدان. واذا توقفت اولئك النسوة الآن عن التدخين، فسوف يكون في ذلك انقاذ حياتهن وتجنيب عائلاتهن هموماً واحزاناً وتحريرهن من عادة مدمرة ومن الاغراءات الترويجية المضللة.

ومن الصعب التغلب على عادة التدخين بعد بدئها. وأي رغبة في التغيير تعترضها التأثيرات اليومية التي يواجهها المدخنون. ففي محاولة التغلب على مصاعب العمل مثلا تدعي معظم النساء حاجتهن الى وسيلة سهلة للاسترخاء او شحذ الغريمة.

والعوامل الأكثر اقناعاً هي الاعلانات وحملات الترويج التي تستغل السوق النسائية الواسعة. فالاعلانات عادة تصور المدخنات رشيقات ومثيرات وناجحات وتدعوهن الى "التحرر" من طريق التدخين.

وترعى احدى شركات السجائر دورات في كرة المضرب، فكأنها تربط بين منتوجاتها ونشاط الجسد وعافيته متجاهلة قصداً حقيقة كون الرياضيين الناجحين لا يجرؤون على التدخين.

بدأت ظاهرة التدخين لدى النساء قبيل الحرب العالمية الثانية حين كان العالم اقل ادراكاً للعلاقة بين التبغ والصحة. لكن الاخطار واضحة الآن ليس بالنسبة الى السرطان فحسب، بل ايضاً في ما تعلق بتضخم الرئتين والالتهاب الشعبي وامراض القلب والشرايين. ولدى النساء خصوصاً الكثير ليخسرنه: فاللواتي يدخن اثناء الحمل يتعرضن اكثر لخطر الاجهاض أو موت الجنين. وقد يولد اطفالهن اصغر حجماً من المواليد العاديين او يعانون مشاكل صحية في سني حياتهم الاولى. ويؤثر تدخين الام سلباً في نمو الطفل الجسدي والعقلي والسلوكي في المدى الطويل.

والجمع بين التدخين وحبوب منع الحمل يزيد من خطر امراض الاوعية التاجية. فيعظم خطر السكتة القلبية لدى النساء المدخنات في مرحلة ما قبل سن اليأس. ولا ننسَ الاسنان الصفراء والسعال والتهاب الجيوب.

وفي كل يوم يتحول الوف الشباب

مدخنين مواظبين لا يدرون ان سنين طويلة من التدخين من شأنها تعريضهم للسرطان ولامراض اخرى كثيرة. وفي حال عدم توقفهم عن التدخين فانهم سيحققون التنبؤات نفسها التي حققها آباؤهم من قبل.

وعلى رغم هبوط نسبة المدخنين في السنوات القليلة الماضية فقد التزمت ملايين النساء عادة حرق السيجارة. وكثيراً ما نسمع من تقول: "الله وحده يعلم كم مرة حاولت التوقف عن التدخين" أو "ليس من الموت بد" او "لا اريد ان يزيد وزني."

ربما يهم هؤلاء النساء ان يعرفن ان ملايين الناس يتوقفون عن التدخين. قلة منهم تتوقف بسهولة، ومعظمهم يعود الى التدخين غير مرة قبل ان يتوقف نهائياً، وبعضهم يتوقف بطريقة العلاج الجماعي او برامج اخرى. وهناك عدد ضئيل ممن يتوقفون حين يرون بعيونهم مأساة عزيز يفتك به السرطان.

ومع هذا كله يبقى الكثيرون غير قادرين على التخلص من هذه العادة. لكن معظمهم سيجد نفسه فجأة مضطراً الى التوقف عن التدخين حين يرى ظلا مخيفاً في صورة بالاشعة لرئتيه او يفقد اوتاره الصوتية او مثانته.

انا لن انسى ما حييت اماً لثلاثة اولاد عمرها ٣٩ سنة وقد جاءت صورة رئتيها بالاشعة دليلا قاطعاً على اصابتها بسرطان الرئة. لو كان في الامكان نقل حزنها الى المدخنين او نقل ذلك الشعور بالكارثة التي كان في وسعها درؤها بملء ارادتها، لو امكنهم فقط تصور وقع النبأ على عائلتها واحبائها، لربما اخرجهم ذلك من التعليل الخاطىء بأن الضحية ستكون دائماً شخصاً آخر.

الوقت قصير والفرص سانحة، وفي وسع التجمعات النسائية الاحتجاج على الاعلانات التي تستغلهن وتوعية الشباب الى اخطار التدخين. وللنساء المدخنات ايضاً ان يكنّ مثالا فيتوقفن عن التدخين ويساعدن المنظمات التي كرست نفسها لتخليص الناس من هذه العادة.

ان جهوداً مثل هذه ستساعد حتماً في اقناع الناس بترك السيجارة. فالتوقف عن التدخين قد يكون - مثل بدئه - معدياً وسريع الانتشار.

■ **وليم كاهان**

خبير بسرطان الرئة نال جائزة الخدمات المميزة للجمعية الامريكية للسرطان عام ١٩٨٤.

اطفال الالكترون

هذه الالعاب الالكترونية المستحدثة تقضي على كل علاقة طبيعية بينك وبين أولادك. فكيف تطلب من ابنك أن يمسح أنفه وقد حطم لتوه ثلاث مجرات وسبع سفن فضائية ونظامين شمسيين؟

مجلة "كوميديا اوربن"

الرّبوط: عَامِل مَاهِر لا يتغيّب ولا ينَام

بعد السيارات والالكترونيات تنافس اليابان الولايات المتحدة وتتفوق عليها في صناعة الرجال الآليين

وقبل خمس عشرة سنة زار جو انغلبرغر (★) اليابان وألقى سلسلة محاضرات عن الربوط (الرجل الآلي) الذي لم يكن معروفاً هناك في ذلك الحين. فأذهله التجاوب الذي لقيه إذ توافد المئات لسماع محاضراته بينما لم تلقَ دعواته سوى استجابة ضئيلة في الولايات المتحدة.

واليوم يعم الربوط كل مكان في اليابان. انه يمثل الأبطال في المسلسلات التلفزيونية والافلام السينمائية. وفي معرض جزيرة كوبي عام ١٩٨١ ظهر ربوط له جلد من البلاستيك في دور الممثل الشعبي ناماسابارو باندو في زي اميرة. وثمة ربوط في شكل مارلين مونرو يمكنه ان ينشد أغنية لها في عروض يقدمها

(★) مؤسس شركة "يونيمايشن" ورئيس مجلس ادارتها وهي اكبر شركة في العالم لصنع الربوطات.

(c) Kaku Kurita/Gamma Liaison, Inc.

(c) Kaku Kurita/Gamma Liaison, Inc.

مصنع "فانوك" لانتاج الربوطات الصناعية تشغله الى حد بعيد مجموعة من الربوطات.

فندق محلي. لكن أبرز دور للربوط هو في مجال الصناعة.

ان نحو ثلثي ما في العالم من الربوطات تقطن اليوم في اليابان. وأحد اسباب ذلك هو أن الحكومة تمنح الصناعة التي تستخدم الربوط امتيازات وتشجيعاً مالياً ومعنوياً كالتي حققت انتصار اليابان على الولايات المتحدة في حربي السيارات والالكترونيات.

ويقدر الخبراء ان القرن المقبل سيشهد صراع الدول الصناعية للحصول على حصة لها في سوق الربوط التي ستتداول مليارات الدولارات. وستجد اليابان نفسها مرة اخرى في مواجهة

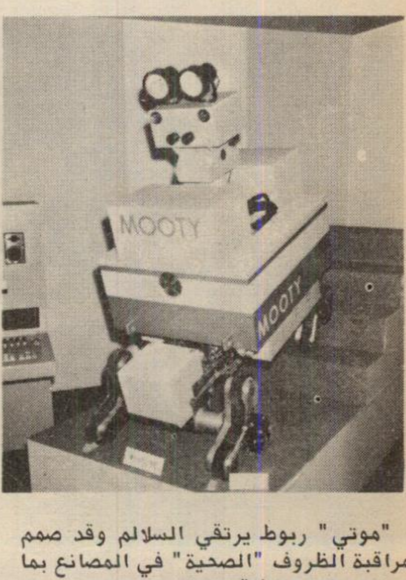

Toshikazu Yamakoshi/PROS

"موتي" ربوط يرتقي السلالم وقد صمم لمراقبة الظروف "الصحية" في المصانع بما فيها مصانع الطاقة الذرية. وهو مبرمج للصيانة واصلاح الاعطال في المؤسسات الصناعية والنووية وفي مناجم الفحم كذلك.

مع الولايات المتحدة المنتجة المنافسة للربوط، ومرة أخرى سيتقدم اليابانيون الى الطليعة مع انهم دخلوا متأخرين وذلك بتحقيق انتاج يتوقع ان تتضاعف قيمته خمس مرات بحلول العام ١٩٩٠ فتبلغ مليارين و٣٠٠ مليون دولار سنوياً.

ليس في ربوط اليوم ما يثير الدهشة من الناحية التقنية، تماماً كما كانت حال السيارات اليابانية الصغيرة حين انزلت الى سوق الولايات المتحدة في الستينات. ولكن على غرار السيارات الصغيرة أخذ الربوط الياباني يغير التركيب الاقتصادي العام.

ان معدل النتاج السنوي للعامل في احدث المصانع اليابانية المسيرة آلياً الى حد بعيد (اي بغنى عن اليد العاملة) يبلغ نحو ٥٠٠ الف دولار في مقابل معدل اجر سنوي يبلغ ١٠ آلاف دولار. وهذا يعني ارباحاً ضخمة.

ويعزى جانب من هذا الربح الى الاستعاضة عن العامل البشري بعامل آلي "يشتغل" ٢٤ ساعة في اليوم ولا ينام ولا يتغيب ولا يهدر الوقت. ويغدو الربوط بازدياد بديلا أفضل من العمال البشريين. ويقول الخبراء في مصرف القروض الطويلة الأجل في اليابان انه في حين كان معدل الاجر يرتفع بنسبة ١٣ في المئة سنوياً خلال العقد المنصرم فأن كلفة الربوط لم تتبدل وبقيت ٢٥ الف دولار.

اذرع ومفاتيح - يعود تعميم استخدام الربوط في الشركات اليابانية - كبراها وصغراها - الى

Condensed from New York Times Magazine (January 10, '82).
(c) 1982 by The New York Times Co., New York, N.Y.

"المؤسسة اليابانية لتأجير الربوطات" التي يقال انها أول مشروع لتأجير الربوط للمصانع الصغيرة في العالم. وفي وسع اي مصنع ان يستأجر ربوطاً للحم المعادن في مقابل ٦٠٠ دولار شهرياً. واذا افترضنا ان العامل البشري يتقاضى ١٢٠٠ دولار شهرياً بما في ذلك بعض العلاوات، فان الربوط الذي يعمل طوال اليوم يشغل مكان ثلاثة عمال بشريين اي انه ينجز عملا توازي قيمته ٣٦٠٠ دولار في مقابل ٦٠٠ دولار فقط. وكانت الحكومة اليابانية شجعت ٢٤ شركة تصنع الربوطات و١٠ شركات تأمين على تأسيس المؤسسة المشار اليها.

يصنع الربوط في احجام واشكال مختلفة. وكان الربوط الياباني البدائي عبارة عن اذرع آلية تحركها مجموعة من المفاتيح داخل جسمه. فما أن ينجز جزءاً معيناً من المهمة الموكلة اليه حتى يتحول مفتاح داخله ليوجه الذراع الى المرحلة التالية. اما اذا تغير خط الانتاج فان الامر يستوجب تفكيك الربوط كله وتصميم تعاقب جديد لحركة المفاتيح.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٠ استأجر توشيو ايغوشي ثلاثة ربوطات من النوع البسيط للعمل في مصنعه في طوكيو. وكانت لديه آلة تبخ كمية من البلاستيك السائل داخل قالب، فيبقى ان تفرز القطعة التي تشكلت الى ستة اجزاء وتلقى في علبة من الورق المقوى وترسل الى مصنع صغير آخر حيث تجمع مع قطع اخرى لتغدو لعبة في شكل آلة تصوير.

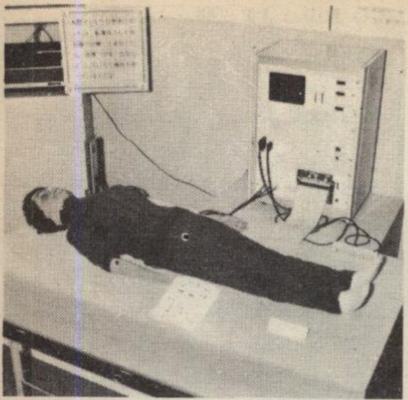

Toshikazu Yamakoshi/PROS

"مدرّب" للممرضات. هذا الربوط يأخذ تعليماته من دماغ الكتروني فيحدث اوضاعاً مختلفة يعانيها المرضى الحقيقيون، فتعمد الممرضة المتدربة الى فحص التنفس وضغط الدم وصوت القلب وسوى ذلك.

وكان هذا يمتص جهود عاملَين اثنين بدوام كامل وعاملين آخرين بدوام جزئي. ولكن، يقول ايغوشي: "كنت في بعض الايام لا اعرف اذا كان عمالي سيحضرون أم لا، وكان هذا يزعجني." والآن بين ليلة وضحاها تملأ الربوطات علب الورق المقوى بقطع البلاستيك، وهي تتألف من أذرع معدنية تنزلق على قضبان حديد وغير معقدة نسبياً. ويدفع ايغوشي ٤٧٠ دولاراً شهرياً اجراً للربوطات. وهذا اقل من ربع ما كان يدفعه لعماله البشريين.

جزء من العالم – تختلف الربوطات الحديثة كثيراً عن الآلات التي تعمل في مصنع ايغوشي. فالتسيير يتم اليوم بواسطة الدماغ الالكتروني

وليس بالمفاتيح. وتبعاً لذلك فان مجموعة مؤتلفة من ربوط وآلة يمكن ان تبرمج لاتمام عملية ثقب في لحظة ما ثم عملية قشر في لحظة تالية دونما حاجة الى تفكيكها. والربوطات الحديثة ذات الاذرع المرنة يمكنها تأدية عمليات اضافية مثل رش الطلاء ولحم المعادن.

وقد تجندت الشركات الصناعية الكبرى في اليابان لابتكار ربوطات اكثر تطوراً. وتدرس الحكومة الآن خطة سبعية (على مدى سبع سنوات) للتعجيل في تطوير ربوطات اكثر مهارة. فالحسومات الضريبية والقروض المدعومة من الدولة سهلت للشركات الحصول على الربوطات.

كذلك فان اعجاب اليابانيين الفطري بالآلات يساعد الشركات في جهودها. فالعمال الامريكيون مثلا لا يتحمسون للربوطات. اما في اليابان فالعمال يطلقون عليها اسماء المغنين الشعبيين ونجوم الرياضة.

حتى ان البعض يعتقد ان للتقاليد اليابانية دوراً مؤثراً في مدى تغلغل الربوط في المجتمع الصناعي الياباني. ومن انصار هذا الرأي أوسامو تيزوكا صاحب الرسوم الكاريكاتورية التي تنشر في الصحف وتصور الربوط بطلا شاباً، فهو يقول: "خلافاً للغربيين لا يميز اليابانيون بين الانسان - المخلوق المتفوق - والعالم الذي يحيط به. فنحن نتقبل الربوط كجزء من العالم الواسع."

كذلك فان عمال الانتاج في الشركات اليابانية الكبرى يرتاحون الى وجود الربوط بينهم. فالاتفاقات التي تضمن ديمومة العمل حتى السن الـ٥٥ على الأقل تبعد الخوف من البطالة، كما ان الربوط يتيح للعمال فرصاً في مجالات جديدة قد تستهويهم اكثر وتوفر لهم أجراً افضل. والى ذلك يحبذ هؤلاء التدابير التي تحسن الانتاج لأن هذا يزيد الارباح المشتركة التي قد ترفع دخلهم بنسبة ٥٠ في المئة. وبالمقارنة مع ذلك لا تضمن الشركات الامريكية لمستخدميها ديمومة العمل مدى الحياة او تمنحهم اكراميات او تقاسم ارباح او اي شيء آخر قد يحد من انعكاسات دخول الربوط عالم الصناعة على مداخيل العمال.

والعديد من الصناعيين الامريكيين لا يعيرون بالا للسبق الياباني في انتاج الربوطات واستخدامها، ويعود ذلك الى اعتقادهم ان الولايات المتحدة هي السابقة في الابحاث الربوطية. ولا ريب في ان صناعة الربوط الحديثة انطلقت من الولايات المتحدة وان الصناعة الامريكية كانت تركز على صنع ربوطات كبيرة ذات تقنية عالية اكثر من تركيزها على الربوطات الصغيرة البسيطة التي يفضلها اليابانيون. لكن السؤال الرئيسي ليس عن البلد الذي يملك ربوطات اوفر ذكاء، بل عن البلد الذي يملك الرغبة في الحصول على هذه الآلات - البسيطة الآن والمعقدة لاحقاً - القادرة على زيادة الانتاج ثلاثة اضعاف او اربعة.

من هذا المنطلق لا شك في ان اليابانيين هم في الطليعة.

■ هنري سكوت ستوكس

الغزالة النروجيّة

غريت فايتز عداءة نروجية حسناء اثبتت قدرة النساء على اجتياز سباقات المسافات الطويلة

يذكر التاريخ ان عَدو الماراتون الاول حدث عام ٤٩٠ قبل الميلاد وكان بطله جندياً يونانياً ركض مسافة ٣٠ كيلومتراً لينبىء الاثينيين بانتصار عظيم على الفرس فوق سهل ماراتون. ولم يكد الجندي يلفظ رسالته حتى هوى ميتاً. وقد ظل الكثيرون حتى عهد قريب يشكّون في مقدرة النساء على تخطي ٤٢ كيلومتراً و١٩٥ متراً في الماراتون الأولمبي للقرن العشرين من دون ان يسقطن امواتاً بعد ذلك.

وجاءت النروجية غريت فايتز بساقيها الرشيقتين السريعتين تحمل رسالة مقنعة الى هؤلاء المشككين. تلك الانثى الخجولة التي في التاسعة والعشرين بدأت عملها مدرّسة ولم تلبث ان احتلت عرش ماراتون نيويورك،وهو من اعظم سباقات

المسافات الطويلة واكثرها اثارة في العالم. فقد اشتركت في ثلاثة سباقات ربحتها كلها بتوقيت صاعق.

سأل عنها أبناء نيويورك عندما اذهلت مدينتهم عام ١٩٧٨: "من تكون غريت هذه؟" الا ان شهرتها في بلادها ذاعت بين أربعة ملايين نسمة منذ سني مراهقتها. وقد اختارها قراء إحدى كبرى الصحف اكثر النروجيين شعبية في السبعينات مؤثرين اياها على ملك البلاد المحبوب اولاف الخامس.

ولدت غريت لعائلة اندرسون في اوسلو عاصمة النروج. وكان والدها موظفاً في شركة ادوية وأمها بائعة في احد المخازن. وكانت طفلة ملأت قلوب البالغين رهبة. فقد كان جدول اعمالها اليومي يتضمن تفاصيل نشاطاتها حتى آخر دقيقة. وكانت تلميذة لامعة لكنها في الحادية عشرة بدأت تنشد متنفساً لطاقتها الجسدية. فدعاها جارها تيرجي بيدرسون، وهو صاحب رقم عالمي في رمي الرمح، الى ممارسة الرياضة في نادي "فيدار" الذي كان عضواً فيه.

وفي وقت قصير غدت غريت اولى الواصلين الى شريط النهاية، يطير خلفها شعرها المعقود كذيل الفرس. وعندما كانت تمثل ناديها في سني مراهقتها كانت تركز على مسافتي الـ٤٠٠ والـ٨٠٠ متر. وفي سنها السابعة عشرة نالت بطولة النروج للشابات تحت السن العشرين في كلا السباقين كما ربحت ميداليات فضية في سباقات البطولة للراشدات.

وحين بدأت تدربها على التعليم المدرسي ركزت جهدها في الوقت نفسه على مسافة الـ١٥٠٠ متر، كما خصصت جزءاً من وقتها لتقديم برنامج تلفزيوني رياضي للأطفال. وكانت تقول لمشاهديها الصغار: "أركضوا من أجل المرح، وسوف تتمتعون اكثر بالحياة مثلما اتمتع انا." وهي كانت صادقة. فقد اصبح وجهها الصافي الذي يشع عافية مألوفاً لدى كل نروجي، كما انها جسدت في تواضعها وابتسامتها اللطيفة وتناسق جسمها افضل ما يمكن ان يتصف به شباب النروج.

صدمة مخيبة - في العشرين من عمرها حازت غريت المرتبة الثالثة في بطولة اوروبا للاناث لمسافة الـ١٥٠٠ متر وهو اطول سباق دولي للاناث في تلك الايام. وكالكثيرين من عدائي المسافات الطويلة الذكور كانت تفتقر الى تلك الفورة السريعة في نهاية السباقات القصيرة حيث لا تجد لقدرتها على التحمل مجالا للتعبير. لكنها كانت تختلف عنهم في انها لم تتوافر لها مسافات اطول، اذ ان تلك لم تكن موجودة في دفاتر المرأة الاوروبية.

واخيراً في الحادية والعشرين من عمرها اشتركت غريت في سباق الـ٣٠٠٠ متر وكان جديداً من نوعه عام ١٩٧٥، فسجلت رقما قياسياً عالمياً.

في ذلك الوقت كانت غريت تمارس التعليم في أوسلو وقد وضعت لنفسها برنامجاً يومياً يتضمن ركض مسافة ١٣ كيلومتراً مرتين في اليوم. ولم تلبث ان وجدت لها شريكاً يعدو الى

جانبها. ففي ايام مراهقتها في فيدار كانت تتدرب مع الصبيان وبينهم رياضي قصير اسمر يدعى جاك، فتوطدت بينهما أواصر علاقة متينة. وكان جاك عداء مرموقاً للمسافات الطويلة لكنه ارجأ طموحاته ليكون مدرب رفيقته التي اصبحت السيدة فايتز عام ١٩٧٥.

ولم يكن النروجيون حتى ذلك الوقت يؤمنون بمقدرة النساء على اجتياز الامتحان النهائي للمسافات: الماراتون. ولم تكن الانباء بلغت جاك وغريت بأن الماراتون الامريكي فتح ابوابه للنساء. وبدأ الصحافيون في اوسلو يشجعون غريت كرابحة اكيدة لسباق الـ١٥٠٠ متر للاناث في اولمبياد مونريال ١٩٧٦. وكان أمل غريت ان تجتاز المرحلة النهائية لأنها كانت تعلم أنها تحتاج الى اكثر من ١٥٠٠ متر لتظهر قوتها.

وبذلت قصارى جهدها في مونريال قاطعة الـ١٥٠٠ متر بأقصى سرعتها في المباريات نصف النهائية. لكنها لم تتمكن من الصمود حتى المرحلة النهائية. وللمرة الاولى اظهرت غريت مشاعرها، فانسحبت الى غرفة الملابس وبكت بأسى.

لم يبقَ في النروج من لم تصعقه أنباء خسارة غريت. وهي حملت جرحها وعادت الى اوسلو حيث اختبأت. وبتحررها من الوهم الذي ملأ حياتها تخلت عن الركض.

وحاول جاك مواساتها قائلا: "لم لا تحاولين ثانية ان تجدي في العدو فرحاً لك؟" وراحا يعدوان معاً في الارياف بعيداً عن الجموع المتقلبة.

ولم تلبث ان ظهرت غريت أخرى تعودت سباق الضاحية حتى ١٦ كيلومتراً وعادت الى سابق عهدها وطبيعتها.

في سباقات الضاحية الاوروبية راحت تربح سباقاً تلو آخر بلا انهزام. وفي السباقات المختلطة كانت غالباً تترك العدائيين الذكور يلهثون في اعقابها. وبدأت عام ١٩٧٨ تربح مباريات دولية. وراحت الجموع النروجية تدير ظهورها للرجال لتحيي غريت العائدة الى وطنها بالظفر. منذ ذلك الوقت لم تخسر غريت سباقاً يتجاوز الـ٣٠٠٠ متر وان تكن خسرت ثلاثة فقط لهذه المسافة.

محطمة الأرقام ـ هذه النجمة الفاتنة في الالعاب الرياضية الاوروبية لم تكن معروفة في الولايات المتحدة عندما دعاها فريد ليبو من نادي عدائي نيويورك الى الاشتراك في ماراتون نيويورك للعام ١٩٧٨. وكانت النساء الامريكيات يتبارين في هذا السباق منذ ١٩٧٠، الا ان ليبو شاء ان يضيف الى المباراة بطلات من الخارج.

ولدى وصولها الى نيويورك سألها ليبو عن اطول مسافة ركضتها فأجابت: "٢٠ كيلومتراً." وهذا خيب أمله. الا انه عزى نفسه بانها وان قصرت عن اكمال الـ٤٢ كيلومتراً فسوف تحفز الامريكيات على تسجيل ارقام جديدة في النصف الاول من السباق.

عند نقطة الانطلاق على جزيرة ستاتن شعرت غريت بالوحدة وهي

تقف بين رسميي نيويورك ورفيقاتها العداءات. ومع طلقة البدء أرخت العنان لأعصابها وركضت بسهولة ملازمة بطلة العالم الالمانية كريستا فاهلنسيك طوال النصف الاول من السباق. اما الامريكية مارتي كوكسي فسبقتهما بـ١٨٠ متراً. ولم تلبث غريت بعد ٢٩ كيلومتراً ان تخطت مارتي كوكسي وباتت في الطليعة.

وبدأ الألم في ساقيها ورئتيها فنادت احد العدائين الواهنين الذكور تسأله: "كم بقي من الكيلومترات؟" ولاحت لها أشجار حديقة "سنترال بارك" حيث وقف جاك يبتسم عند خط الـ٤٠ كيلومتراً، فصاح بها: "سوف تحطمين رقم العالم!" وقطعت غريت خط النهاية بعد ساعتين و٣٢ دقيقة و٣٠ ثانية متفوقة على اي امرأة اخرى من قبلها بدقيقتين و١٨ ثانية. وفجأة كانت نيويورك باسرها تهتف باسمها.

وعادت غريت فايتز لتبهر الامريكيين ثلاث مرات عام ١٩٧٩ عندما ربحت سباقين قصيرين وماراتون نيويورك مرة ثانية مختصرة من رقمها اربع دقائق و٥٧ ثانية. ولو حدث هذا عام ١٩٧٠ لكانت غريت في طليعة سباقي الماراتون جميعاً، نساء ورجالا.

امرأة خارقة! ـ تصحو غريت في الخامسة والنصف كل صباح لتركض جولتها اليومية الاولى. وفي عتمة شتاء النروج الطويل ترتدي ثلاث بذلات رياضية لاتقاء البرد القاسي. وعلى الطرق يطلق راكبو الدراجات ابواقهم ويهتفون تشجيعاً. وفي الصيف تفضل غريت وحدة غابات النروج المعتدلة فتنطلق صعداً فوق التلال.

في تلك الاماكن المستوحدة تكون الحوافز كلها من صنعها، وذاك جل ما تحب ومن اجله رفضت مساعدة الدولة لها، فهي اذا خضعت لتدريب قاس مرتين يومياً، فذلك لأنها اختارته بملء ارادتها.

وفي غضون ذلك هجرت غريت مهنة التعليم ليتسنى لها المزيد من الوقت للتمارين والسفر.

لكن لاحتراف الركض ثمناً غالياً. فقد الزمها تمزق وتر اخيل (وتر العرقوب) حدود بيتها بضعة اسابيع عام ١٩٨٠. ووجدت من الصعب ان تستأنف التدريب وأنها ركضت ما فيه الكفاية. فلِمَ لا يراها الناس ثانية كشخص عادي وليس كامرأة خارقة؟

وجادلها جاك قائلا: "لقد ساهمت في ايجاد جو للاناث لعدو المسافات الطويلة، فلماذا لا تفيدين منه؟ ثم انك لن تحصلي على هذه الفرصة سوى مرة واحدة."

وكان جوابها: "حسناً. سأبقى سنة اخرى."

اتخذت ذلك القرار في اوائل خريف ١٩٨٠. وفي ٥ اكتوبر (تشرين الاول) كانت في اسوج (السويد) لتشارك في "ليدينغو لوبيت" اكبر سباقات الضاحية في اسكندينافيا وهو يقام سنوياً حول جزيرة ليدينغو خارج استوكهولم ويشترك فيه نحو ١٤ الف عداء. هناك بين ١٣٠٠ انثى في سباق الـ١٦ كيلومتراً حطمت غريت

فايتز رقمها القياسي بأكثر من دقيقتين في ٥١ دقيقة و٣ ثوان.

وفي ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) عادت الى نيويورك. وكمثل ريح باردة تخترق العظام راحت تعصف في الشوارع تحت سماء مكفهرة. لم تعد غريت غريبة، وهي تقول: "بت كأني أركض في بلدي." ويوافق على ذلك مليونا متفرج هتفوا لها اثناء مرورها: "يمكنك ان تفعليها ثانية!"

عندما ركضت غريت في شوارع المدينة لم يجد فيها المشاهدون رجولة أو تعضيلا. كان طولها ١٧٠ سنتيمتراً ووزنها ٥٤ كيلوغراماً وهي ناحلة جداً لا لحم فيها زائداً ولا مجهود يبدد. كانت تركض بتركيز كلي فلا تلتفت يمنة ولا يسرة موفرة ذخيرتها لوقت الحاجة.

طوال الكيلومترات الأولى ظلت البطلة الامريكية باتي كتالانو جنباً الى جنب مع غريت ثم تقدمتها. وبعد ثمانية كيلومترات بدأت كاتالانو تتمهل وتصدرت غريت السباق من جديد. تخطت الرجال وبينهم الفنلندي لاس فيرن صاحب الميداليات الذهبية الاولمبية لسباقي الـ٥٠٠٠ والـ١٠،٠٠٠ متر للعامين ١٩٧٢ و١٩٧٦.

وعند منتصف الطريق ركضت بسرعة لم يصمد أمامها رقم قياسي، وربما بسرعة خارقة. ثم تباطأت. وعند نقطة الـ٢٩ كيلومتراً دهمها شعور بالبرد وعانت تشنجات في ربلتي ساقيها وفخذيها. وطالت الحال هذه. وعند نقطة الـ٣٥ كيلومتراً احرزت تقدماً جديداً على كاتالانو. وعند نقطة الـ٤٠ كيلومتراً وقف جاك كالعادة في انتظارها وهو يحفزها على المتابعة قائلا: "أنت تحققين رقماً جديداً!" فصرت اسنانها. وازداد ضجيج الجموع حين وصلت الى خط النهاية في ساعتين و٢٥ دقيقة و٤١ ثانية.

لقد حطمت غريت رقمها للعام ١٩٧٩ بنحو دقيقتين. وكان الرقم القياسي للرجال ساعتين و٨ دقائق و٣٤ ثانية وقد سجل عام ١٩٦٩. الثغرة تلتحم بسرعة وغريت فايتز تركض بين صفوة عدائي العالم وبينهم ٢٠٠٠ مشترك اجنبي يمثلون ٤٣ دولة. وتقدمت غريت الى خط النهاية في الطليعة وامامها ٧٣ رجلا من أصل ١٣،٥٠٠ اشتركوا في السباق.

ووصلت باتي كاتالانو بعد غريت بثلاث دقائق و٥٢ ثانية، فكانت المرأة الثانية في العالم التي انهت سباق ماراتون في اقل من ساعتين وثلاثين دقيقة.

غريت فايتز هي قائدة هذه المسيرة، وسوف تتبعها نساء كثيرات. انها مثل عداء الماراتون الوحيد للعام ٤٩٠ قبل الميلاد تحمل انباء النصر.

■ موريس شادبولت

الرجال الفرنسيون يحبون النساء كثيراً، ويصنفونهن في مرتبة تليهم مباشرة.

ج.ك.

الابن سرّ أبيه

كنت أحسِب ان لي شخصية فريدة مستقلة ٠
واليوم انظر الى ابي فأرى فيه نفسي

الواقع اني تغيرت٠ ومع ان هذا التغيير كان خفياً وبطيئاً فقد لاحظه اناس آخرون٠ وأنا الآن اعاني ظاهرة ال"هاري ـ كوينية"٠

هاري كوين هو والدي٠ غير ان هذه الحقيقة لم تكن لسنوات طويلة تتجاوز كونها امراً واقعاً إذ كنت مختلفاً عنه في اكثر الامور٠ فهو كان يستطيع تهجي الكلمات ولم أكن استطيع ذلك٠ وكانت لديه القدرة على حل اعمال الرياضيات في ذهنه وأنا افتقد هذه القدرة٠ ولم يكن ينام بعد السادسة صباحاً في حين كان يسعني ان استرسل في نوم عميق الى الابد٠ وكان يبدو اكبر سناً مني بما لا يقاس٠

أما الآن فكلانا كهل٠ هو في المرحلة الاخيرة من الكهولة وأنا في المرحلة الاولى منها٠ الا أنه يجوز القول اننا من عمر واحد٠ وانا الآن يمكنني ان اتحدث اليه كما اتحدث الى صديق لي٠

وأنا الآن استيقظ باكراً مثله٠ وعندما كنت صغيراً كان يدخل غرفتي في الاولى بعد الظهر فيراني مستغرقاً في نومي فينفجر حانقاً: "انهض يا ولد! انهض!" فهو لم يكن يفهم كيف يمكن ان ينام الانسان الى هذا الوقت المتقدم وأنا لم أكن افهم كيف لا يكون هذا ممكناً٠

لقد تغيرت الحال وبت استيقظ في السادسة صباحاً وعبثاً أحاول النوم بعد هذا الوقت٠ وظننت لفترة طويلة ان خطباً الم بي ولم افهم ما يجري، ثم اتضح لي اني بدأت اتقمص شخصية أبي٠

واظن ان معظم الناس يعلمون ما أتحدث فيه إذ يبدو من المألوف ان يخالجهم شعور بتقمص شخصيات أمهاتهم او آبائهم٠ وينتبه الرجل عادة الى هذا الامر عندما يقول له احد

Condensed from The Vancouver Sun (January, 28, '82).
(c) 1982 by The Washington Post Co., Washington, D.C.

الاشخاص: "انك تمشي كأبيك" او "أنت تشبه أباك من الخلف." وقد تجد أنك اصبحت تهز رأسك مثلما يفعل ابوك فيستوقفك ما بينكما من شبه. كان صديق لي يلعن سيجار أبيه والطريقة التي يذر بها الرماد على ثيابه، فاذا به ينظر ذات يوم الى ثوبه هو فيراه مكسواً برماد السيجارة، فعرف انه اصبح رجلا آخر.

وكان أبي يهوى الركض ويفضله على سواه من ألوان الرياضة. أما أنا فلبثت سنوات لا أكترث لهذه الهواية. وكان يعرف اسماء كبار العدائين من أبناء جيله ويعرف ايضاً تفصيلات عن الحقبة التي عاشوا فيها. ومن بين هؤلاء العدائين فندلنديون في اسمائهم نغمات رائعة. غير ان مجرد سماعي هذه الاسماء كان يزعجني. أما الآن فقد بت أركض وبدأت أولي تلك الرياضة اهتمامي، بل إني حفظت أسماء بعض العدائين.

وأنا أعلم أن المنطق يقضي بان اتقمص ايضاً شخصية امي لان نصف عدد جيناتي الوراثية يعود اليها. لكني لسبب ما اشعر ان جيناتها اثرت فيّ في وقت سابق ومن ثم بدأ تأثير ابي.

فأبي هو الذي ينام وهو يشاهد التلفزيون. وهو الذي تخونه التفاصيل عندما يسرد حكاية ما. وهو الذي يخبرك القصة نفسها مرتين.

لقد كنت أحسب ان لي شخصية مستقلة وان في وسعي ان اكون من اريد. اما الآن فبت اعرف ان الجينات تحدد مصير الانسان فيغدو المستقبل في الحقيقة وجهاً آخر للماضي. ومع ذلك فليس في الامر اي مشكلة اذ ان ابي رجل عظيم ولطيف وحساس وذكي. فأنا وابي متشابهان مع اني لم ادرك هذا الا قبل وقت قصير. وعندما انظر الى ابني - الذي لا يشبهني - وهو مستغرق في نومه حتى الظهيرة اقول متعجباً: من اين ورث هذه العادة؟

■ ريتشارد كوين

سياسة المشاكل

جلس صيرفي ومهندس كهرباء وسياسي يجيبون عن أسئلة لقياس الذكاء. وكان أحد الاسئلة الآتي: "أي عبارة تستعمل لوصف المشكلة التي تحصل لدى زيادة الخارج على الداخل؟"

فأجاب الصيرفي: "سحب زائد،" والمهندس: "شحنة زائدة." أما السياسي فقال: أي مشكلة؟"

ج.ك.

الثياب التي لا تحبها هي أطول الملابس عمراً في خزانتك. س.هـ.

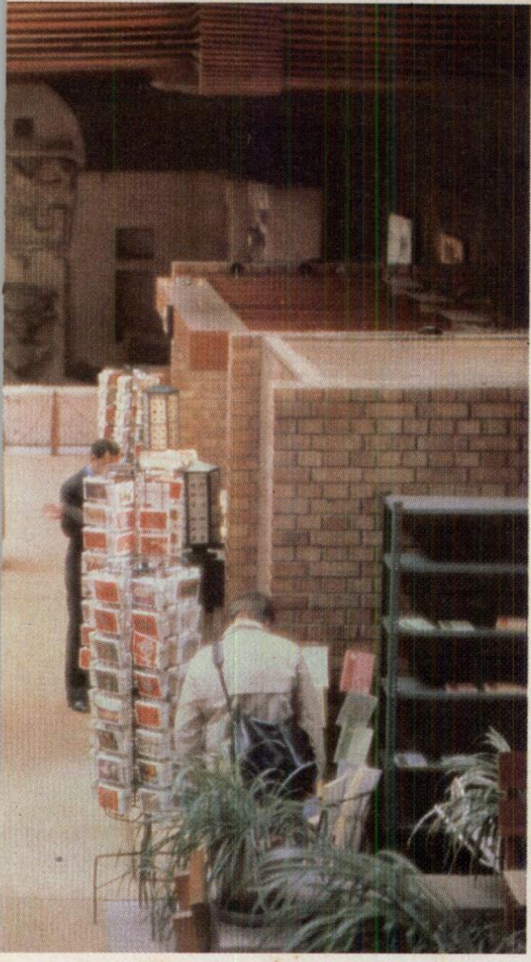

يتقاطر الزوار
مـن انحـاء العالم
الى متحف الحضارات
الاناضولية في انقرة
ليكتشفوا احدى اقدم
حضارات العالم٠
اما الاتراك فيذهبون
الى هناك
ليكتشفوا جذورهم

الحـثيون في أنـقرة

Photos: Courtesy Museum of Anatolian Civilizations, Ankara and Ozan Sagdic

رواق المتحف وقاعة العرض •

مدخل متحف
الحضارات الأناضولية •

تركتُ سوق انقرة الصاخبة وسرت صعداً عبر الشوارع الضيقة ميمماً شطر بناء ذي قبتين يشرف على العاصمة التركية كلها. وما ان عبرت العتبة حتى شعرت كأني قفزت عشرين قرناً الى غياهب الماضي. وجثمت أمامي أسود شرسة منحوتة في الصخر كأن الزمن جمدها وايائل برونزية منطلقة في قفزة عالية ومطعمة بالفضة.

هذا العالم المثير يرقد داخل متحف الحضارات الاناضولية الذي يعتبر أهم مؤسسة خصصت كلياً لابراز الحضارات الرائعة التي قامت في ما يُعرف اليوم باسم "تركيا". وهو اكثر من مجرد متحف بالنسبة الى ٤٥ مليون مواطن تركي انه مزار يجسد تاريخ امتهم الغني.

ويعود الفضل في إيجاد هذه المجموعة الى مؤسس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك الذي أدخل بلاده المتأخرة عالم القرن العشرين خلال مدة حكمه القصيرة (١٩٢٣ - ١٩٣٨). والأهم من ذلك انه اعطى الاتراك اعتزازاً متجدداً بتراثهم المجيد. وهو رأى ان أفضل الطرق لعرض هذا التراث هي جمعه في متحف.

ويعتبر موقع المتحف ومبناه من كنوز تركيا. فخلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر كان هذا البناء الواسع الثلاثي الطبقات والمبني بالآجر سوق أنقرة. وحيث تعرض الواجهاتُ الزجاجية الأنيقة اليوم اعمالا فنية تعود الى ٥٠٠٠ سنة خلت كان التجار والفلاحون الاناضوليون يدللون على بضائعهم ويساومون لعقد صفقات رابحة. وكان هؤلاء يجدون في الخان مبيتاً لهم ولدوابهم، وهو مشيد على نمط القرون الوسطى حيث تقوم اليوم مكاتب المتحف.

لم يعش اتاتورك ليشهد افتتاح المتحف عام ١٩٥١، ولكن كما يقول مديره راسي تميزير: "لو عاش لكان سعيداً بما تحقق. فبدلا من تشييد بناء جديد لايواء التحف اخترنا هذا البناء الأثري، إذ هو جزء من الماضي الذي اراد اتاتورك ان يحافظ عليه."

وتعتبر مجموعتا المتحف من آثار العصرين الحجري والبرونزي الاكمل من نوعهما في العالم. وترمز احدى القطع البارزة الى الخصب وهي منحوتة في الطين ويعود تاريخها الى العام ٦٠٠٠ قبل الميلاد وقد عثر عليها في الأناضول. وهي تجلس اليوم بمهابة على عرش في شكل نمر وتشرف على واجهة عرض زجاجية مكرسة للآثار التي ترمز الى الانجاب. وتشمل معروضات العصر الحجري (من ٣٠٠٠ الى ١٩٥٠ قبل الميلاد) مجموعة من الايائل والعجول البرونزية ذات القرون الكبيرة والمطعمة بالفضة وكانت قديماً تتوج الرايات التي يرفعها المتحاربون في المعارك. وهناك تمثال فضي وموسى برونزية واوان خزفية ويقول تميزير: "كل قطعة معروضة هنا وجدت على مسافة لا تتعدى بضع مئات من الكيلومترات من انقرة."

حضارة نيرة ـ كانت الحضارة الحثية المندثرة مصدر الفخار الرئيسي

للاناضول في رأي اتاتورك. ولذا تشكل التحف الحثية الجزء الاهم من المتحف. وقد بلغ الحثيون أوج عزهم بين ١٤٥٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد وغدوا من أقوى الأمم وارقاها في عصرهم. واعتبرهم اتاتورك جديرين بأن يكونوا المثال للامة التركية الناهضة اذ قال: "كان الحثيون يسبقون زمانهم، ويجب الا نتخلف نحن عن زماننا."

والواقع ان الحثيين كانوا مستنيرين اكثر مما أتيح لأتاتورك ان يعرف. ففي العهد الذي كانت حقوق المرأة مهضومة حقاً حرموا تعدد الزوجات وسمحوا للنساء بتطليق أزواجهن. كما ارسوا نظاماً دقيقاً للحكم المركزي ووضعوا قانوناً عدلياً رحوماً. وكانوا فوق ذلك حرفيين وبنائين مهرة. وكانت عاصمتهم بوغازكوي التي تقع على مسافة ٢٢٠ كيلومتراً شرق انقرة، محاطة باسوار حجرية سميكة وتضم هياكل وقصوراً كثيرة. وكانت تحرس بوابات المدينة تماثيل للاسود.

وكان راسي تميزير دليلي في هذه الرحلة الى عالم الحثيين الفاتن. وهو ما زال ينقب بنفسه عن القطع الاثرية التي تزخر بها قاعات المتحف. ومن التحف الرائعة التي عثر عليها ابريق انيق من الخزف الأحمر ذو حلمة دقيقة استخرجه من تحت اطنان الركام في قرية اناضولية تدعى اسكيابار. واراني كذلك تمثالا لرمز الخصب منحوتاً في العاج ويعود عهده الى العام ١٨٠٠ قبل الميلاد وقد عثر عليه في قصر حثي في كولتيبه.

ومررنا بمجموعة من النقوش الناتئة المأخوذة من القصور الملكية الحثية في العهد الأخير وتمثل رجالا يلعبون النرد بعظام الحيوانات. وثمة مشهد صيد يصور أسداً يحاصره كلبان وعملاق له رأس محارب بشري وجسم أسد وجناحا نسر وينتهي ذنبه برأس عقاب. هذا المعرض الغريب بمجمله يصور الحياة كما كانت وكما حلم بها الناس قبل ٣٠٠٠ سنة.

في مجال الحضارات القديمة تعتبر الحضارة الحثية اكتشافاً حديث العهد. ففي القرن التاسع عشر عثر السياح الفرنسيون والبريطانيون والالمان والامريكيون في تركيا على نقوش هيروغليفية بدت كأنها كتابات مصرية، غير ان المتخصصين بالكتابة المصرية عجزوا عن حل رموزها. وهكذا لم تظهر صورة المنجزات الحثية على الوجه الاكمل الا في السنوات الخمسين المنصرمة او نحوها.

ويعتقد اليوم ان الحثيين، وهم شعب متحدر من العرق الهندي الاوروبي، قدموا الى الاناضول في القرن العشرين قبل الميلاد آتين من اوروبا الشرقية والوسطى. وطردوا الاشوريين الذين كانت لهم مستوطنات تجارية هناك ووحدوا القرى المبعثرة في أمة قوية. ثم وسعت الانتصارات العسكرية، خصوصاً في عهد الملك سوبيلوليوماس، حدود امبراطوريتهم حتى دانت شواطىء بحر إيجه في الغرب ودمشق في الجنوب الشرقي. وفي دمشق اصطدم الحثيون ◄

خرز وحلى ذهبية
من العام ٢٢٠٠
قبل الميلاد .

تمثال عاجي لرمز الخصب
(كولتيبه ، عام ١٨٠٠
قبل الميلاد .)

محفورة ناتئة تمثل ابا هول ذا رأسين
(كركميش عام ٨٠٠ قبل الميلاد .)

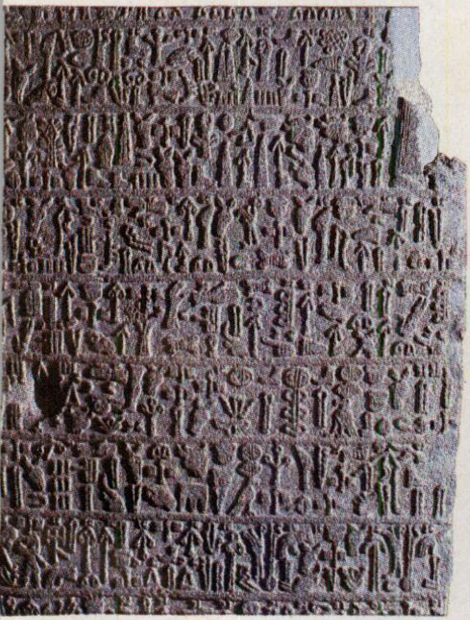

كتابة حثية شبيهة بالهيروغليفية المصرية عجز
المختصون بالكتابة المصرية عن حل رموزها
(كركميش ، عام ٨٥٠ قبل الميلاد .)

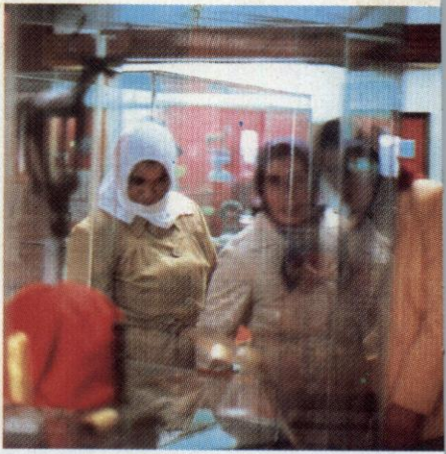

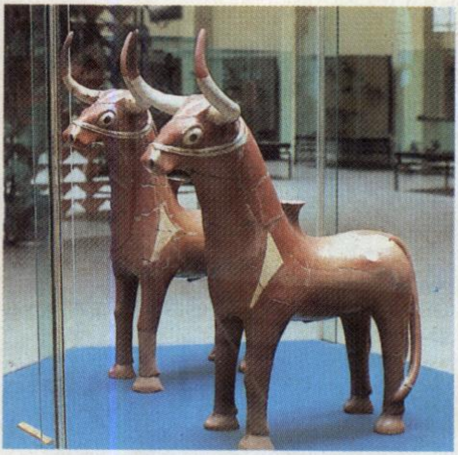

ائرة تتلفع بالمنديل الذي يظهر مثيل له في
فورة ناتئة يرقى عهدها الى ٣٠٠٠ سنة خلت ٠

عجلان من الخزف المصقول والمطلي يعودان الى
العام ١٦٠٠ قبل الميلاد ٠

تمثال ضخم من الحجر الكلسي
لتارهونزا ملك ميليد (ملاتيا ،
عام ٧٥٠ قبل الميلاد .)

محفورة ناتئة تمثل الملك سولوميلي
يقدم الشراب الى رمز الطقس (ملاتيا، عام ٩٥٠ قبل الميلاد.)

اناء في شكل رأس كبش
(غورديون، عام ٨٠٠
قبل الميلاد.)

واجهات زجاجية أنيقة تعرض عصوراً من التحف الفنية التي لا تقدر بثمن.
وهنا اناء خزفي كبير كروي القعر (عام ١٦٠٠ قبل الميلاد.)

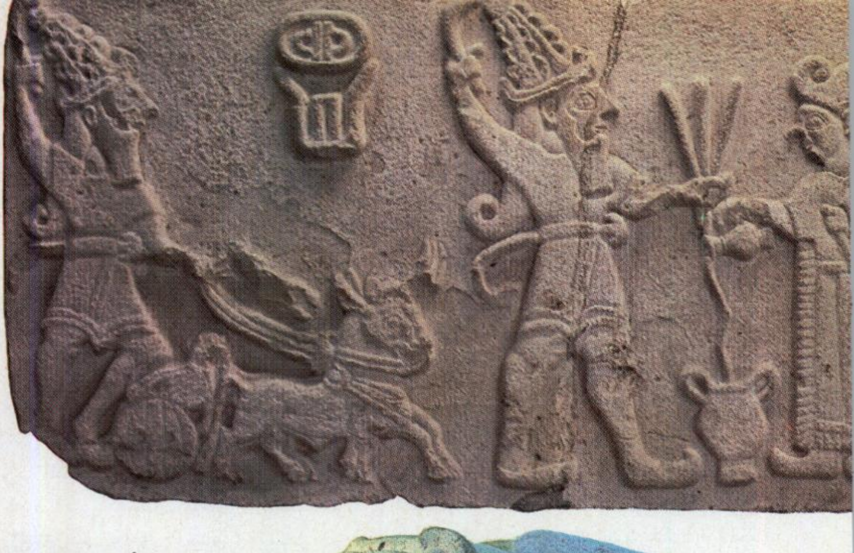

زوار وأسد حراسة من الحجر
الكلسي (ملاتيا ،
عام ٩٥٠ قبل الميلاد ٠)

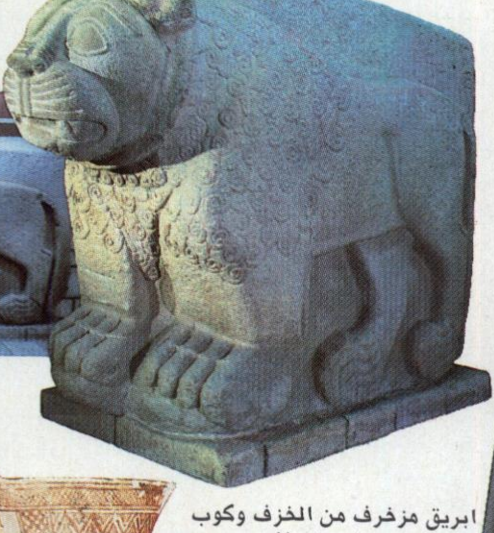

اوان حثية من الخزف لها شكل
الحذاء المستدق الى أعلى ٠
وينتعل القريون الاتراك اليوم
أحذية مماثلة (كولتيبه ،
عام ١٩٥٠ قبل الميلاد) ٠

ابريق مزخرف من الخزف وكوب
من البرونز (غورديون ،
عام ٦٥٠ قبل الميلاد ٠)

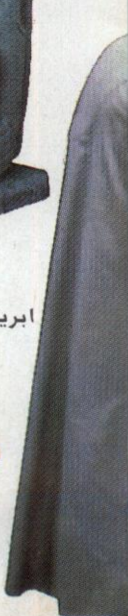

بامبراطورية اخرى عظيمة في العالم القديم هي الامبراطورية المصرية.

بلغ الصراع للسيطرة على سورية ذروته عام ١٢٩٩ قبل الميلاد حين التقى مواتاليس ملك الحثيين رعمسيس الثاني فرعون مصر في معركة قادش الشهيرة. ولم تسفر المعركة عن نصر حاسم لأي من الملكين، غير ان احتفاظ الحثيين بسيطرتهم على معظم انحاء سورية هو دليل على قوتهم. ويحفظ متحف الشرق القديم في اسطنبول نص المعاهدة التي عقدت بعد ٣٠ سنة من تلك المعركة وهي أقدم وثيقة من نوعها واكثرها حنكة وتعقيداً (١).

اقوام البحر - اثبتت جهود علماء الآثار صواب حدس اتاتورك بأهمية الحثيين. فقد ظل العالم طوال قرون يعتقد أن تركيا هي مجرد مكان دأبت الشعوب القديمة من فرس واغريق ورومان وبيزنطيين على غزوه واستيطانه ثم النزوح عنه. لكن الكشف عن حقيقة الحثيين وحضارتهم المميزة فسح لتركيا موقعاً حضارياً على خريطة العالم.

ويتقاطر نحو ١٥٠ الف زائر سنوياً الى المتحف القائم فوق تلة في انقرة. وتظهر سجلات الزوار اسماء اعظم الشخصيات في العالم، وبينهم اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا ومرغريتا ملكة الدانمرك وكورت فالدهايم الامين العام السابق للامم المتحدة والمستشار الالماني هلموت شميث.

غير ان رواد المتحف الذين يظهرون تعلقاً شديداً بمعروضاته هم القرويون الاتراك. فبعد ظهر كل ثلثاء يرفع التجار والفلاحون اكشاكهم ويرتقون السلم الحجرية الى المتحف ليكتشفوا جذورهم (٢). وفي لحظة عبورهم عتبة المتحف تتضح لهم الصلة بالماضي. فالقرويات ما زلن يتلفعن بالمنديل التقليدي الذي تصوره نقوش يرقى تاريخها الى ٣٠٠٠ سنة خلت. وينتعل الفلاحون الاتراك اليوم احذية ينحرف مقدمها الى أعلى، وقد عثر في مواقع القرى الحثية على نماذج خزفية لمثل هذا الحذاء. ولا يزال القرويون الاناضوليون يعزفون على الشبابة ذات القصبتين التي تنفخ فيها التماثيل الحجرية التي زينت القصور الملكية الحثية. اما الاكواب الخاصة بالاحتفالات والتي يعود عهدها الى الالف الاول قبل الميلاد فتشبه اكواب الخزف التي يشرب بها اتراك اليوم اللبن.

ويقول تحسين اوزغوك استاذ علم آثار الشرق الادنى في جامعة انقره: "ان تحدّر العادات من الحثيين الى الشعب التركي اليوم هو أبعد دلالة من ذلك التشابه الظاهري". فالعجل الطويل القرنين الذي اجلّه الاناضوليون القدامى - والحثيون على نحو خاص - لا يزال يلقى لدى القرويين اليوم احتراماً واجلالاً.

كان الحثيون شعباً متديناً. وقد

---

(١) هناك نسخة عن هذه الوثيقة في محفوظات الامم المتحدة في نيويورك.

(٢) يذهب القرويون الى المتحف يوم الثلثاء لأنه يوم السوق في نواحي انقرة وهم يعقدونها عند سفح التل الذي يقوم عليه المتحف.

رمز احتفالي من البرونز (آلاكاهويوك، عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد٠) وينتصب نموذج مضخم له عند تقاطع اكثر شوارع انقرة ازدحاماً٠

اخفق ملكوهم في رد الهجمات التي شنتها عليهم "أقوام البحر" عام ١٢٠٠ قبل الميلاد وهي القبائل التي اتتهم من غرب تركيا على سواحل بحر ايجه٠ ودك الغزاة اسوار بوغازكوي واقتحموا الدهاليز المتشابكة تحت الارض وتركوا المدينة ركاماً مشتعلا٠ ولجأ الحثيون الى الجبال في جنوب الاناضول حيث اقاموا سلسلة من الدويلات ـ المدن٠ وفي العام ٧٠٠ قبل الميلاد ضم الاشوريون هذه الدويلات الى مملكتهم٠

اختفى الحثيون عن مسرح التاريخ كدولة وكقوة الا ان ابداعهم الفني سيخلده التاريخ وتحفظه قلوب الشعب التركي٠

وقد عبر سكان انقرة حديثاً عن تقديرهم لتراث أسلافهم الاناضوليين بأقامة نموذج مضخم لتمثال برونزي تضمه مجموعة المتحف ويبلغ حجمه الف ضعف التمثال الاصلي٠ ويمثل هذا النصب رشأين يحتميان في كنف أيل قوي تتداخل قرونه الرائعة في الشمس وراءه٠ وينتصب هذا التمثال المضخم اليوم عند تقاطع اكثر شوارع انقرة ازدحاماً ليذكر الألوف الذين يمرون به يومياً بتاريخ تركيا القديم٠

■ **ليلي فولدز**

السياسة من فوق

قال الضابط البحري الامريكي توماس ماتينغلي الذي شارك في اطلاق "أبولو ١٦" الى القمر عام ١٩٧٢ وفي اطلاق المكوك الفضائي "كولومبيا" أخيراً، انه يتمنى أن تتاح الفرصة يوماً لقادة العالم لكي ينظروا الى الارض من فوق منصة فضائية بدلا من وراء مكاتبهم٠ "فربما ساعدتهم رؤية العالم على حقيقته، من غير حدود وحواجز، على التخفيف من حماستهم لقضايا معينة٠ فانه يصعب على المرء أن يأخذ الامور بجدية عندما ينظر الى العالم من الفضاء الخارجي٠"

صحيفة "نيويورك تايمس"

إعصار في الأطلسي

أغلق الطوف على الرجال كالمحارة وابتلعته الامواج وسط اعصار حصد مئات الضحايا

ح

حملت ذبذبات هوائية الخبر الآتي: "غير الاعصار اتجاهه شمالا منحرفاً عن الخط المتوقع له. وسوف يضرب المنطقة الواقعة بين جمايكا وكوبا يوم الخميس. وقد تجاوزت سرعة الريح الـ٣٢٠ كيلومتراً في الساعة.

لذلك يتعين على جميع المراكب الواقعة ضمن نطاق الاعصار ان تلزم موانئها."

اطفأ بوب هارفي (٤٧ سنة) الجهاز اللاسلكي في مركبه "اميرة الجزيرة". كانت التقارير الجوية امس خاطئة اذاً، فالعاصفة الشديدة

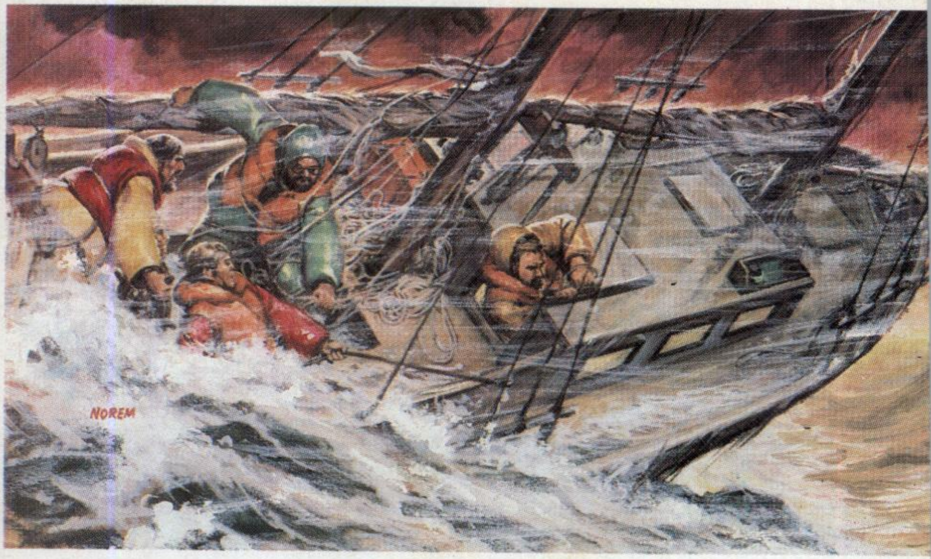

لم تعد متوجهة الى الجنوب من جمايكا بل انها ستضرب حتماً المركب الشراعي المترجح تحت قدميه بفعل الامواج العاتية. وتسلق بوب السلم الى ظهر المركب وصاح بالربان باري غتلمان (٣٩ سنة): "ستضربنا العاصفة لا محالة."

بدأت الرحلة هادئة. وكان مع هارفي وغتلمان على متن المركب شريكان آخران في مؤسسة النقل والخدمات البحرية هما ماثيو سانت كلير (٣٦ سنة) ومايك مونرو (٣٤ سنة). فعلى اثر الترميم الذي اجري لهذا المركب ذي الصاريتين والذي صنع قبل اربعين سنة في حانوتهم في جزيرة كي وست جنوب فلوريدا تمتع الفريق بابحار هادىء خلو من الارتجاج. وعبروا مضايق فلوريدا وجزر الباهاما في طريقهم الى محمية بيليز البريطانية في امريكا الوسطى حيث سيبطن المركب بخشب الماهوغاني قبل تسليمه لمالكه الجديد.

امواج مجنونة

مضت ثلاثة ايام على ابحار "الاميرة" واقبل صباح الثلثاء في ٥ اغسطس (آب) ١٩٨٠. في تلك الاثناء كان بوب هارفي يتابع اخبار انخفاض الضغط الجوي وقد ايقن ان المركب اذا لم يبلغ شاطىء جمايكا الشمالي الشرقي في اسرع وقت فسوف يواجه الاعصار في اوج غضبه في البحر.

وقبل انقضاء وقت طويل بدأت خيوط سوداء تغمر صفحة اليم منذرة

بعاصفة هوجاء. وتحولت طيات الموج من لونها النيلي لتصطبغ بلون الابنوس الاسود. وانزل الرجال الاشرعة باستثناء الشراع الامامي الصغير. وتوقف المزاح الدائر على متن المركب وقد ضيعه هسيس الرياح وتلاطم الامواج المتعالية.

وحين لمح الرجال شاطىء جمايكا الصخري البعيد كان ارتفاع الامواج يراوح بين ستة امتار وثمانية، وأخذ المركب يتراقص كأرجوحة. وصوب غتلمان منظاره الى مرفأ انطونيو وهو المرسى الوحيد على الشاطىء الشمالي. ومن خلال المطر والرذاذ رأى دوامات من المياه البيضاء حيث كانت الامواج الهائجة تتلاطم على صخور غير مرئية. واعلن لرفاقه: "سيتكسر المركب اذا حاولنا ولوج ذلك المكان. علينا ان نبحر مع الريح بعيداً عن الشاطىء."

بعد ثلاث ساعات عندما ضربت العاصفة المكان كان الرجال ابتعدوا مسافة عشرين كيلومتراً عن اخطار الشاطىء. وضربت المركب هبة ريح صحبها زبد غاضب فمزقت الشراع الصغير ألف رقعة ورقعة. وازدادت سرعة الريح الى ١٣٠ كيلومتراً في الساعة ثم الى ١٤٥ حتى تجاوزت الـ١٦٠ كيلومتراً في الساعة. وبذل غتلمان وسعه للسيطرة على دفة القيادة. واندفعت امواج هائلة الى الركن فغمرت هارفي ومونرو حتى الخصر.

وطوّحت بالمركب أمواج مجنونة فرفعته الى علو ثلاث طبقات ثم رمته عمودياً فوق اللجة.

ومع حلول منتصف الليل كانت الريح تعصف بسرعة ٢٧٠ كيلومتراً في الساعة ممزقة أعالي الامواج ومحولة جبال الماء نجوداً مخيفة. واقبلت موجة عملاقة حملت "الاميرة" لتضربها الريح الغاضبة بأقصى طاقتها. وفي طرفة عين كان المركب الذي بلغ وزنه ثلاثين طناً يرقد على جانبه وسط اليم الهائج. وتعلق الرجال الاربعة بحبال الانقاذ فيما اخذت الدقائق تمر متباطئة بكل عذاباتها. ومثل ملاكم مرهق استجابت "الاميرة" اخيراً لثقل الحديد الكامن في بدنها وانتصبت. وامسك مايك مونرو بذراع غتلمان صارخاً: "هل ساورك الخوف؟" فارتسمت شبه ابتسامة على شفتي الربان وقال: "ليس بعد."

هل يطلب النجدة باللاسلكي؟ كلا، سيكون الاتصال عبثاً فلن تتمكن سفينة من الوصول اليهم ولن تحلق طائرة حتى يهدأ غضب الطبيعة وتستقر المياه العاتية.

"اننا نطير!"

في الثانية صباحاً من يوم الاربعاء حملت المركب موجة عملاقة لتقذفه مرة اخرى على جانبه. وأرخى غتلمان قبضته على المقود اذ غلبه الارهاق نتيجة ساعات من الاجهاد المتواصل، فتعثر وقذفته موجة ثائرة خارج المركب. وابقاه حبل الانقاذ خلف المركب وهو يتلهف للهواء وسط المياه المالحة.

واذ استعادت "الاميرة" توازنها بذل هارفي ومونرو كل قوتهما للوصول

الى مؤخر المركب والامساك بحبل الانقاذ الذي تعلق به غتلمان٠ وأخذا يجذبان صديقهما حتى تمكنا من التقاطه وسحبه الى ركن الربان ليستريح٠

شعر غتلمان حين عاد الى الدفة ان الوهن بدأ يدب الى "الاميرة٠" فعلى اثر موجة اخرى اقعدتها على جانبها هبت ريح مفاجئة انتزعت "الاميرة" من احضان البحر وطوحت بها في الهواء٠ وفكر غتلمان: "يا الهي ! اننا نطير !"

وداخل المركب اصطدم ماثيو سانت كلير بعارضة الباب فيما عادت "الاميرة" الى سطح اللجة٠ واذ تدفقت المياه عبر كوة مهشمة ادرك ان المركب انتهى امره٠ فجر نفسه الى اللاسلكي بصعوبة صارخاً: "النجدة !" ثم تسلق السلالم٠

وعلى السطح لم يصدق عينيه٠ فمن الافق الى الافق تفجرت البروق الذهبية في سماء الليل٠ وخدش المطر وجهه ككرات من حجر وافقده هزيم الرعد وهدير الريح والامواج ما تبقى من صوابه٠ وانتفت الفواصل بين الهواء والبحر وغدا كل شيء ابيض يعلوه الزبد٠

واستعادت "الاميرة توازنها مرة اخرى لكنها انغمست في المياه اكثر من قبل وبدأت تغرق٠ وصرخ غتلمان بالامر الذي يخشاه كل ربان سفينة: "استعدوا لهجر المركب !"

قطع سانت كلير حبل طوف النجاة بسكين جيب٠ وفي اللحظة ذاتها هبت ريح قذفت الطوف في وجهه٠ فشعر بألم حاد يمزق صدره٠ ضلوع مكسورة ! لا وقت للتفكير في ذلك٠

وتمكن بجهد بالغ من الوقوف على قدميه وسحب حبل الطوف القصير٠ وانتفخ طوف النايلون البرتقالي والاسود ورمته الريح خارج المركب فاستقر في البحر مقلوباً ومربوطاً بالحبل٠

وصاح غتلمان: "هيا بنا !" ثم لاحظ ان بوب هارفي علق في الحبال المتدلية من الصاري الاقرب الى مؤخر المركب٠ وصرخ هذا حين رأى زملاءه الثلاثة مقبلين نحوه: "لا تنتظروني، سأكون معكم بعد لحظات٠"

أدرك غتلمان ان لا مجال لاضاعة الوقت فصاح من جديد: "غادروا السفينة !" وألقى الرجال الثلاثة انفسهم في اليم المزبد المضطرب فقلبوا الطوف وتسلقوه بعد جهد٠

وفيما المركب يغرق واضواء سطحه تومض من خلال المياه تمكن هارفي من فك آخر الحبال والقاء نفسه خارج المركب الذي اضحى قدره محتوماً٠ وأشاح بوجهه واخذ يبحث عن الطوف فرآه وقد ابتعد والمسافة بينهما تزداد كل لحظة٠

ادرك مونرو بحدسه ان هارفي يواجه صعوبات فأمسك حبلا احكم ربطه بالطوف وغطس في الماء وراح يسبح نحو رفيقه المتعب٠ وتمكن من تجاوز التيار والامساك بيد رفيقه ثم جره الى الطوف٠

الدفء المتضائل

جلس الرجال في طوفهم الصغير يرقبون اضواء "الاميرة" وهي تتلاشى٠ وعنفت الريح وازداد غضب

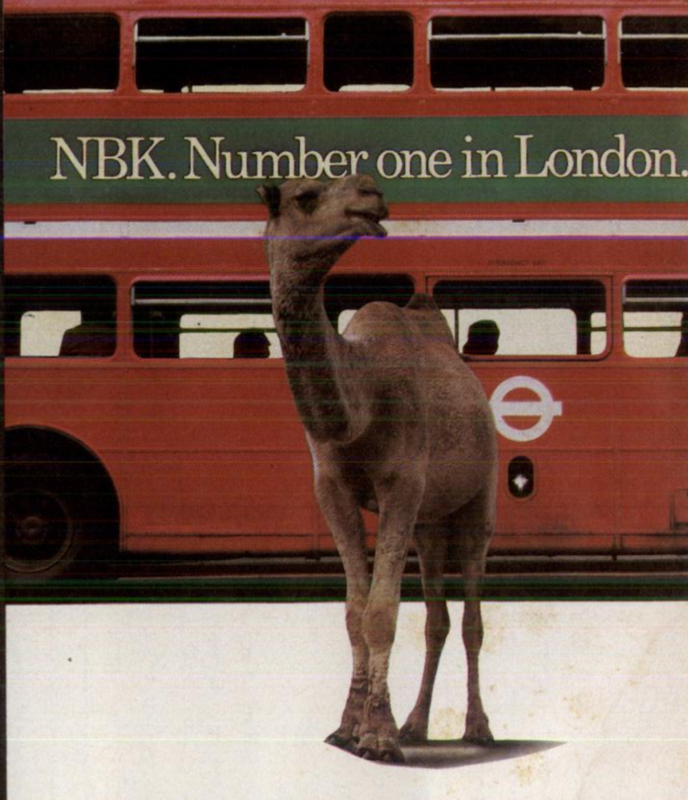

كافة الخدمات المصرفية

يقدمها لك بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

يسر بنك الكويت الوطني، رائد البنوك الكويتية، ان يعلن عن إفتتاح فرع ثان له في لندن مثبتاً بذلك وجوده على الساحة العالمية الذي يشتمل أيضاً على فرع تمثيل في سنغافورة وشبكة عالمية تشمل أكثر من ٧٥٠ بنكاً مراسلاً.

لقد تم إفتتاح فرعنا في بيشوبس جايت لمساعدة الشركات في تطوير عملياتها الخارجية. وبالإضافة الى الخدمات المصرفية الشخصية يقدم فرعنا خدمات عالمية شاملة كالقروض المشتركة، تمويل الشركات، تبديل العملات، إيداعات بالعملات الأوروبية، وتمويل للعمليات التجارية كفتح الاعتمادات واصدار الكفالات المصرفية. هذا بالاضافة الى خدمات إدارة الاستثمارات والمشاريع العقارية المتوفرة من بنك الكويت الوطني لما وراء البحار (لندن) على العنوان نفسه.

فرعنا في الوست اند من لندن تأسس خصيصاً لمساعدة الزوار الكويتيين في جعل زيارتهم للندن كاملة وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات لشراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الداينرز كلوب لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت.

أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩,٣٠ إلى ٣,٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩,٣٠ حتى ١٢,٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

The National Bank of Kuwait SAK

لندن - فرع السيتي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢-٩٢٠ (٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨
فرع وست اند: ١٨ أورشارد ستريت، لندن، W1 مقابل محلات سيلفريدجز، تلفون ٦٨١١ ٩٣٥ (٠١)
مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ٤٢٢٠١١/٤٦٣٣٣٤، تلكس ٢٢٠٤٣
غرفة تداول العملات: تلفون ٤٦٢٠٤٦، تلكس ٢٢٣٢٢٧

الامواج. وكأنما الطوف رضخ لقوة العاصفة فأنحنى على ذاته منغلقاً على الرجال مثل محارة عملاقة. وابتلعته الامواج غير مرة. ومع كل احتجاب كان الرجال يحبسون انفاسهم نصف دقيقة احياناً حتى يعود الطوف الى سطح اليم.

فجأة هدأت غضبة الريح وانقشع الضباب واستقر المركب في بحر سهل. واسترق سانت كلير النظر من فتحة الطوف الى السماء الصافية المرصعة بالنجوم وقال بهدوء: "ايها السادة، لقد تخطينا نصف العاصفة تماماً. اننا الآن في عين الاعصار."

ونظر الرجال المسحوقون الى مؤونتهم التي تضمنت ست علب من ماء الشرب وعلبتي حلوى وبندقية اشارة وثماني طلقات انارة ومصباحاً كهربائياً.

وما ان فرغوا من فرز احتياطهم حتى تناهى اليهم هدير الريح الهاجمة وعادت العاصفة تعتصرهم بجنونها والامواج الصاخبة تتقاذف الطوف. وبدت الريح اشد قسوة من السابق وأضحى الحصول على نَفَس انتصاراً موقتاً على العاصفة.

انبلجت خيوط فجر فولاذية يوم الاربعاء لتلملم الريح اذيالها وتنخسف الامواج. لقد اكتفى الاعصار "آلن" بفعلته.

ولكن اين موقعهم؟

ادرك غتلمان انهم بيعدون كثيراً عن خط السفن وتفصل بينهم واليابسة مسافة ٦٥ كيلومتراً على الاقل. والاسوأ من هذا كله ان رسو "الاميرة" في جزيرة كي وست لم يكن متوقعاً قبل اسابيع، وبالتالي فمن غير المرجح ان يفكر احد في البحث عنهم.

اجساد مرهقة يلفها برد قارس لا ينثني. سانت كلير يكابد آلام اضلاعه المهشمة وغتلمان ومونرو يعانيان الغثيان لكثرة ما ابتلعا من مياه مالحة. وبدأ مونرو يتقيأ دماً وتلك دلالة على ان القرحة عاودته.

خلال فترة بعد الظهر استمر الطوف يتمايل على صفحة المياه. وعندما لفه الظلام حاول الرجال النوم عبثاً بينما تسللت الامواج الباردة داخل الطوف. ولاحظ سانت كلير اعراض انخفاض الحرارة في جسدي غتلمان ومونرو فاحتضن مونرو ليقاسمه احتياط الدفء المتضائل في جسده وفعل هارفي الامر نفسه مع غتلمان.

نجوم وأنوار

حين اشرقت شمس الخميس تقاسم الرجال علبة الماء الخامسة. ومع انقضاء فترة بعد الظهر دخلوا شبه غيبوبة بسبب العطش ونقص الماء في اجسادهم والارهاق والتعرض المتواصل لقسوة الطبيعة. وقبيل حلول الظلام أفاق سانت كلير مجفلا. أهذه اصوات؟ وتململ في مكانه باهتياج شديد وحملق حوله. نقاط نور في البعيد! وصرخ: "انها اليابسة!" وأقحم بوب هارفي رأسه خارجاً وقال: "لا ارى بصيص نور واحداً. هذه نجوم في السماء."

وشرب الاربعة علبة الماء الاخيرة وراح غتلمان ومونرو يتقلبان بين الصحو والغيبوبة. وأغفى هارفي ثم

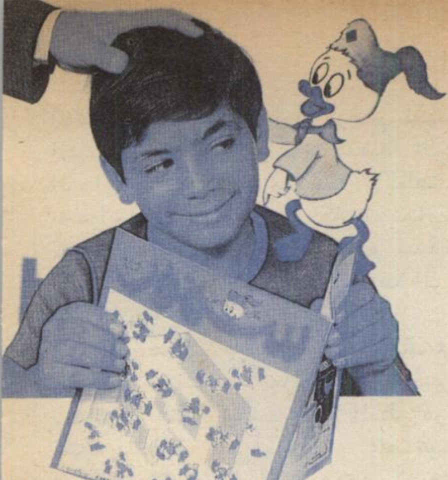

جديد!

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

«سمّور» مَجلة الفتيَان الشهرية الرفيعة المستوى تضع بَين أيديكم أفضل ما لدى «والت ديزني» مِن خبرة في عَالم الفتيان

ثمانٍ واربعون صفحة بألوان «ديزني» الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات «والت ديزني» على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

وكل عَدد من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة ومفيدة ومسلية

افاق ليحدق الى افق تزينه النجوم. وبدت له بضع ومضات ضوء مختلفة عن رفيقاتها وكأنها انوار سفينة متحركة. ففكر: "انا من يهذي الآن." وراقب الومضات لدقائق طويلة خائفاً ان يوقظ رفاقه. ثم هز كتف سانت كلير برفق قائلا: "أعتقد ان سفينة تقترب منا، اترى شيئاً هناك؟"

ولم يضع سانت كلير وقتاً في الجواب فتناول طلقات الاشارة التي في سترته وقد بللها الماء ككل ما في الطوف. ترى هل تضيء؟ حشا البندقية ووجه فوهتها نحو السماء وضغط الزناد. وصدر صوت انفجار مكبوت وبعد لحظات اضاء السماء وهج احمر.

لكن السفينة اكملت سيرها وكادت ان تختفي عبر الافق. وأطلق سانت كلير القذائف السبع المتبقية.

اخيراً تكلم هارفي: "اعتقد... انها تخفف سيرها.... انها... تتجه نحونا!"

بعد فترة قصيرة مزق الظلام نور كشاف تركز على اربعة رجال منهكين في طوف من النايلون. ورفع الاربعة الى متن ناقلة النفط النروجية "جاستيلا" التي جنحت عن خطها بحكم الاعصار ونقلوا الى مستشفى على جزيرة كايمان براك البريطانية. وعولج سانت كلير للقرحة واعطي الاربعة طعاماً مغذياً وامنت لهم الراحة التامة.

وقبل ان يغادروا المستشفى علموا ان الاعصار "آلن" الذي الم بالمنطقة كان ثاني اقوى الاعاصير المسجلة في المحيط الاطلسي. وقد اسفر عن اضرار مادية بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار في المنطقة الممتدة بين البحر الكاريبي وخليج مكسيكو كما نجم عنه مقتل ٢٣٦ شخصاً. لكن رجالا اربعة وحيدين على متن طوف من نايلون تغلبوا على جنون الطبيعة وبقوا على قيد الحياة.

■ فرانك سارجنت

الجواب المؤجل

في حياتنا امور كثيرة يمكن ارجاؤها. فهناك مخابرات هاتفية ليس من الضروري الرد عليها حالاً. وهناك مسائل وقرارات عسيرة يمنحنا تأجيلها حلولا افضل. والحكيم هو من يعرف الظروف التي تقتضي ارجاء الجواب.

ش.هـ.

الشذوذ ليس ابداعاً

علامة الابداع الأكيدة ليست في اختلاف المرء عن الآخرين. فمن السهل ان يتصرف كل واحد على نحو شاذ، لكن العسير هو ان يكون الشخص بسيطاً مثل باخ او شكسبير. ومن السهل جداً تعقيد الامور البسيطة، اما الابداع فهو تبسيط ما تعقد من أمور.

ش.م.

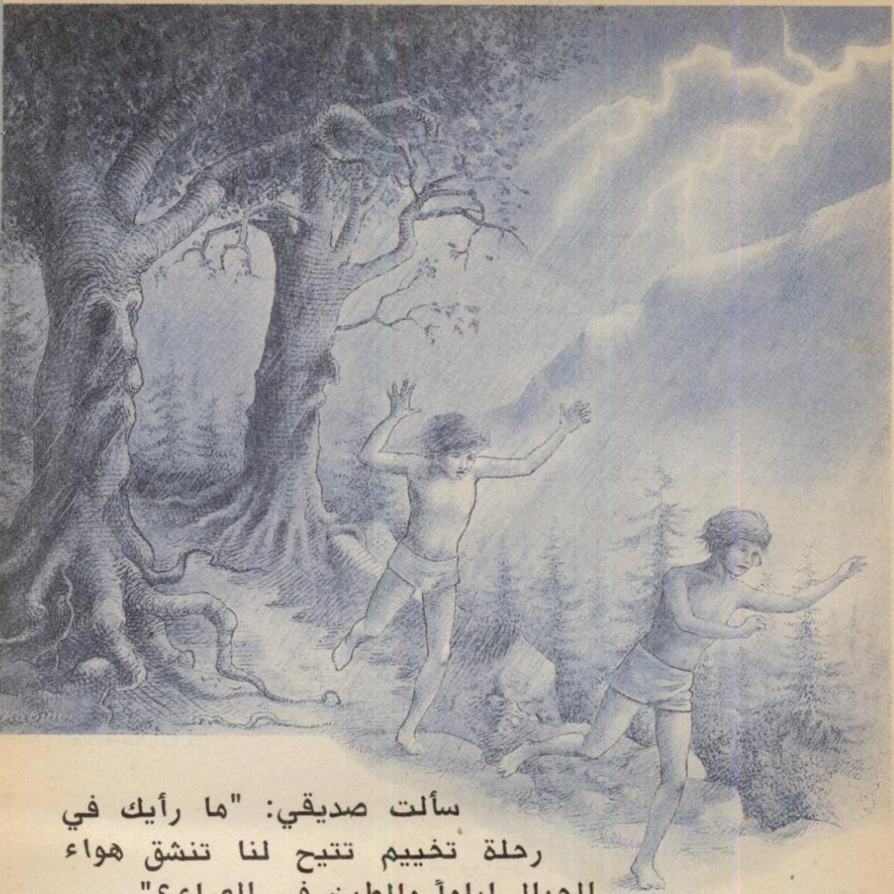

سألت صديقي: "ما رأيك في رحلة تخييم تتيح لنا تنشق هواء الجبال اياماً والطبخ في العراء؟"

الرحلة الكبرى

ع

عندما كنتُ صغيراً جداً وتملكتني رغبة ارتقاء الجبال للمرة الاولى، أخرجت في مخيلتي شريطاً عظيم الاخراج أطلقت عليه اسم "الرحلة الكبرى". وكلما اطبق فكّا الضجر

على عظامي كنت اعرض ذلك الشريط على شاشة عيني. وهو كان يدور على مغامـرة مسـرحهـا جبـال سلكريـك المقفرة وبطلها يحاكي النجم الذائع الصيت آنذاك غريغوري بيك. اما حبكة الرواية فهي تسلق البطل تلك الجبال الجميلة وتجشمه المشاق في مراقيها الوعرة وتغلبه على الصعوبات وانقاذه فتـاة جمـيلة كانـت عالـقة هناك. وكان الشريط خالياً من مشاهد الجنس ومتاحاً للنظارة على اختلاف اعمارهم.

ومع الوقت اكتسبت الرحلة الكبرى اهمية عظيمة في حياتي. وكثيراً ما انقذتني من عقاب الطفولة، الا وهو المدرسة. وكلما ضرب رأسي الجفاف من درس شاق تعافه النفس كانت اخيلة تلك الرحلة تهب الى نجدتي.

لكني ادركت ان الرحلة الكبرى، وان تكن ترياقاً للملل، لا يجوز ان تبقى اسيرة الخيال، بل ينبغي ان انفذها يوماً. ومن اجل تحقيق هذه الغاية اكثـرت مـن نزهاتـي خـارج المنزل حيث كنت اوقد الحرائق بأقل ما يمكن من قضبان وصحف مستخدماً عود ثقاب واحداً. ودرست فنّ الطبخ في المخيمات وسرعان ما بات في امكاني اعداد وقعة شهية من شرائح اللحـم والـبطاطا المشـوية والخبـز المحلى والمغطى بالقشدة والسكر. وبعد وقت أطول عودت نفسي الافطار على تلك الوقعة.

بكاء وصرير أسنان ـ ذات يوم من الصيف الذي بلغت فيه السابعة عشرة صممت على تنفيذ الرحلة الكبرى أو على إعطائها المجال كي تنفذ نفسها بواسطتي. وما أن أطلعت والدي على الأمر حتى بدأ البكاء وصرير الأسنان.

وعلى الخريطة المفصلة بدت الأرض التـي عقـدت العـزم علـى تذليلهـا متعرجة عبر مسافة خمسين كيلومتراً لا تخترقها الطرق أو المعابر، وإن حوت بضعة ممرات تطرقها الحيوانات الكبيرة.

ومعرفة مني أن الرحلة الكبرى تقوّم بالمصاعب التي تنطوي عليها قررت خلق صعوبات إضافية بعدم أخـذي إلا الـقلـيـل مـن الأشـيـاء الضروريـة. وتركـت ورائـي معظـم المآكل مقتصراً على الدقيق واللحوم والفواكه المجففـة والزبـدة والسكـر والملح. واحتياطاً للطوارىء أضفت إليها كيساً كبيراً من مسحوق حساء الدجاج.

ولـم تتجـاوز عدتـي كيـس نـوم وسكيناً وبندقية اذود بها الدببة عنـي، إذ ليـس مـن قبيـل تـحمـل المصاعب أن ندع الحيوانات البرية تفترسنا.

وفي اللحظة الأخيرة قررت أن أصطحب رفيقاً. وكان رتش، كما أدعوه هنا وافداً جديداً الى البلدة وهو لم يسمع بالرحلة الكبرى وما تقتضيه. وربما كان هذا سبباً لقبوله المجيء معي.

وسألته: "ما رأيك في رحلة تخييم تتيح لنا تنشق هواء الجبال أياماً والطبخ في العراء؟"

وأجاب رتش أن الفكرة تروقه. لكنه لم يعرف كل ما تنطوي عليه تلك الرحلة، حتـى بينمـا كـان والـداي

Condensed from «A Fine and Pleasant Misery,» copyright (c) 1968 through 1978
by Patrick F. Mc Manus, edited and with an introduction by Jack Samson, published by Holt, Rinehart and Winston, New York, N.Y.

يأخذنا الى سفح الجبل في السيارة. غير أن الارتجاف الظاهر في شفتي امي بدأ يثبط عزيمته. وسألها: "ما بالك؟ أتخافين من أن نذهب ولا نعود؟" وأجابته امي بصوت متهدج قوى شكوكه.

والواقع أن نتيجة الرحلة لم تكن بعيدة جداً عما تصوره رتش.

ومر يومان بهيجان بان فيهما أن مغامرتنا لا تتعدى كونها رحلة تخييم عادية. وكانت السماء صافية الزرقة لا تشوبها غيمة واحدة والعطر يفوح من ازهار البرية وأشجارها. ولم أستطع إخفاء خيبتي حيال ذلك الطقس الرائع.

وفي صباح اليوم الثالث أفقت على صراخ رتش وهو يقول: "لقد اقتحمت الغزلان سلالنا والتهمت كل شيء سوى اللحم ومسحوق الحساء."

وارتعش قلبي فرحاً لسماع ذلك النبأ، إذ ان الصعوبات التي تصورتها بدأت تأتي. وقلت لرفيقي: "لا تقلق، ففي إمكاننا العيش على ما تجود به الأرض من خيرات." ونظرت حولي لكني لم أرَ الكثير مما يمكن أن يعيش المرء عليه.

الى الهاوية ـ ذلك المساء نصبنا خيمتنا فوق قنة مجدبة لا ماء فيها وتناولنا بعض اللحم والحساء. أما الحساء الذي لم يكن حسناً حتى مع الماء، فكان أسوأ جداً بلا ماء. وجلسنا بعد العشاء أمام النار ننظف أسناننا بالقش البري.

وقال رتش: "لدي فكرة: دعنا نغادر المكان."

فأجبته: "لا تقلق، إذ ان الامور ستغدو أسهل من الآن فصاعداً."

ولما زحف كل منا الى كيس نومه كانت الغيوم العاصفة تتلبد غرباً وما لبثت أن اصبحت فوقنا. ولمع البرق من قمة الجبل نحونا فقلت لرفيقي وأنا أخشى أن تفجرنا قوته الكهربائية: "لا عليك، فالصاعقة التالية ستنفجر تحت في سفح الجبل."

إلا أن الواقع ما لبث أن كذب نبوءتي. فعندما يكون المرء في العراء وتجتاحه عاصفة برق فهي تغلفه وتمطره بصواعقها من كل جانب.

وفجأة وجدتني أركض الى أسفل وأنا في ثيابي الداخلية. ورأيت جسماً يسرع أمامي ظننته بادىء الأمر دباً رمادياً ثم ادركت أنه شخص آخر مثلي بملابسه الداخلية. وصرخت في ذلك الشخص فصرخ هو أيضاً ثم اختفى.

وبعد ثلاثة أمتار الى أسفل وجدت صديقي رتش يعد عظامه بعد أن سقط من عل.

ولم ينقطع المطر الغزير طوال الليل. وفي الصباح التالي خرج كل من كيسه وجففه وراح يخوض في الوحل الى أن وجد ملابسه. وصنعنا الفطور باذابة قليل من مسحوق الحساء في الماء الموحل. وذلك حسن طعم الحساء كثيراً، وإن يكن اضاف إليه الحصى.

صوت من البعيد ـ نظرنا حولنا فلم نبصر سوى الجبال. وتفرس واحدنا

في الآخر فاذا بي أرى بؤسي منعكساً في عيني رفيقي كما في مرآة. وقلت لنفسي: "ما ترانا نفعل الآن؟"

وتذكرت علاجاً ناجعاً لحالات من هذا النوع اقترحه علي رجل كبير متمرس في الجبال. والعلاج هو النصيحة الآتية: "عندما تخفق وسائلك كلها فابق صامداً في وجه الصعوبات."

وهذا ما فعلناه إذ رحنا ننزل عن شعبة ونتسلق اخرى ونتحدى الأشجار الساقطة والسواقي. ولو برز لنا دب رمادي لأكلناه نيئاً ونحن في تلك الحال من الاقدام.

وفي يوم وجدنا أننا خلفنا الجبال وراءنا. فقد شاهدنا السيارات على الطريق العامة والناس ينظرون إلينا شزراً ويتساءلون عن ثيابنا الرثة والوحل الذي يغطينا. والحق أننا تغلبنا على انفسنا وعلى الجبال وعلى الرحلة الكبرى. إلا أن أحداً لم يعرف ذلك أو يكترث له. ورحنا نجر الخطى بحثاً عن هاتف عمومي وقد هدنا التعب والجوع.

ثم خيل إلي أني أسمع صوتاً غريباً خفيفاً آتياً من سكينة الفضاء. ونظرت الى رتش لأرى إن كان يسمع ما أسمعه، فأكدت لي تلك الابتسامة المجهدة على شفتيه المتشققتين صدق ظني. وظللنا نشق طريقنا فيما الصوت يزداد قوة.

... لقد كان ذلك صدى هتاف وتهليل وترحيب آتياً نحونا.

■ باتريك ماكمانوس

"الزير في البير"

تسلل أحدهم الى مخدع للفتيات الجامعيات، واقتحم غرفة وهو يقول: "أين حقيبة المال؟" فأجابته الطالبة: "انها هناك، تحت عدة الكاراتيه." ولما سمع هذا هرول خارجاً واختفى.

ش١٠.

المعلم والمختار

لدى بلوغه احدى القرى، سأل الزائر عن منزل المختار. فقيل له انه مجاور لمنزل معلم المدرسة. وصادف قروياً آخر، فسأله عن منزل معلم المدرسة. وكان الجواب أنه مجاور لمنزل المختار.

واحتار الزائر كيف يذهب، الى ان مر شخص ثالث، فطرح عليه السؤال الآتي: "أين يقع منزل المختار ومنزل المعلم؟" فأجابه القروي: "احدهما في جوار الآخر."

ا س.

تقتحم النساء اليوم مجالات الرجال ويحتملن المضايقة والعمل الشاق في مهمات لم يألفها من قبل

نساء في عالم الرجال

جيني هوفر صبية طويلة القامة قوية البنية ذات عينين زرقاوين وشعر كثيف اشقر، تعمل في قسم الاصلاح والصيانة في شركة غاز في ولاية كاليفورنيا· انها تحب عملها المتنوع المهمات الذي يشمل فحص الاجهزة داخل بيوت الزبائن واصلاح العدادات المعطلة وحفر ارصفة الشوارع لاصلاح انابيب الغاز الرئيسية· وهي لا تجد ضيراً في العمل مع الرجال وان لم يكونوا دائماً لطفاء معها· وتقول عن رئيسها: "لم يكن يدعني اخرج من المشغل قط· كان يحب النظر الي وانا اعمل، ولذا جعلني الازم المشغل طوال شهرين·"

وحين خرجت جيني من المشغل ذات يوم ارسلت مع فريق من الرجال لحفر شارع في اشراف مراقب اطلق عليه لقب "ذو الفأس" لأنه اشتهر بسرعة تخلصه من كل من يتهاون في انجاز العمل الموكل اليه· وفي

(c) 1982 by Howard Muson. Condensed from Across The Board (June '82), New York, N.Y.

محاولتها الاولى لتشغيل ثاقبة الصخور اليدوية حفرت جيني مساحة كبيرة من أديم الطريق المعبدة فحظيت باعجاب المراقب حتى انه أبلغ رؤساءه قائلا: "انها مدهشة، وتشبه رجلا رقيق البنية." وعندما عاكسها احد زملائها الرجال لم تشكه الى المراقب، بل صفعته وانتهى الامر عند هذا الحد من دون حقد ولا كراهية.

تصلح جيني لان تكون مثالا يقتدى به في برامج تلفزيونية تصور النساء اللواتي نجحن في مزاولة الاعمال الشاقة. ولكن شتان ما بينها وبين النساء اللاتي استُخدمن حديثاً في اعمال تتطلب قوة جسدية تطبيقاً لبرنامج محو التمييز في العمل بين الجنسين في الولايات المتحدة. فاولئك غالباً يفتقرن الى الجرأة والاستعداد الكافي لتنفيذ المهمات المرهقة جسدياً وكثيراً ما يقعن فريسة الهيمنة والسخرية من زملائهن الذكور ورؤسائهن. فلماذا يخضن هذه الاعمال؟

الجواب البديهي هو المال. فلماذا تقنع امرأة بثلاثة دولارات في الساعة كموظفة استقبال او طابعة في حين يمكنها ان تحصل على ١٥ دولاراً او حتى ٢٥ دولاراً كحدّادة او سمكرية او ميكانيكية سيارات؟

وتزيد عالمة الاجتماع ماري لندنشتاين والشوك أن هناك اسباباً اخرى بينها الكبرياء والاثارة والتحدي والمغامرة. وفي كتابها الجديد "النساء في الياقات الزرق: رائدات في حقول الرجال" محاولة في العمق لدرس طريقة تأدية اولئك النساء اعمالهن على مدى من الزمن وما يترتب على ذلك من نجاح او اخفاق. والظاهرة الجذابة في الكتابة هي سرد النساء تجاربهن بروح ناقمة مضحكة مؤثرة عنيدة. انها اصوات رائدات حقيقيات في هذا المجال.

تقول كاثي جنكنز التي عملت في الحدادة: "اشعر كأني جاندارك، فانا امثل كل نساء المستقبل في هذا العمل. واذا اضطررت الى التغيب بسبب موعد طبيب ،فاني افكر: كيف سيفسرون تغيبي؟ وكلما امسكت بالمطرقة الثقيلة ضحك مني ذلك الخبيث. انه نوع من المضايقة حين يُفترض من عامل متمرس أن يدربني فلا يمدني باي معلومات. وهي مضايقة حين يضعني المشرف في موقع خطر ويطلب مني ان أفعل شيئاً على نحو غير لائق."

والنساء اللاتييتعاملن مع الناس يتعرضن لانتقاد الزبائن ايضاً. وتروي عاملة تركيب اجهزة الهاتف احدى تجاربها قائلة: "دخلت بيت تلك المرأة لأركب لها جهاز هاتف. ولم يكن مظهري قبيحاً فقد كنت ارتدي قميصاً فضفاضاً جميلا. لكنها قالت لي: لماذا لست في بيتك مع أولادك؟ ان هذا من اعمال الرجال ومنظرك يبدو زرياً."

ولحسن الحظ ان ازاء كل شخص سليط او جائر شخصاً آخر يرغب في مد يد العون. فقد اخفقت نانيت جونز في الانضمام الى برنامج تدريب نقابي على اعمال السمكرة، الا ان عاملا خبيراً من السود انكر عليه حق العضوية في النقابة قبل ٢٥ سنة تقدم

لمساعدتها وتولى تدريبها. وعرفها على التجار الذين يمدونه بالمعدات اللازمة قائلا لهم: "عاملوها كما تعاملونني تماماً." وهذا وفر لها الثقة اللازمة.

وحيدة بين الشباب ـ تشغل والشوك اليوم منصب عميدة في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو. وكانت في صباها تعمل في عطل نهاية الاسبوع في مطعم تديره العائلة في بالم سبرنغز. واقامت بعد ذلك صلات مع النساء العاملات والاداريات في انحاء الولاية واصبحت مستشارة المرافق الصناعية في مجال توظيف النساء. وحصلت على هبة من المعهد الوطني للصحة العقلية لاجراء دراسة شملت ١١٧ امرأة عاملة بينهن ٨٧ يتولين اعمالا شاقة و٣٠ يزاولن اعمالا نسائية مألوفة في مجالات التجميل والتبرج او تجميع الآلات البسيطة. وكانت اولئك النساء جميعاً مبتدئات عام ١٩٧٥ في برامج تدريب نظمتها حكومة الولايات المتحدة والمؤسسات الخاصة والمدارس. وجمعت والشوك معلومات عن طفولة هؤلاء النسوة وتاريخهن في العمل ومطامحهن في مطلع حياتهن. وفي ١٩٧٦ و١٩٧٧ تابعت مقابلاتها مع ٦١ منهن وفي العام ١٩٧٨ مع ٥٤ امرأة هاتفياً.

معظم النساء العاملات اللاتي شملتهن الدراسة كن من البيض ولهن خلفيات ريفية ونصفهن بنات لآباء حرفيين مهرة. ومن النساء الـ٨٧ اكملت ١٦ امرأة دراستهن الجامعية وتزوج ربعهن. وقد اضطر معظمهن الى العمل لاعالة انفسهن او عائلاتهن.

هذه العينة من النساء صغيرة جداً وقد لا تمثل الولايات المتحدة كلها. وحتى بالنسبة الى ولاية كاليفورنيا وحدها فقد كن مجموعة من المغامرات وكثيرات منهن "مسترجلات" يمارسن الرياضة ويولعن بالسيارات والزوارق ويحلمن بان يصبحن مستكشفات لاصقاع الارض او ربابنة طائرات او رائدات فضاء.

باختصار، كن يرغبن في الاستقلال وركوب الاخطار. وهذه خصال في الفتيات لا تلقى التشجيع. وجاء معظمهن من عائلات تحكمها أمهات ذوات قوة وحنكة. كان الأب حاضراً ومقبولا في هذه العائلات بيد انه لم يمثل قوة فاعلة في مجمل حياة بناته، وان تكن الفتيات تعلمن استخدام المعدات وهن يراقبنه في العمل. كلهن تقريباً بدأن العمل في مطلع العقد الثاني من اعمارهن وتولّين اعمالا وقتية وبدوام جزئي.

ويبدو ان ما أثر في تكوين شخصيات اولئك النسوة اكثر من اي عامل آخر، كان معاناة في طفولتهن او مراهقتهن او مطلع بلوغهن، مثل موت احد الأبوين. او حدوث حمل غير مرغوب فيه أو طلاق. وهذه الأزمات ارغمتهن على تحمل مسؤوليات ثقيلة. فجيني هوفر مثلا تطلق أبواها وكان عليها ان تعنى بتربية اخ وأخت اصغر منها ليتاح لأمها ان تعمل.

غير ان هذه الاعباء لم تسحقهن، فقد خرجن من مسؤولياتهن الجديدة بثقة في النفس اكتسبنها بالجهد

الشاق. وعلى نقيض ذلك فان معظم النساء اللاتي شملتهن الدراسة واللاتي التحقن بالاعمال التقليدية ذات الاجر الاقل اثبطت هممهن العواصف التي بدت لهن قاهرة، مثل ادمان الكحول في العائلة او قضاء سنوات في المياتم. هؤلاء لم يرغبن في تحمل المجازفات الكبيرة وارتضين بالأقل في هذه الحياة.

وبالنسبة الى الرائدات في مجال الاعمال الشاقة فقد تحقق لهن النجاح بطرق مختلفة. دونا سبنسر مثلا التي يبلغ حاصل ذكائها (★) ١٥٢، ترعرعت في بلدة ريفية كابنة صانع معدات وقوالب لسك الميداليات. وتعلمت المهارة في الكهرباء في جيش الولايات المتحدة ثم التحقت بمدرسة مهنية حيث كانت المرأة الوحيدة في الصف وكانت دائماً قلقة من ان "الشباب يريدون ان يضربوها في موقف السيارات." واستخدمت اول الامر كعاملة ميكانيك مبتدئة في شركة نقل. وعملت بجد حتى رقيت الى منصب رئيسة فرقة. وهي تحترم الرجال الذين يعملون معها او تحت امرتها وتنتقد الداعيات الى الاعتراف بحقوق النساء اللواتي يحتقرن زملاءها العمال اليدويين.

ابتسامة قسرية ــ لقد نجحت دونا سبنسر في عالم الرجال من طريق تعلم مهارة اتيحت لها. اما جيني هوفر فحققت النجاح بثبات قدرتها على التصرف وفق القواعد التي يراعيها الرجال. وثمة اخريات تأقلمن مع محيط رجالي بأساليب نسائية جداً. هناك امرأة تعمل في الكهرباء كانت تجلب لزملائها الرجال بعض الطعام الى موقع العمل. وثمة امرأة مطلقة في الخمسين ولها ثلاثة أولاد اصبحت رسامة هندسية، وكانت ترعى الشبان في فريق عملها كأنها أم لهم فتعلقوا بها وسعوا لكي يؤمنوا لها النجاح.

لكن الانصياع لمفهوم الرجل ونظرته الى المرأة قد يبلغ حد الشطط. وتستنتج والشوك ان النساء اللاتي كانت علاقاتهم بالرجال واهية وصعبة في سنوات عملهن الاولى توافرت لهن حظوظ أفضل للنجاح. فالنساء اللاتي ينسجمن مع الرجال لا يؤخذن على محمل الجد وينظر اليهن كخطر يهدد زملاءهن.

وتقتضي الافادة من البرنامج التدريبي ان تتبع المرأة نهجاً حازماً. فهذه البرامج لم تكن مبنية على اسس صحيحة وكان على المرأة ان تسأل لكي تتعلم. والحافز الحاسم في الأمور هو الأمل في الحصول على وظيفة حقيقية. والنساء اللاتي بدأن العمل كجزء من مرحلة التدريب او اللاتي كانت لهن وظيفة تنتظرهن حققن افضل النتائج.

وربما فتحت مجالات عمل جديدة للنساء بعدما اوجدت المكننة الاوتوماتيكية والالكترونية وظائف كثيرة غير عادية في مجالات الصيانة والاصلاح تتطلب مهارة اكثر مما تحتاج الى قوة جسدية.

(★) رقم يمثل حاصل ذكاء المرء كما تحدده قسمة سنه العقلية على عمره وضرب حاصل القسمة بمئة. والمعدل هو ١٠٠.

واخيراً اظهرت دراسة والشوك ان كثيرات من النساء يرغبن في العمل بمفردهن على المعدات والآلات. وخلافاً للانطباع العام فالنساء لا يفضلن المهن التي يتعاملن فيها مع الناس حيث يتوجب عليهن دائماً ان يخدمن الآخرين والابتسامة القسرية على شفاههن.

وتقر والشوك بان علاقات النساء والرجال على صعيد العمل ستبقى غريبة ومفعمة بالمشاكل حتى تتكون بينهم لغة مشتركة للتفاهم وتقاسم المصالح. وتقول في كتابها: "كان طبيعياً ان ينظر العمال اليدويون بارتياب الى اول امرأة دخلت عالمهم."

وكان خليقاً بها أن تضيف أن من الطبيعي ايضاً ان يفضل ارباب العمل استخدام الرجال في بعض المهن. ففي مجال حفر الطرق المعبدة سيفضلون طبعاً الرجل القوي البنية الذي يزاحم جيني هوفر للحصول على العمل. ولكن مهما يكن فان قانون الولايات المتحدة يقول بان يقبل هؤلاء من الآن فصاعداً عدداً اضافياً من "الرقيقات البنية" من امثال جيني هوفر.

■ هوارد موسن

***

نصيحة جاك ليمون

يقول الممثل الهزلي الامريكي جاك ليمون في أفضل نصيحة تلقاها في حياته:

كان ذلك من أبي، وهو آنذاك نائب رئيس شركة تصنع الآلات العاجنة وكل ما تحتاج اليه المخابز من أدوات، على أثر سؤالي اياه أن يقرضني ٣٠٠ دولار للذهاب الى نيويورك والعمل في ميدان التمثيل، أجابني: "حسناً. هذا يعني أنك لا تود أن تتبع خطاي في التجارة، بل أن تدخل عالم السينما."

ـ أجل يا أبي، في ودي أن أكتشف ان كان يمكنني بلوغ أي مكان عبر هذه الطريق. وأنت تعرف أني مثلتُ على المسرح ذات صيف.

"وهل أحببت ذلك؟"

ـ نعم، لقد أحببته.

وأعطاني المال وقال: "ثق اني أجد متعة بالغة في عملي. واذا عجزت الارغفة التي تنتجها آلاتنا عن امتاعي في أحد الايام، فأني أترك عملي فوراً."

وكان في كلام والدي عبرة كبيرة. وهو يعني أن ما يفعله المرء ليس مهماً بمقدار المتعة التي يستمدها من عمله.

هـ.ت.

الضغينة حمل الاغبياء

اذا كنت تجادل الناس، فلا تحقد على من يخالفك الرأي. لانك اذ تحمل الضغينة في قلبك، فربما كان قلبه يرقص فرحاً.

ب.هـ.

أصداء من عالم الطب

الصناعة والعلم

بعد اجماع عمال "شركة سولت ليك الكبرى للمعادن والكيميائيات" في بلدة .اوغدن من اعمال ولاية يوتا الامريكية على التذمر من الارق والارهاق، اسند ارباب الشركة تحري الامر الى مجموعة علماء من جامعتي هارفرد وستانفورد ومن مركز بوسطن للبرامج الصناعية. والشركة المذكورة مختصة بانتاج الملح والبوتاسيوم وتصنيعهما. والعمل في مصانعها متواصل ضمن ثلاث نوبات تدوم كل منهما ثماني ساعات. ويحافظ الموظف على دوامه اسبوعاً كاملا، وفي الاسبوع التالي ينتقل الى النوبة التي تبدأ قبل ثماني ساعات.

وقدّر العلماء ان تبديل الوقت هو سبب الارق والارهاق، فعمدوا الى اخذ مجموعتين اختباريتين من العمال. وفرض على افراد احداهما الانتقال الى النوبة اللاحقة كل اسبوع، فيما فرض امر مماثل على افراد المجموعة الاخرى ولكن مرة كل ثلاثة اسابيع.

وفي التقرير الذي نشرته مجلة "العلم" تبين ان افراد المجموعتين الاختباريتين ابدوا اهتماماً اكبر بالعمل على اثر التعديل، خصوصاً افراد المجموعة الثانية الذين زاد رضاهم بنسبة ٨٧ في المئة. وبدلت الشركة توزيع العمل على اساس هذه النتائج.

مجلة "ديسكافر"

انسولين جديد

اعطت ادارة الغذاء والدواء الامريكية ترخيصاً لشركة "ايلي ليلي" يسمح لها بانتاج الانسولين البشري من طريق وصل الجينات التي تحمل المواد الوراثية. والعقار الجديد سيكون قريباً في متناول المصابين بداء السكري تحت اسم "هيومولين". وهو العقار الاول من نوعه الذي توافق السلطات الامريكية على استخدامه. ويتم انتاجه عبر تلقيم الجراثيم (البكتيريا) معلومات وراثية تتيح لها انتاج المادتين اللتين يتركب منهما الانسولين، ذلك الهورمون الذي يفرزه البنكرياس ويحول سكر الدم وقوداً للجسم. اما المصابين بالسكري فلا تنتج اجسامهم ما يكفي من الانسولين.

ويبلغ عدد المصابين بالسكري في الولايات المتحدة وحدها عشرة ملايين. وهم يتناولون حالياً جرعات الانسولين المصنوع من مواد حيوانية. وعلى رغم انتاج هذه الجرعات بمقادير كافية فان ادارة الغذاء والدواء تخشى نقصها في المستقبل القريب. لذلك سمحت للشركة المذكورة بانتاج الانسولين البشري عبر وصل الجينات ويتم انتاج الهيومولين خلال عملية تستغرق خمسة اشهر في مقابل عشرين او ثلاثين شهراً يقتضيها انتاج الانسولين التقليدي.

صحيفة "نيويورك تايمس"

الركبة الاصطناعية

ان جراحة الركبة الاصطناعية مكنت مئات الالوف ممن أقعدهم التهاب المفاصل الحاد أو الحوادث، من المشي. وقد صنع خبراء الجراحة التقويمية ما يزيد على ٨٠ شكلا من الركب الاصطناعية التي يجهدون لكي تكون حركاتها مطابقة للركبة البشرية، وهي أكبر المفاصل واكثرها عرضة للاصابة في جسم الانسان.

ولئن بدت الركبة كالمفصلة البسيطة ظاهرياً، الا أنها تفوقها تعقيداً، اذ تتحرك جانبياً ودائرياً كما تنزلق مع كل خطوة. واذا لم تتجاوز الركبة الاصطناعية شكل المفصلة، فهي تفقد ثباتها مع الاستعمال.

ومن أشد الركب الاصطناعية الحديثة محاكاة للركبة الحقيقية تلك التي يستخدمها الجراح التقويمي الدكتور هيربرت كوفر وزملاؤه في كلية الطب في جامعة ميشيغان (آن آربور). وكمعظم الأعضاء الاصطناعية، يتم تثبيتها الى عظام الساق خلال عملية جراحية. وهناك ركبة اخرى ابتكرت في كلية الطب التابعة لجامعة جونز هوبكنز في بالتيمور (ولاية ماريلاند)، وهي ذات مسام يمكن نفاذ العظم منها، وبهذا تمنح الرجل حرية أكبر في الحركة.

ن. ت.

من فم الى فم

جرت العادة ان ينبه اولئك الذين ينعشون ضحايا الاختناق بنقل النفَس عبر الفم الى تنظيف القصبة الهوائية للمريض قبل مباشرة الانعاش خوفاً من اختناقه. اما الآن، ففي تقرير نشرته "مجلة نيو انفلند الطبية" وجه خمسة اطباء من "مركز وايت الطبي التذكاري" في لوس انجلس تنبيهاً مماثلا الى كل من يتولى عملية الانعاش من طريق الفم للتأكد من نظافة فمه وقصبته الهوائية اولا.

وهم يعطون مَثَل شخص في الستين يعاني مرضاً في قلبه وقد اصابته ازمة خلال حفلة اجتماعية. وهرع احد النادلين الى انعاشه قبل نقله الى المستشفى. وما ان بلغ المستشفى حتى بُحّ صوته وانتابته حمى وألم في العنق وعسر في التنفس. وفي صورة بالأشعة تبين ان ثمة جسماً غريباً يسد مدخل بلعومه. وكان ذلك الجسم جسر اسنان اصطناعياً من فم النادل. وبعد سحبه برىء المريض.

وكالة "يونايتد برس"

من أين يأتي النقرس؟

الدراسات التي أجريت أخيراً في مستشفى جامعة بيتسبورغ في ولاية بنسلفانيا أكدت ظناً اعتنقه المراقبون طويلا، وهو أن الأكل الشره لبعض صنوف الطعام، خصوصاً اذا صاحبه شرب الكحول، يؤدي الى النقرس أو داء المفاصل. ويصنف الطب الحديث هذا المرض المؤلم في عداد الامراض الجسدية الوراثية التي تؤثر في قدر الجسم على انتاج مركّب البيورين، وهو من العناصر الاساسية التي تتألف منها الجينات.

وقد تولى الدكتور جيرالد رودنان من الجامعة المذكورة تحضير وقعة نموذجية من القرن الثامن عشر، قدّمها الى سبعة متطوعين معرّضين للاصابة بالنقرس. والوقعة تحوي مآكل غنية بمادة البيورين، مثل الكبد والبنكرياس والسردين والانشوفة، مع كميات كبيرة من الكحول. وتبين ان "نوبات حادة من النقرس،" كما يقول الدكتور رودنان، أصابت جميع المتطوعين الا واحداً، وانما "ظهرت بعد ١٨ الى ٨٠ ساعة من تناول الطعام والشراب."

مجلة "العلم الشعبي"

٧ تمارين للذقن المزدوج

مشكلة الذقن المزدوج هي من المشاكل الرئيسية التي تقلق معظم الناس، وربما كان سببها ارتخاء العضلات الناتج من قلة الحركة والتقدم في السن. لكن اتباعك هذه التمارين البسيطة يشد خط الفكين ويحسن المنظر الجانبي للوجه إذ يخلصك من الذقن المرتخي في غضون اسابيع. ولكن قبل مباشرتها عليك مراجعة الطبيب. واذا كنت تعاني مشكلة وزن زائد، فعليك اتباع نظام حمية وزيادة نشاطك اليومي للافادة القصوى من هذه التمارين.

● مارس كل التمارين ببطء ونعومة ومن دون عصبية، إذ يمكن ان تتأذى فقرات العنق الصغيرة بحركات الرأس المفاجئة. تمرن في غرفة دافئة، فقد تتصلب عضلاتك وتؤلمك إذا بردت. واذا شعرت بأي تيبس، سلط على عنقك وابلا من الماء الساخن لمدة عشر دقائق وانت تحرك رأسك يمنة ويسرة.

● خلال هذه التمارين تنفس بعمق وانتظام عبر الانف، وشغّل الحجاب الحاجز لملء الرئتين وتفريغهما كلياً. اشهق في ثانيتين، احبس نفسك ثانيتين، ازفر في اربع ثوان.

● في كل تمرين اجلس منتصباً على كرسي مواجهاً المرآة اذا امكن. "ابلع" معدتك وارفع رأسك بحيث يكون خط الذقن موازياً للأرض.

Condensed from «How to Get Rid of Your Double Chin in Just 6 Weeks.» copyright (c) 1982 by William Hintermister, published by Delilah Communications, Ltd., New York, N.Y.

١٠ ادارة الذقن والعنق

أ٠ تنفس مرتين٠ ادفع كتفيك الى الامام وارفعهما محاولا الوصول الى اذنيك٠ ارفع ذقنك نحو السقف واسحب رأسك الى الخلف ليبدو مع كتفيك كالسلحفاة٠

ب٠ أدر رأسك من جانب الى آخر خمس مرات٠

ج٠ ابق كتفيك محدودبتين وادر رأسك من اليسار الى اليمين وانت تمسح ذقنك من اعلى الصدر حتى الكتف٠ أرفع ذقنك ورأسك الى اعلى والى الخلف لتكتمل الدورة٠ لكن تأكد من انك تحرك رأسك ببطء٠ كرر هذا التمرين خمس مرات ثم اعده محركاً رأسك في الاتجاه المعاكس٠

د٠ استرخ مرجعاً كتفيك الى نقطة البدء٠ خذ نفسين٠

هـ٠ اعد التمرين وكتفاك مسترخيتان٠

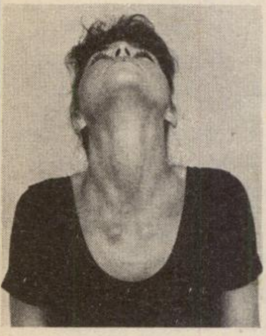

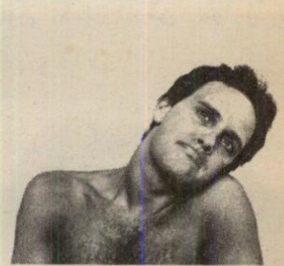

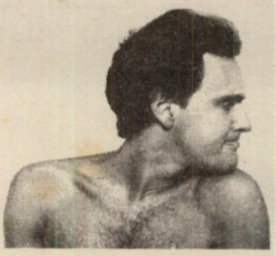

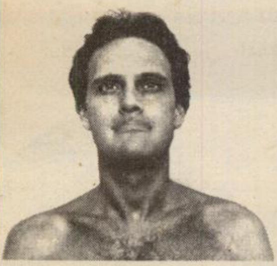

٢٠ لمس الكتفين

أ٠ ضع شفتك السفلى فوق العليا ثم حرك اسنانك السفلى فوق العليا٠ ركز على عضلات الذقن وليس على الفم او الشفة٠

ب٠ في حين تكون الاسنان والشفة السفلى في هذا الوضع حاول ان تلامس ذقنك كتفك اليسرى ثم حاول ان تلامس اذنك اليسرى تلك الكتف٠ افعل ذلك خمس مرات ثم اعده خمس مرات اخرى الى جهة اليمين٠

Photos: Dave Stetsun, Ost lund/Lau, Ed Bishop, Benji Tampu — Bolon.

٠٣ سحب الذقن وضغط اللسان

أ٠ اسحب ذقنك ثمانية او عشرة سنتيمترات الى اعلى صاراً اسنانك في وضع العض الطبيعي (الاسنان العليا امام الاسنان السفلى)٠

ب٠ ركز ظاهر يدك اليمنى تحت حنجرتك فوق الحرقدة (تفاحة آدم) تماماً٠

ج٠ اضغط برأس لسانك قعر فمك خلف الاسنان السفلى الامامية٠ ابقِ يدك مكانها من دون حراك لتقاوم الضغط٠ زد ضغط لسانك تدريجاً لفترة ست ثوان ثم ابقِ على الضغط الكامل ست ثوان اخرى٠

د٠ خفف ضغط لسانك تدريجاً واسترخ لنفسين عميقين٠ اعد مرتين٠ تنفس مرتين٠

٠٤ مص الفراغ

أ٠ تنفس مرتين مبقياً اسنانك في وضع العض الطبيعي٠ ارفع ذقنك الى اعلى والى الخارج حتى تصبح رقبتك مشدودة ومتوترة٠

ب٠ اطبق شفتيك باحكام وحاول مص الهواء في فمك٠ واصل المص الداخلي لعشر ثوان٠

٠٥ رفع الفك

أ٠ ارفع ذقنك الى اعلى وقليلا الى الخارج كما في التمرين السابق٠ افتح فمك وانزل فكك ما أمكن٠

ب٠ ابرز فكك وارفعه ببطء مثل رفش حفارة٠ جمد رأسك وركز على الرفع بعضلات العنق والذقن فقط٠

ج٠ ضع اسنانك

السفلى فوق العليا وشفتك السفلى فوق العليا٠ احفظ فكك في هذا الوضع وحاول ان تلمس انفك بشفتك السفلى٠ توقف لنفس واحد٠

د٠ استرخ٠ اعد التمرين كله عشر مرات٠

هـ٠ بعد ممارسة هذا التمرين بانتظام لمدة اسبوعين يمكنك تحسين نتائجه بوضع يديك على عظمة الصدر وشد الجلد تارة وامساكه تارة أخرى٠

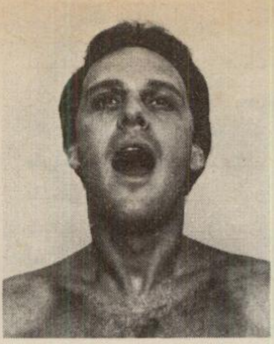

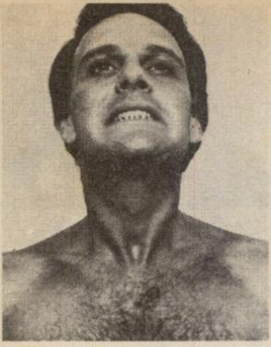

٦ ـ العضة الفارغة

أ ـ اسحب عنقك الى اعلى حتى يصبح مشدوداً ومتوتراً ـ ابرز ذقنك الى الخارج ـ

ب ـ من دون تحريك رأسك انزل ذقنك وافغر فمك ـ

ج ـ ابق رأسك من دون حراك وفكك ناتئاً ـ ارفع فكك ودع اسنانك تتلامس برفق ـ انزل فكك وارفعه بسرعة لكن لا تدع اسنانك تصطدم بعنف ـ افعل ذلك عشر مرات ـ استرخ وخذ نفسين ـ اعد ـ

د ـ كما في التمرين الخامس يمكنك تحسين نتائج هذا التمرين بسحب الجلد الى اسفل عند عظمة الصدر ـ

٧ ـ اللسان والذقن

أ ـ ابرز ذقنك الى اعلى والى الوراء حتى ترتاح رقبتك على كتفيك ـ ابق اسنانك في وضع العض الطبيعي وارفع شفتك السفلى فوق العليا محركاً عضلات الذقن ـ

ب ـ اضغط برأس لسانك قعر فمك خلف الاسنان السفلى الامامية ـ تنفس جيداً عبر الانف ـ زد ضغط لسانك تدريجاً لمدة

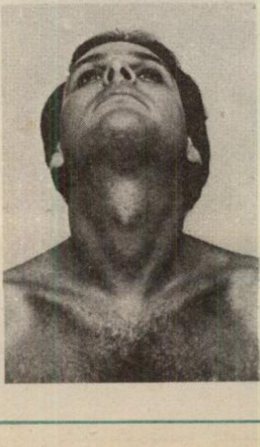

ثماني ثوان الى ان تضغط بكل قوتك تقريباً ـ حين يحصل هذا ابق عليه لمدة ثماني ثوان اخرى ـ

ج ـ استرح لنفسين ـ اعد التمرين مرة واحدة ـ تنفس مرتين ـ

اذا تابعت هذه التمارين بانتظام، فسوف تلاحظ تحسناً في مظهرك وتواجه المستقبل بذقن مرفوع !

■ **وليم هنترمستر**

البذلة السّعيدة

وعدته ابنة الخياط ببذلة تجلب الفرح والحظ السعيد، فهل تراها صدقت؟

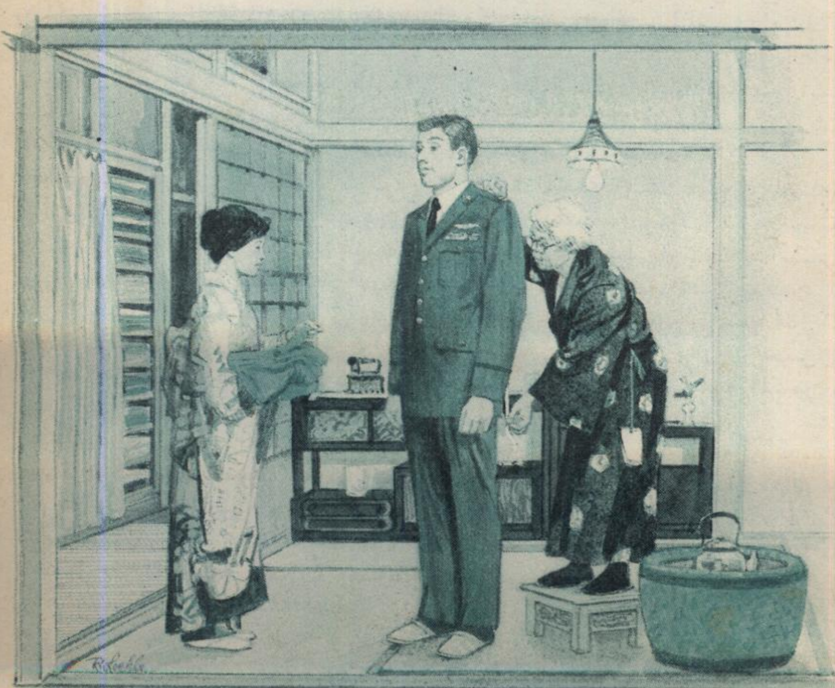

Illustration: Richard Lochle

لافتة مخطوطة باليد فوق متجر صغير في احدى الطرق الفرعية في طوكيو كانت تعلن بالانكليزية: "ك. واتانابي. خياط. نصنع ملابس سعيدة."

ملابس سعيدة! طوال ثلاث سنوات وهذه اللافتة تثير فضولي. والآن، في ربيع ١٩٦٠ وقد اوشكت خدمتي على الانتهاء في القوات الجوية الامريكية في الخارج، قررت أن أشبع فضولي.

رن جرس حالما ولجت الردهة الصغيرة، فأنفتح الباب وظهر امامي رجل كالجني يرتدي الكيمونو وتحت شعره الابيض عينان متجعدتان تتفحصان السنتيمترات الـ١٨٠ والكيلوغرامات المئة المنتصبة امامه. انحنى محيياً فبادلته الانحناءة وأشرت الى اللافتة المعلقة خارجاً: "بابا - سان، ماذا تعني "ثياب سعيدة؟" وعلى صدى صوتي دخلت صبية جميلة ذات ابتسامة ساحرة. قالت: "كابتن سان، اسمي ميدوري. ان ملابس والدي الفاخرة مفصلة ببراعة لتجلب الفرح والحظ السعيد الى لابسها. هل ترغب في ان يصنع لك بذلة سعيدة؟"

اهناك من يستطيع مقاومة عرض مغر كهذا؟

خلعت حذائي ودخلت غرفة خلف الباب مفروشة بالسجاد فملأت انفي رائحة بخور الياسمين. واجلت الطرف في المكان. عند حائط بعيد طاولة تفصيل طويلة عليها مقصات ومساطر وقصاصات قماش واشياء اخرى تدل على مهنة ك. واتانابي. وبالقرب منها ماكينة خياطة ضخمة قديمة.

وأحضرت ميدوري اثواب القماش فيما اعتلى بابا - سان كرسياً وراح يلف علي شريط القياس ويسجل قياساته على رقعة من ورق الرز. واخترت قماشاً من الصوف الاسود واتفقنا على اجراء القياس الاول بعد خمسة ايام.

عطية سخية - في اليوم المحدد وقفت على السجادة كعارض ازياء بينما راح بابا - سان العجوز يشك الدبابيس ويثني ويزم ويحشو. وبعد ربع ساعة غلبني الانزعاج وبدأت اتذمر، فقد كانت السترة تنتفخ حين انحني والذراعان تشدان على كتفي. وكان السروال قصيراً الى حد مربك.

وطمأنتني ميدوري: "يقول لك ابي لا تقلق. فمن اجل تصحيح اشياء كهذه تجرى القياسات وكل شيء سيكون بحسب طلبك."

بعد اسبوع وصلت ميدوري لتسلمني بذلتي الجديدة. وكنت احزم حقائبي لاغادر طوكيو فارتديتها بسرعة معترفاً بانها عمل فني ودفعت لها الثمن. فانحنت لي مودعة: "مع السلامة يا كابتن سان. اتمنى ان تجلب لك بذلتك السعيدة الكثير من الفرح والحظ الجميل."

لكن البذلة لم تفعل. فحين ارتديتها مرة اخرى شدني السروال كطوق حديد كلما جلست وشد الكمّان ذراعي كلما رفعتهما. ورميتها على الارض فعلقتها زوجتي في آخر الخزانة حيث بقيت عشر سنين شاهداً مزعجاً على اليوم الذي استسلمت للحشرية والفضول الشرقيين.

في العام ١٩٧٠ تقاعدت من الخدمة واستقرينا في نيو مكسيكو. فقررنا ان نفرز الامتعة التي لا نريدها ونهبها جمعية خيرية.

وعندما انتهينا من تحميل الشاحنة امتعتنا الموهوبة تذكرت فجأة بذلة طوكيو. انها بذلة سعيدة وسأتخلص منها الى الابد. اخرجتها من الخزانة وسلمتها بزهو الى مفوض الجمعية فاحتج قائلا: "لكنها جديدة لم تلبس."

فأجبته: "ارتديتها مرة واحدة فقط، ولكن ارجوك خذها."

كنت ارجو ان تكون هذه المرة الاخيرة التي اسمع شيئاً عن البذلة السعيدة.

صاحب البذلة - في احد ايام الربيع التالي لمحت شاحنة الجمعية مقبلة على الطريق فأوقفتها وعرفت المفوض بنفسي مرة أخرى. فابتسم قائلا: "طبعاً، رجل البذلة."

رجل البذلة! دهشت للتأثير الذي تركته تلك العطية وقلت: "اتمنى ان تكون وجدت منها نفعاً."

فقال: "طبعاً. فبعد اشهر من لقائنا جاءني رجل ضخم الجثة اشعث يرتدي سترة قطنية وسخة وسروالا ممزقاً كان اسمه بول وكان تاجر سيارات ناجحاً يملك بيتاً جميلا وله خطيبة محبة. لكن الجمود الاقتصادي عام ١٩٦٨ ضرب تجارته فخسر كل شيء وهام على وجهه حتى انه لم يذكر كيف وصل الى نيو مكسيكو.

"وتكلمنا طويلا. وحين هم مغادراً لفتتني ثيابه الرثة الوسخة فتذكرت البذلة واعطيته اياها. فاسرع الى الحمام وارتداها فناسبته تماماً وكأنها مفصلة له. وصافحني وعبرات الشكر تغرق عينيه.

"وبعد ايام دخل علي رجل انيق حسن الهندام. فنظرت اليه جيداً. كان بول. وجهه حليق يشع فرحاً وشعره مصفف. وأخبرني انه بعدما غادر الجمعية ذلك اليوم راح يفتش على مقصف ينسى فيه همومه. واذ قطع الشارع تراءت له فجأة صورة منعكسة على احدى واجهات المحلات. فذكرته البذلة الجديدة بأيامه الماضية في حين لمح التغير الاليم على وجهه المنهك. وتسكع في الشوارع لساعات مصدوماً، واقترب من الحانات لكنه لم يدخلها. وخلال تجواله خطر له حل جديد. انه يعرف كيف يبيع السيارات، فهو كان تاجراً ناجحاً. وبدولاراته الاخيرة قص شعره وحلق ذقنه، وبدأ بحثه من وكالة سيارات الى اخرى. حتى وجد عملا. وكان اتم اولى صفقاته حين اتاني. وكم سرني ان اراه منتصباً فخوراً.

"وقبل ان يودعني راح يشكر الله على الفرح والحظ السعيد اللذين زاراه من جديد. اعتقد انه اسعد رجل رأيته."

فرح وحظ سعيد! عادت هذه الكلمات ترن في ذاكرتي وكأنما انا اسمع ميدوري تقولها لسنوات خلت.

■ وليم بوكانان

تستطيع المرأة أن تقول بتنهُّدة واحدة ما يعجز الرجل عن قوله بموعظة طويلة.
ا.هـ.

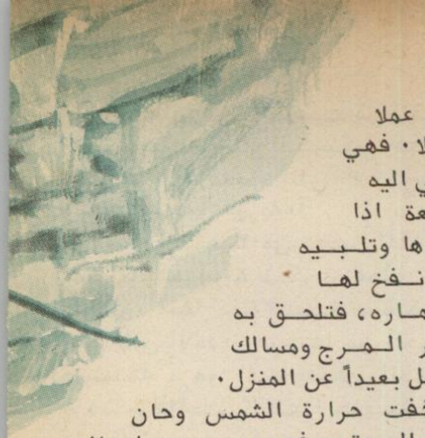

جلس بويسي ثيرون متكئاً الى صخرة وقبعته تظلل عينيه ودفء الشمس يداعب قدميه العاريتين. بقدميه هاتين كان يعرف مكان وجوده تمام المعرفة، فهما تميزان الرمل والحجار والأعشاب على اختلافها.

سمع بويسي عصفوراً يغرد وقد حط في مكان ما الى يمينه. وخيل اليه أنه فهم ما قاله العصفور. ولأنه صبي اعمى فقد كانت الطيور والوحوش تستقبله في عالمها بالترحاب. ولم يكن يحدث احداً في مشاعره تلك الا اخاه ديرك وجده سرفاس اللذين لم يسخرا قط من تخيلاته.

كان بويسي في الرابعة عشرة ويعلم أن الناس يرثون لحاله. أما هو فكان يعتقد ان الناس لو قدروا حقاً روعة هذا العالم كما يشعر بها هو لحسدوه. فمعظمهم لا يعرف شيئاً عن تلك الخشخشات الخافتة التي تهمس بها الاعشاب وخفق الأجنحة في العشايا وأسراب اليمام المتوجهة نحو موارد الماء. انهم لم يختبروا التعرف الى الاشياء من طريق لمسها: الأشياء المستديرة كالبيض والحجار التي برتها المياه، والاشياء الخشنة كالصخور، وسواها كالجلد والفراء. وهم لا يعرفون شيئاً عن الروائح، فانهم والحال هذه يعيشون حياتهم بأنوف عمياء.

كان بويسي يرعى قطيع ابيه الذي يضم ٤٠٠ ماعز. وكان يعرف معزاه من وقع ظلوفها المشقوقة على الحجار ومن ملمس قرونها ووبرها ومن رائحتها. وكان رعي المعزى بالنسبة اليه عملا سهلا. فهي تأتي اليه طائعة اذا ناداها وتلبيه اذا نفخ لها بمزماره، فتلحق به عبر المرج ومسالك الجبل بعيداً عن المنزل.

خفت حرارة الشمس وحان وقت العودة. ورفع بويسي مزماره الى شفتيه ونفخ فيه نغماً لطيفاً. وللحال شعر بحركة حوله فيما رفعت المعزى رؤوسها تنظر اليه متسائلة. ونفخ الصبي في مزماره ثانية فتجمعت المعزى قربه ولم يبقَ عليه بعد ذلك الا أن يهبط بها الجبل لاهياً ويسوقها الى زريبتها ليعود اليها في الغد من جديد. انها حقاً لحياة سعيدة!.

بيد أن أمراً جللا حدث في ذاك النهار. ففيما كان بويسي في الجبل مع معزاه انتقلت الحرب مع الانكليز الى المنطقة. ووجد الصبي والده وشقيقه ديرك يسرجان حصانيهما. وحين ضمّاه مودعين شعر بأحزمة الرصاص التي تزنرا بها تضغط صدره.

وفيما كان وقع الحوافر يتلاشى احس بويسي بوجود امه الى جانبه. وأحاطته بذراعيها فسألها: "ماذا عسانا نفعل الآن يا أمي؟"

- سنرحل الى مزرعة جدك سرفاس.

"لكن الظلام سيكون حالكاً هناك لاني لا أعرف تلك المروج. وكيف لي أن أرعى معزى والدي في مكان غريب مظلم؟".

Condensed from «The Silver Trumpet,» copyright (c) 1960 by Stuart Cloete,
and reprinted by permission of JCA Literary Agency, New York, on behalf of the author

القائد الأعمى!

Illustration: Huntley Brown

للمرة الاولى شعر بويسي انه ضرير حقاً.

وفي صبيحة اليوم التالي شدت الجياد الى العربة وجمع ما كان سارحاً من خيل وبقر ومعزى استعداداً لرحلة الخمسة عشر كيلومتراً. وقالت الأم: "هيا بنا يا بويسي."

حمل الصبي رزمة ملفوفة في قطعة خيش وقال لأمه: "انها بندقية ديرك الأخرى. يقول الناس ان عيني صافيتان زرقاوان. فاذا ما حل بنا مكروه، اوقفيني في وضع مناسب والبندقية في يدي ولن يلاحظ أحد اني ضرير."

ضرير لا ينفع

صعد بويسي الى العربة وجلس بجانب امه. وفجأة قال لها: "أنا لا شيء يا امي. انا ذاهب الآن الى مكان غريب لا عهد لقدمي به. أنا لا شيء." واستمرت عجلات العربة في الدوران والصبي يزيد اقتناعاً بذاك الشعور الجديد.

وفي وقت لاحق قال لأمه: "أخبريني بما ترين يا أمي. هل ما زلت تبصرين الجبل الذي ترعى فيه قطعاني؟"

وشعر بأمه تستدير نحوه وتجيب: "أجل، وتمكن مشاهدة الجبل من منزل الجد سرفاس ايضاً."

عندما وصل الاثنان الى منزل سرفاس كان هذا ذهب مع كل الذين ذهبوا، شيوخاً وفتياناً. وبقي بويسي وحيداً. فهو يكاد يكون رجلا الا أنه ضرير لا نفع منه. ولم يكن هناك ما يفعله غير الانتظار.

تعاقبت الأيام متشابهة والاخبار منقطعة. واضحى بويسي يتجول في مزرعة جده بسهولة لكنه بقي مشتاقاً الى منزله. فهو لا ينتمي الى تلك الارض الغريبة.

وذات يوم توقفت في المزرعة فرقة "كوماندو" وكان رجالها متعبين يمتطون أحصنة مجهدة. ووقف بويسي صاغياً وللحال علم بحال تلك الفرقة بعدما سمع المطايا تجر حوافرها على الارض جرا واشتم رائحة العرق المنبعثة من أجساد الرجال. وبادرهم: "هل رأيتم أبي أو أخي؟"

فسألوه: "من أنت؟"

- اسمي بويسي ثيرون وأنا أعمى. وأبي التحق بفرقة كوماندو جوبير.

"نحن متوجهون الآن للحاق بجوبير. وسوف نخبر والدك بأننا التقيناك."

وبعدما انصرف الرجال مشى بويسي وراءهم بعض الوقت وهو يتنشق الغبار المنبعث من حوافر الخيل. انهم ذاهبون، وهو باق لأنه عاجز لا نفع منه.

بعد قليل سمع بويسي وقع حوافر أخرى، لكنها لم تكن لخيول جماعته. فهي أثقل وهي ملجومة، ورجال جماعته يمتطون خيولهم طليقة العنان. وسمع جلجلة السلاسل وقرع الحديد. انهم الجنود الانكليز. ولا ريب في أنهم جادون في أثر الرجال التعبين الذين مروا به قبل حين.

"هل شاهدت رجال كوماندو يمرون من هنا أيها الغلام؟"

كان الرجل الذي خاطبه أقرب

الخيالة اليه، وأغلب الظن انه قائد الفرقة. وأجابه بويسي: "كنت خارج المزرعة طوال النهار ولم أرَ شيئاً."

وقال رجل آخر: "لن تحصل على معلومات من الصبي. لكني واثق من أن الكوماندو مروا من هنا متجهين نحو التلال. وهم لم يبتعدوا كثيراً لأن جيادهم تعبة."

لم يكن بويسي يجهل ان جياد جماعته كانت تعبة، لكنه تعجب عندما تردد القادمون الجدد في تحديد وجهة الذين سبقوهم فيما كان هو عالماً بها بمجرد تلمس أثر الحوافر بقدميه وفيما روث خيولهم ما زال دافئاً لم يغطه التراب.

وقال قائد الفرقة: "هيا بنا اذاً، أنهم لم يبتعدوا كثيراً."

انصرف الجنود ورجح الصبي أن عددهم يقارب الثلاثين. لكنه قدر ان ثمة مزيداً منهم في المنطقة. فأصاخ وراح ينتظر.

ولم يدم انتظاره طويلا اذ سمع طلقاً نارياً وحيداً أعقبه طلقان آخران متفرقان. انهم جماعته، فالانكليز لا يطلقون النار هكذا ولا يقاتلون في مجموعات صغيرة. ثم تسارعت الطلقات فخاف بويسي على والده وشقيقه.

وسألته أمه عندما عاد الى المنزل: "هل رأيت الجنود الانكليز؟".

أجاب: "نعم، رأيتهم وتحدثوا معي. كانوا يتعقبون فريقاً من الكوماندو من هنا للحاق بجوبير. ان والدي وديرك هما أيضاً معه هناك."

قالت أمه: "ليتنا نتلقى بعض الاخبار عنهما!"

- أجل يا أماه، فالحياة صعبة من دون أخبار. كما يصعب علي، كوني رجلا، أن أبقى هنا. فاليوم شعرت بالخجل مرتين: عندما واجهت رجالنا وعندما وقفت أمام الانكليز. لقد أخبرت جماعتنا بحقيقة أمري ولم أخبر الانكليز الذين لم يعرفوا أني أعمى. أماه، كم أتمنى القيام بأي عمل يكون مفيداً!"

قائد الكوماندو

في تلك الليلة لم يذق بويسي طعماً للنوم. فكأن ذاك الصبي توخى مساعدة الآخرين من خلال أرقه وعذابه وتفكيره. راح يخطط في ذهنه لمعركة وهمية كانت رقاب الاحصنة فيها تتصبب عرقاً وتنبعث فيها رائحة الرجال، رائحة كتلك التي اشتمها عندما مر الرجال بالمزرعة. وخيل اليه أنه يسمع صوت البنادق ودوي الانفجارات والطلقات النارية ووقع الحوافر وجلجلة السلاسل الحديد. فجأة هب من فراشه وصاح: "أمي، أمي! انه أخي ديرك! وهو مسرع على جواده سوارتكي." وهرع نحو أمه فشعر أنها نهضت من فراشها. قال لها: "أحضري لي البندقية."

فأتته بالبندقية ووضعتها في يده، فصلاها وتلمس طريقه نحو الباب وفتحه. وشعر بأن الحصان المقترب يبطىء عدوه فنادى أمه: "أضيئي القنديل وأحضري جواداً مرتاحاً."

وقف بويسي على عتبة الباب وقدماه العاريتان متشبثتان بحجار المدخل وبندقيته في يده جاهزة لاطلاق النار.

كان يعرف ان الحصان الآتي هو حصان ديرك، لكنه لم يعرف ما اذا كان ديرك هو فارسه في تلك اللحظة فصاح: "توقف والا أطلقت النار!"

- بويسي، بويسي، ماذا تفعل؟

تنفس الصبي الصعداء وقال: "ان أمي تحضر لك جواداً مرتاحاً. أسرج الحصان الجديد وامض من دون تأخير."

- لا تخف يا بويسي فلا أحد يتعقبني. انما جئت طالباً منك أن ترافقني.

سمع بويسي شقيقه وهو يسرج الحصان الجديد وسمع أمه تسأله:

"ما الخبر يا ديرك؟"

- أمي، الوقت ضيق ولا مجال للشرح الآن. لقد جئت لآخذ بويسي لأن جوبير يحتاج اليه.

"جوبير؟ هل تعني انك ستأخذ بويسي الى الحرب؟ وهل يمكنه أن يفعل شيئاً؟"

وردد بويسي: "صحيح، ماذا يمكنني ان أفعل؟"

- سأخبرك في الطريق. تعال.

وضع بويسي قدمه في الركاب وأمسك ديرك بيده اليسرى ورفعه، فاستقر الاخوان على صهوة الجواد. وقال ديرك: "تمسك جيداً يا بويسي."

ما ان طوق الصبي خاصرة شقيقه حتى انطلق بهما الحصان. وكان المطر بدأ ينهمر. أين تراه ذاهب مع أخيه؟ وكيف يستطيع مساعدة جوبير؟

ازدادت وعورة الطريق وتخللتها حجار مبعثرة كثيرة. فجأة استقام بويسي على الصهوة اذ شم رائحة الجبل.

وقال ديرك: "لقد أوشكنا أن نصل، ها هي نار المخيم." ثم صاح في الرجال: "لقد عدت" وترجل وساعد أخاه في النزول.

وسمع صوت أبيه: "هل بويسي معك؟" فصاح: "ها أنذا يا أبي."

وقال جوبير: "أين الصبي؟"

فأجاب ديرك: "نحن هنا، اشرح له ما تريده منه فأنا لم أقل له شيئاً."

قال جوبير: "اسمع يا بويسي. اننا مئة رجل هنا. والانكليز حلوا شمالا وهناك فرقة كوماندو من رجالنا ترغمهم على التراجع. الانكليز لا يعرفون بوجودنا في هذا المكان وهم يتقهقرون في اتجاه معبر النهر الذي نسيطر عليه."

وقاطعه بويسي: "فهمت، وهكذا يقع الانكليز بين نارين في طريق تراجعهم."

قال جوبير: "بالضبط، لكن ثمة خللا طرأ من دون أن ندري. لقد تمكنت قوة انكليزية من الوصول الى قمة الجبل عبر طريق أخرى. وان كنا نحن نسيطر على معبر النهر، فهم الساعة يسيطرون علينا. وقد عزمنا على مهاجمتهم الليلة، وما من طريق اليهم سوى ممر جبلي واحد هو مسلك ضيق جداً للمعزى. والظلمة ستكون حالكة للغاية ولن نستطيع المرور. وقد قال أخوك أنك سترشدنا الى أعلى الجبل."

وصاح الصبي: "أنا أقود فرقة كوماندو جوبير؟"

أجاب ديرك: "أجل، أنت يا بويسي. انك تعرف المسلك جيداً."

- بالطبع أعرفه!

لم يكن في الامر عجب، ألم يسلك ذاك الممر معظم أيام حياته؟

المبصر الوحيد

اقتيد بويسي الى مدخل الممر وتبعه والده وخلفه ديرك ثم الرجال الباقون. وسار الجميع في صف طويل يتبعون بويسي عبر ممر معزاه قاصدين قمة جبله. لقد كان الصبي تلك الساعة قائد الكوماندو بلا منازع.

تقدم بويسي ثابت الخطى وقدماه تعرفان موطىء كل جذر وكل منحنى وكل صخرة. وتعرف فوراً الى روائح الاعشاب الجبلية والى تلك النسمات المنعشة البليلة وتيارات الهواء الخفيفة. ففي مكان كذا دفء وفي ذاك برودة. وبلغ مسمعه هدير مياه المطر وهي تنسكب شلالات لتصب في المروج عند سفح الجبل.

وتمتم والد بويسي بخشوع: "هذا ممر للمعزى والقرود. ولم أدرِ قط أنك كنت تأتي الى هذا المكان، ولو علمت لما سمحت لك. فزلة قدم واحدة قد تكون قاتلة."

- أنا لا أتعثر ولا أنزلق. فهذا الجبل جبلي.

ضحك بويسي في قرارة نفسه لأن الظلمة كانت عاملا مناسباً في تلك الظروف، ولربما عدل الرجال عن فكرة التسلق لو أن الوقت نهار. لكن الرجال لا يرون في الظلمة، ولأن بويسي ثيرون ضرير بين هؤلاء المبصرين جميعاً فهو الوحيد القادر على الابصار!

قال الصبي لأبيه بعدما وصل قبالة الجرف: "لقد قاربنا الوصول." ووجد في صخرة مبللة فجوة ثبت فيها أصابعه واندفع الى الامام متابعاً تسلقه. وما هي الا برهة حتى وصل الى القمة ومعه والده. وبلغ الرجال المكان واحداً تلو آخر وهم يلهثون من فرط الجهد على رغم أن عملية التسلق تمت من دون مشقة. وأصدر جوبير أوامره بصوت خافت فتفرق الرجال في أرجاء البقعة.

وقال له والده وهو يخبئه وراء حجر كبير: "ابقَ هنا وسنعود اليك في وقت لاحق."

لم يبقَ على الصبي سوى الانتظار. وشعر بحركة الرجال وهم يبتعدون متسللين في اتجاه مخيم كان اهله مستسلمين للرقاد.

وعلت صيحة أعقبها طلق ناري. ثم راح الجميع يصيحون ويطلقون النار. وتعالت أنات الجرحى وتكاثفت الرمايات ثم سمع هتاف ابتهاج اطلقته جماعة الـ"بوير" (★) ثم صيحة نصر: "انهم يهربون!"

وسمع بويسي دوي انفجار عظيم وشم رائحة البارود: وبعد طلق أخير لم يعد يسمع شيئاً. وفاجأه صوت والده: أما زلت هناك؟"

- أنا هنا.

أمسك أحد العائدين بيد بويسي. كان ذلك جوبير نفسه الذي قال للصبي: "أريد أن أشكرك. فلولاك لما استطعنا تنفيذ هذه العملية. حتى لو كان الليل أقل ظلاماً وكنا قادرين على

(★) نشبت حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢) في جنوب افريقيا بين بريطانيا من جهة وولاية اورانج الحرة وجمهورية ترانسفال من جهة اخرى.

الابصار يصعب علينا الوصول الى القمة."

وتحلق المقاتلون حول بويسي وكل منهم يأخذ يده ويهزها شاكراً وغصة التأثر تخنق أصوات الجميع. "لولاك يا بويسي..." نعم، انها الحقيقة. فلولاه لمنيت الفرقة باصابات كثيرة ويتمت تلك الليلة ورملت عائلات كثيرة. وكان بويسي يعلم انه انجز عملا خارقاً.

وقال أحدهم وكان رجلا مسناً: "سوف تؤلف الأغاني حول عملية بويسي ثيرون. لقد كانت مشيئة الله أن يقودنا الصبي هذه الليلة!"

أجل، انها مشيئة الله التي وجهت خطى ذلك الصبي عبر أماكن لا عهد له بها، لأنه لم يطأ قمة ذلك الجبل من قبل. ومعزاه هي التي وصلت الى القمة من غير أن يرافقها، وكان يسمع وقع ظلوفها على الصخور العالية. أما هو فلم يجرؤ قبل تلك الليلة على مثل تلك المغامرة، مغامرة الصعود الى القمة.

■ ستيوارت كلويت

العلم والثقافة

في أحد الصفوف ثبت على الجدار، طوال العام الدراسي، رسم لهيكل بشري يبين العظام والعضلات الرئيسية مع أسمائها. وعلى رغم ان الاستاذ لم يُشر الى ذلك الرسم من قريب أو من بعيد، الا انه طرح السؤال الآتي في الامتحان النهائي: "عين مواضع العظام والعضلات الرئيسية في جسد الانسان مع ذكر أسمائها."

واحتج الطلاب على السؤال بصوت واحد قائلين: "نحن لم ندرس هذا الموضوع قط". لكن المعلم رفض الاحتجاج بقوله ان المعلومات بقيت على اللوح طوال السنة. وفي نهاية الحصة جمع الاوراق ثم مزقها قائلا: "تذكروا ان الثقافة تتجاوز ما يقرأه المرء في الكتب أو يسمعه من المحاضرين."

ج.س.

سر المهنة

قالت الصحافية التلفزيونية الشهيرة برباره والترز:

"الفضول يمنحني الجرأة. وبالنسبة الي، فالسؤال الاول ليس المهم، بل الثاني. وهذا، عادة، يكون في الصيغة الآتية: لماذا فعلت؟ لماذا لم تفعل؟ لماذا لا يمكنك ان تفعل؟

"وأني، اذ استجوب أحدهم، أنسى ذاتي وأنصب كلياً على كشف حقيقة الآخر. وهذا الانصباب يعينني على تجاوز مخاوفي ومحدودياتي الشخصية. وأجمل اطراء أحب سماعه من المشاهدين هو الآتي: "لقد طرحت الاسئلة التي كنا نود طرحها."

شبكة "اي. بي. سي."

دَعوهَا تطيرُ

ما وظيفة الزغب والنتوءات على سطح كرة المضرب؟ لماذا تنحرف "الكلَّة" وكرة الطاولة بعد قذفهما؟ من هم المهندسون الرياضيون؟ اسئلة كثيرة حيرت الرياضيين والجواب عنها في هذا المقال

في المختبرات العالمية يسقط العلماء كرات البيسبول في انفاق هوائية ويقذفون كرات التنس الى مضارب مثبتة ويصممون النقرات الصغيرة على سطح كرات الغولف. انهم يتحاورون ويتناقشون في بعض الأمور المتعلقة بالرياضة مثل انعطاف انحناء كرة البيسبول ومدى صحة الفكرة القائلة بأن المضرب المرن يؤمن زخماً اقوى.

بعيداً عن الجامعات والشركات المهتمة بالادوات الرياضية يعمل هؤلاء العلماء او المهندسون الرياضيون في آفاق بعيدة تتجاور معارك العضلات والتخطيط والشجاعة.

ففي لعبة الغولف مثلا تجبه اللاعب صعوبات تقنية قبل ان يضع الكرة

(c) 1982 by William Sones, condensed from Cleveland Plain Dealer (July 25, '82), Cleveland, Ohio

فوق كومة الرمل الخاصة: هل يستعمل المضرب الفولاذي ام الغرافيتي؟ هل يستعمل الكرات ذات المركز الصلب ام ذات المركز المائع؟ هل يستعمل الكرات ذات النتوءات الدائرية او المربعة او المسدسة؟

ان تقنية هذه النتوءات مذهلة. فقبل مئة سنة اكتشف العلماء ان الكرات المغطاة بالنيكل تقطع مسافة تفوق تلك التي تقطعها الكرات الملساء. وقد ادى هذا الاكتشاف الى اعتماد الكرات ذات السطح الخشن في اواخر القرن التاسع عشر ثم الكرات التي تغطي سطوحها نتوءات مدروسة بطرق علمية.

وهناك اليوم على الاقل شركتان لانتاج الادوات الرياضية تستخدمان مهندسين اختصاصيين بالديناميكا الهوائية لتصميم هذه النتوءات.

لماذا تقطع الكرة ذات النتوءات مسافة تزيد خمسين في المئة على المسافة التي تقطعها الكرة الملساء؟ ان علم الفيزياء يقدم الاجابة عن ذلك.

عندما تقذف كرة الغولف فانها تقفز الى الامام دائرة حول نفسها خلفياً بسرعة نحو ٣٥٠٠ دورة في الدقيقة. وهكذا فانها تجر حولها دوامة من الهواء، والنتوءات تزيد هذه النتيجة كثيراً اذ تعمل مثل مجارف هواء صغيرة.

عندما تنطلق الكرة بسرعة الى الامام تندمج الدوامة الهوائية فوقها بالهواء المقترب. ووفقاً لوجهة الدوران يصطدم الهواء المنفوث تحت الكرة بالهواء المقترب، فتنشأ عن ذلك منطقة من الضغط المرتفع تدفع الكرة الى اعلى. وهكذا تصبح الكرة تحت تأثير قوة هوائية رافعة.

ولعبة البيسبول كذلك مبنية على علم الفيزياء والهندسة. واصعب ما في هذه اللعبة قذف الكرة. فالكرة المقذوفة جيداً تراوح سرعتها بين ١٤٥ و١٦٠ كيلومتراً في الساعة بعد اربعة اعشار ثانية من قذفها.

يقول لين البرت، استاذ علم المعادن والمواد في جامعة وسترن رزيرف في اوهايو وأحد مستشاري شركات الادوات الرياضية، ان حامل المضرب يرى الكرة لمدة عشر ثانية ويهيىء عضلاته في فترة عشر ثانية فلا يبقى امامه سوى عشرين ثانية ليقرر طريقة رد الكرة بالمضرب. واذا اخطأ توقيته بجزء من مئة من الثانية، فقد تأتي الضربة الصحيحة خطأ، كذلك اذا اخطأ في ترجيح المضرب بمليمتر واحد.

كرات وكلل – قد تعجز العين الثاقبة والتوقيت الصحيح عن التصدي للكرة المنعطفة التي يرسلها القاذف. فهل تغيرالكرة المنعطفة اتجاهها حقاً؟ ان ذلك يحدث فعلا كما يقر كثيرون من الذين يمسكون المضرب. ففي العام ١٨٥٢ نشر عالم الفيزياء والكيمياء الالماني هاينريك غوستاف ماغنوس نتائج دراساته المتعلقة بالاجسام التي تدور حول مركزها. وان ما يسمى "تأثيرات ماغنوس" هو ما يجعل كرة البيسبول تغير مسارها ويجعل كرات المضرب والطاولة تهبط او ترتفع على نحو مفاجىء.

في العام ١٩٥٩ كان الجدل دائراً حول الكرات المنعطفة. فعمد ليمان بريغز من المجلس الوطني للمقاييس في الولايات المتحدة الى اسقاط كرات بيسبول اثناء دورانها في انفاق هوائية وقاس مقدار انحرافها، فوجد ان كرة تدور بسرعة ١٦٠٠ دورة في الدقيقة قد تنحرف بمقدار ٣٧ سنتيمتراً في طريقها الى الهدف.

ان تغيير الكرة اتجاهها ناتج من النتوءات الموجودة على سطحها. وهذا ما يحدو قاذفي الكرة على ابلائها. فسطح الكرة البالية هو اكثر خشونة مما يضاعف أثر الدوران الذي يجعل الكرة تغير مجراها فجأة.

والكلّة التي يلعب بها الصغار تعتبر اكثر مراوغة وخداعاً مما سبق. وقد حار في امرها العديد من الهواة على مدى السنين. وفي العام ١٩٧٤ تبين لروبرت وات استاذ هندسة الميكانيك في جامعة تولين (ولاية لويزيانا) ان النتوءات في سطح الكلة هي المسؤولة عن هذه الظاهرة.

المهم في قذف الكلّة ان يكون دورانها بطيئاً. وعندما تصل الكلّة المراوغة الى اللوح - الهدف بسرعة تراوح بين ١٠٠ كيلومتر و١١٠ كيلومترات في الساعة تحدث النتوءات على سطحها تشويشاً في الهواء المنساب حولها مما يخلق قوى جانبية تحرف الكلّة بحوالي ٣٠ سنتيمتراً. وعندما تدور الكلّة ببطء تغير النتوءات مسارها مرة اخرى اثناء مرورها في الطبقات الهوائية.

ومع ذلك فان على قاذف الكلّة ان يكون حذراً، فقد يكون من شأن دورة واحدة فقط ان تُفقد التأثير الناتج من هذه القوى. واذا حدث هذا، اصابت الكلّة الهدف.

النقطة الحلوة - اما بالنسبة الى التصادم بين المضرب والكرة فهو ينتهي قبل ان تلحظه العين وفي فترة لا تتعدى خمسة اجزاء من الف من الثانية. وتنضغط كرة البيسبول بنحو ٢،٥ سنتيمتر ثم تسترد شكلها الاصلي دافعة المضرب ومنطلقة الى الملعب.

والآن اذا كانت الالعاب الرياضية احياناً كثيرة تعتمد فن التصادمات، فما الذي يجمع بين ضربة الاستهلال الصاعقة للاعب كرة المضرب روسكو تانر وضربة الاستهلال الهائلة للاعب الغولف جاك نيكلاوس؟

المدهش في الأمر ان سرعة الكرة في كلتا الحالين متقاربة. فضربة الاستهلال السريعة لمحترفي كرة المضرب تقارب ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة، وهو رقم قريب جداً من سرعة كرة الغلوف لدى قذفها.

لكن التصادم في هاتين اللعبتين مختلف جدا كما يقول البرت. فكرة المضرب الفارغة تنعصر عصراً بتأثير الصدمة وكأنها قطعة مطاط، ثم تسترجع شكلها جزئياً وتدريجاً اثناء اتجاهها نحو الشبكة مما يزيد مقاومة الهواء لها الى حد كبير. اما الزغب على سطح الكرة فله تأثير سحب واعاقة.وعندما تصل الكرة الى الخصم بعد ان تضرب الارض تكون سرعتها حوالي ٦٥ كيلومتراً في الساعة بينما تحافظ كرة الغولف على سرعتها

الاولى بعد قطعها المسافة نفسها.

ان اهم الدراسات في هذه الايام تهتم بتصميم مضارب التنس، خصوصاً ما يتعلق بالنقطة "الحلوة" في المضرب حيث تكون الضربة صحيحة ومناسبة. ويتحدث المهندسون الرياضيون عن ثلاث نقاط حلوة لا واحدة، تتعلق بنقطة التصادم بين الكرة والمضرب بحيث تكون الصدمة اخف ما يمكن وتسبب اقل ارتجاج ممكن للمضرب وتأتي الضربة اقوى ما تكون. ويقول هوارد برودي من جامعة بنسلفانيا ان تحديد مكان هذه النقاط الحلوة يختلف باختلاف وزن المضرب وشكله وحجمه وعوامل اخرى.

والآن، ماذا لو امكن تصميم المضرب بحيث تتجمع هذه النقاط الثلاث في بقعة واحدة مكونة نقطة "هائلة" لقذف الكرة؟

يقول برودي ان احداً لم يتوصل الى ذلك حتى الآن. على ان احد المنتجين يدعي انه تمكن من جمع نقطتين في مركز شبكة المضرب هما نقطة الصدمة الضعيفة ونقطة الارتجاج الخفيف.

ماذا بعد ذلك؟

كرات غولف يتحكم بها اللاعب عن بعد

كرات بيسبول مغطاة بقشور رقيقة؟

في المستقبل القريب، حين يقصر فريق رياضي عن الفوز لسبب ما، قد يوجه اصبع الاتهام الى مهندسه الرياضي!

■ بيل سونز

اللحن والصورة

كان آنسل ادامز عازف بيانو في فرقة موسيقية عندما اتخذ التصوير الفوتوغرافي هواية. وكان لخبرته الموسيقية أثر كبير في توجيه خطاه بالنسبة الى التصوير، اذ علمته أن ينظر الى الصورة السلبية كمفتاح موسيقي والى الصورة المظهرة كلحن ناجز. واذا شاء المرء أن يصبح عازف بيانو، فعليه أن يتمرن على العزف نحو ثماني ساعات يومياً الى أن يمتلك السيادة على مفاتيح آلته. أما اذا شاء أن يكون مصوراً، فعليه أن يتدرب حتى تصبح آلة التصوير امتداداً لعينيه ويديه. وعلى رغم ان الموسيقي يتعامل مع الصوت واللحن في حين يتعامل المصور مع النور والوضوح، فان الكمال في كلتا الحالين هو الهدف وتحقيقه لا يتم بسهولة.

و.س.

سيارة بحصان

لو كنتُ معنياً بصناعة السيارات في الولايات المتحدة، لركبني الهمّ. اذ ماذا يرجو صانعو السيارات من رئيس يفضل ركوب الحصان؟

روبرت اوربن

الضحك خيرُ دَوَاء

تلميذ مطيع

عاقبت مدرسة صبيين لعدم انضباطهما، فارضة على كل منهما ان يكتب اسمه مئة مرة بعد الدوام اليومي. وبقي احدهما وقتاً طويلا بعد مغادرة رفيقه يكتب وهو يكاد ينفجر غيظاً. ولما سألته المعلمة عن سبب تأخره اجاب باكياً: "ان اسمه هو سمير ناصر، اما اسمي انا فمحمد علي زين الدين بن الحاج ابرهيم عبد الرشيد."

م. س.

فرن بارد

عندما جاء العامل لتنظيف الفرن في مطبخنا سألته عن الوقت الذي يستغرقه عمله علني اكتب رسالة الى صديقة في اثناء ذلك. وبعد تفكير اجاب: "اجل، اكتبي، ولا تنسي شيئاً من التفاصيل."

ن.ت.

طفلة فوق الجليد

كانت ابنتي في السادسة عندما اخذتها الى صف التزلج للمرة الاولى. وبعد عشر دقائق من اللعب بدت انها غير مكترثة. فسألتها ان كانت تحب تلك الرياضة. فقالت: "اجل، ولكن اين الاطفال الذين لا يرتدون ثياباً؟"

وضحكت كثيراً إذ تذكرت ان المدرب اعلن قبل بدء اللعب: "الآن يأتي دور اولئك الذين لا يرتدون ملابس للتزلج."

و.ف.

الهيمنة الزوجية

كنتُ وزوجي نتحدث عن صديقة لنا قوية الشخصية تحمل زوجها على تلبية جميع طلباتها وتهيمن عليه في كل شيء. فقال زوجي: "ألم تلاحظي ان الزيجات كلها متشابهة من حيث سيطرة احد الزوجين على الآخر؟"

وبعد تفكير قليل اجبته: "هذا ما يجعل حياتنا الزوجية ممتعة... اليس كذلك؟"

– اجل! فبعد خمس عشرة سنة من الزواج لا يزال كل منا يسابق الآخر على الهيمنة.

ج.و.

بين الدب والثور

لدى بلوغه خلاء مقطوع الشجر، شاهد راعي البقر ثوراً جامحاً يحاول الانقضاض على راع آخر. لكن هذا كان ينزل الى حفرة في الأرض كلما اقترب منه الثور. وما ان يصعد منها حتى ينقض عليه الثور وهو مهتاج أكثر من المرة السابقة.

وعيل صبر الفارس وهو يرى العملية تتكرر أكثر من عشر مرات. فصاح بزميله: "لماذا لا تبقى في تلك الحفرة حتى يذهب الثور؟"

فبرز المسكين من مكانه ليقول: "هناك دب في الحفرة."

م.ا.

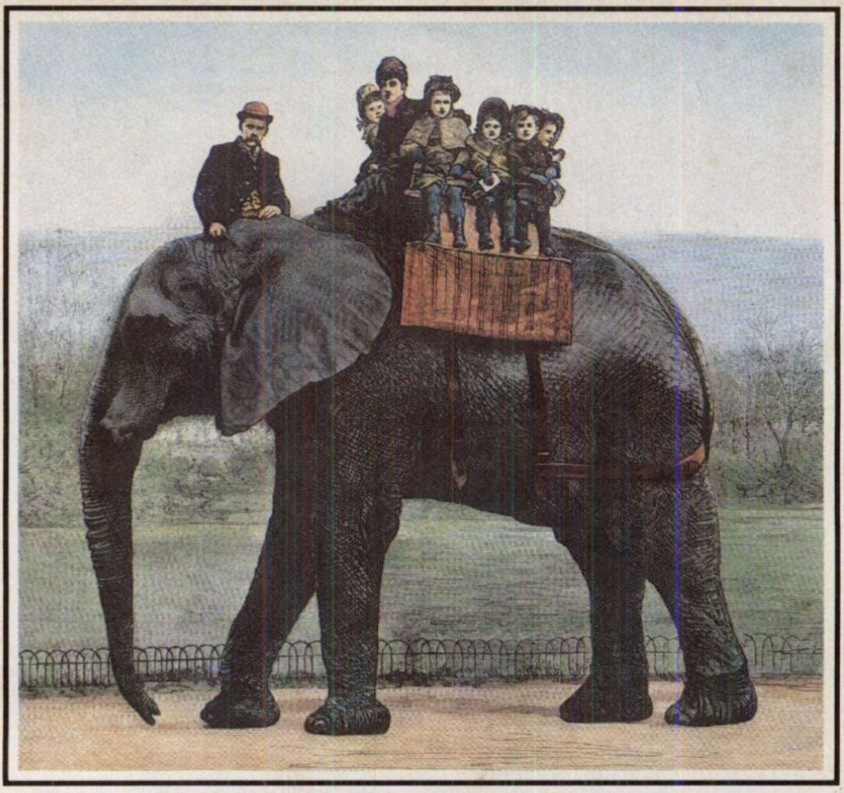

جامبو يأخذ الاولاد في نزهة اخيرة في حديقة الحيوان في لندن٠

حَبيبُ الملايين

لم يعش في الأسر فيل مثل جامبو٠ فقد ولد في الغابات الافريقية وبلغ ارتفاعه ٣،٣ امتار فكان نجم حديقة الحيوان في لندن والفيل المفضل لدى الملكة فيكتوريا والالوف من اطفال بريطانيا٠ وكان ثمة معجب آخر هو صاحب السيرك الاسطوري فنياس بارنوم٠ فقد ادرك هذا الامريكي ان اضخم افيال العالم الاسيرة سوف يستقطب الانظار ويؤمن تفوقه في عالم السيرك، فدفع مبلغ الفي جنيه استرليني ثمناً لجامبو وكان هذا مبلغاً ضخماً قبل مئة سنة٠

لو توقعت ادارة حديقة الحيوان في لندن الضجة العارمة التي اعقبت بيعها ذلك الفيل لما اقدمت عليه قط. فقد استنكرت الصحافة – بما فيها صحيفة "التايمس" – هذه الصفقة وألح سياسيون ونبلاء وشخصيات بارزة على وجوب الغاء البيع. واستحوذ الغضب على كثيرين لاقدام امريكا الحديثة الثراء على نهب كنوز "الوطن الأم." واستعطف مئات من الاولاد الذين امتطوا الفيل الوديع صاحب السيرك كي لا يبعد عنهم صديقهم الوفي.

حتى الملكة فكتوريا أبرقت الى المشرف على حديقة الحيوان مستوضحة الامر كما استدعاه ولي العهد الى قصر مارلبورو ليبحث معه هذه الصفقة.

وكتبت صحيفة الـ"دايلي تلغراف": "لا نزهات هادئة بعد اليوم ولا اشجار ظليلة ومروج خضراء واحواض من زهر. فصديقنا المحبب سيقطن في خيمة ويؤدي ألعاب السيرك العادية. وعوضاً عن تنقلاته الحميمة مع الفتيات والفتيان البريطانيين وولائمه الشهية من قطع الحلوى والليمون التي قدمها اليه اصدقاؤه سيكتفي جامبو بالفستق والخبز المحمص."

وكان رد فعل الصحف الامريكية حماسياً اذ اهابت ببارنوم ان يتمسك بحقه ويواصل استعداداته لتسلم الفيل. حتى صحيفة الـ"نيويورك تايمس" الرصينة اخذت تنشر مقالات يومية في صفحتها الاولى عن الجدل القائم حول جامبو.

وأبرق محرر الـ"دايلي تلغراف" من لندن الى بارنوم طالباً منه ان يحدد الثمن الذي يريده لالغاء الصفقة، فرد هذا قائلا: "ان واحداً وخمسين مليون مواطن امريكي ينتظرون وصول جامبو، ومئة الف جنيه استرليني لن تغريني بالغاء الصفقة."

وفي محاولة اخيرة لوقف البيع رفع اعضاء جمعية اصدقاء الحيوان دعوى قضائية الى المحكمة العليا. لكن الحكم جاء مؤكداً صحة البيع واصبح جامبو ملكاً لصاحب السيرك الامريكي.

وما ان شاع الخبر حتى تقاطر سكان لندن الى حديقة الحيوان بمعدل ٢٥ الف شخص يومياً لالقاء النظرة الاخيرة على جامبو، كما بيعت كميات هائلة من قطع الحلوى التي قدمت الى الفيل.

وعمت لندن موجة من "جنون جامبو" وظهرت قلائد وعصي واقراط وأساور وخلاخل وسيكارات تحمل صوره وبيعت بالالوف. وراحت الفرق الموسيقية تعزف في الحانات والساحات العامة "لحن جامبو العسكري" وظهرت صور "جامبو وحيداً" و"جامبو مع الناس" و"جامبو تحت هودجه" و"جامبو بلا هودج" و"جامبو في الاسر" و"جامبو الطليق."

وفي شهر فبراير (شباط) ١٨٨٢ بدأت الاستعدادات لرحلة جامبو عبر الاطلسي. وفي الخامسة من صباح الاحد الواقع فيه ١٩ فبراير (شباط) اقتيد الفيل خارج حديقة الحيوان. وحين وصل الى الشارع برك هناك

Condensed from Smithsonian (May 1982), (c) 1982 by Smithsonian Institution, Washington, D.C.
Engravings: The Mansell Collection

رافضاً ان يتقدم خطوة أخرى وأخذ يجأر بصوت يثير الشفقة.

وحاول مدربه ماثيو سكوت اغراءه بالنهوض فلم يفلح، وأبرق وكيل بارنوم الى نيويورك: "برك جامبو في الشارع ويأبى النهوض. ماذا نفعل؟" ورد بارنوم: "دعوه يبرك هناك اسبوعاً كاملا اذا شاء. انها افضل دعاية لنا في العالم."

تمكن المدرب سكوت من اقناع الفيل باللحاق به عبر هذا القفص. وطوال اسبوع تكررت هذه الخدعة حتى اليوم السابق لموعد الرحيل. ففي ذلك اليوم دخل الفيل القفص وقيد بالسلاسل واقفل جانبا القفص بعوارض خشبية متينة.

عبر الاطلسي — كان يوماً كئيباً

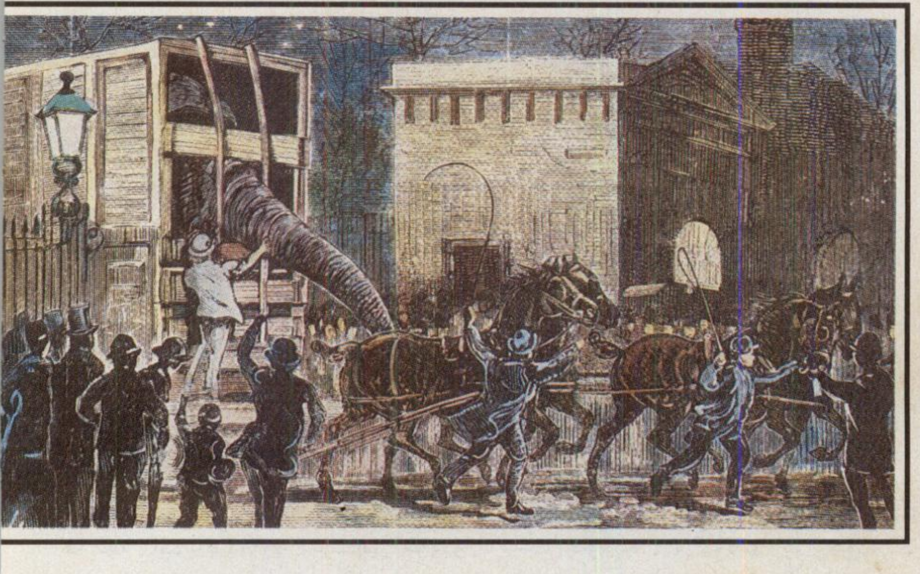

واخيراً انتصر عناد جامبو وعاد الى حظيرته القديمة بينما انصرف الجميع الى وضع خطة لنقله. وصنع قفص ضخم ذو عجلات وترك جانباه مفتوحين وكان على جامبو ان يمر عبره كلما دخل حظيرته او خرج منها.

وبعد جهود شاقة في فنون الاغراء

قارس البرودة وقد حمل الهواء هفتاً من الثلج: وتجمع حشد كبير في حديقة الحيوان لوداع الفيل الذي احبوه. ووقف سكوت يراقب العمال وكان طلب منه ان يرافق الفيل الى الولايات المتحدة، وانتشر رجال الشرطة لتهدئة الجمهور.

وتعثر سير العربة الضخمة وغرزت عجلاتها غير مرة في وحل الطريق داخل الحديقة وعمل الرجال ساعات لزحزحتها. وكان المشاهدون في اثناء ذلك يهتفون فرحاً وشماتة. وفي احدى المراحل اثارت الجلبة اعصاب الفيل فجأر غاضباً فدب الذعر بين المتفرجين وتفرقوا لبعض الوقت.

واخيراً وصل القفص الى بوابة الحديقة تجره عشرة جياد. وسار الموكب الحزين الى رصيف سانت كاثرين فتعالت صيحات عالية تقول: "وداعاً يا جامبو، وداعاً يا سكوت، ايها الصديق القديم."

في الخامسة صباحاً وصل الفيل الاسطوري بأمان الى رصيف المرفأ، وللحال رفع في قفصه الذي فاق وزنه بحمولته ١٢ طناً، الى متن طوف كبير نقله الى الباخرة العابرة الاطلسي "الملك الأشوري." وهناك تلقى الفيل بادرة عاطفية اخيرة. ففي وقت باكر

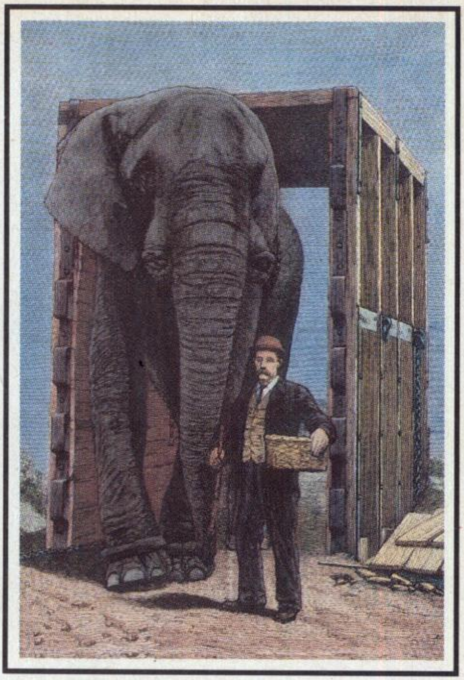

(فوق) جامبو ومدربه ماثيو سكوت والقفص.
(الى اليمين) محاولة لجره الى القفص.
(تحت) الرحلة الى المرفأ.

جاءت سيدة مسنة الى حديقة الحيوان، لكي تقدم اليه قطعة حلوى، لكنها وصلت متأخرة. فسارت مسافة ١٠ كيلومترات الى رصيف الميناء حيث روت قصتها والدموع هاجلة من عينيها. فحرك استعطافها رجال الشرطة وسمحوا لها بالدخول.

وعبرت السيدة البوابات فرحة وتوجهت نحو الفيل. وقيل ان الفيل صوت لها حين رآها ومد لها خرطومه. فاخرجت من سلتها زجاجتي جعة وسكبت محتوياتهما في فجوة الخرطوم. ولوى جامبو خرطومه ودفع الجعة المزبدة في فمه. بعد هذا ألقمته السيدة الحلوى ثم ودعته باكية.

وبعد يومين أبحر أشهر المهاجرين الى امريكا قاصداً نيويورك حيث لقي في ٩ ابريل (نيسان) ١٨٨٢ استقبال الابطال. ولم يكن بارنوم وحده في انتظاره، بل كان هناك ألوف المشاهدين الذين احتشدوا على الابواب وفوق السطوح وفي النوافذ لمشاهدة نزول الفيل الى البر. واعلنت صحيفة الـ"نيويورك تايمس": "كان العالم بأسره ينتظر بفارغ الصبر سماع اخبار عن صحة الفيل، ووقفت الحشود تنظر باعتزاز الى جامبو."

صعد بارنوم الى السفينة ليعاين كنزه ورافقه القبطان الى حظيرة الفيل حيث قدم اليهما سكوت تقريراً عن صحته. وعلى رغم تأكيد بارنوم ان الافيال لا تصاب بدوار البحر فقد ظل جامبو لبضعة ايام منحرف المزاج. ورأى بارنوم حوله عشرات من صناديق الجعة فأوضح له سكوت ان المسافرين ارسلوها الى الفيل مع الحلوى.

ورفع القفص الى اليابسة بواسطة رافعة عائمة ومن هناك جره ١٦ حصاناً الى حديقة ماديسون. وسار الموكب الغريب صعداً في جادة برودواي وخلفه جمهور ثائر مبتهج. وفي الاولى والثلث بعد الظهر وصل الى مدخل حديقة ماديسون.

صديق الملايين ـ وكان شراء جامبو ونقله كلفا ٦٠٠٠ جنيه استرليني، لكن بارنوم استرد هذا المبلغ في اقل من اسبوع بعدما عرض الفيل على الجمهور. وللتشديد على ضخامة جامبو كان العارض يوقف بجانبه فيلا صغير الحجم دعي "ابهام توم."

وتدفقت ألوف الهدايا من انحاء البلاد الامريكية. ونشرت احدى الصحف ان الفيل يحب البصل، وخلال اسبوع وصلت الى الحديقة شحنات من البصل.

وكان وصول جامبو الى امريكا طالع يمن فظهرت مدن جديدة نتيجة لاقامة حدائق حيوان بلدية في اماكن عدة، وتكاثرت جمعيات حماية الحيوان وانتشرت القصص التي تنسب الى الحيوانات ذكاء واخلاصاً وشجاعة. لقد كانت الولايات المتحدة مهيأة حقاً لاستقبال جامبو.

وظهرت مواد استهلاكية كثيرة تحمل صورته وبيعت اربطة احذية وانواع من الصابون والضمادات والمسهلات باسمه. واعلنت شركة تصنع الخيوط ان منتوجاتها هي من المتانة بحيث تتحمل جر جامبو.

وطوال هذا الوقت ظل جامبو يفتن الصغار والكبار في الحديقة وعلى الطرق. وخلال السنوات الثلاث التالية جاء اربعة ملايين طفل و١٦ مليون راشد لمشاهدته.

ولكن يوم الثلثاء الواقع فيه ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٨٨٥ وقعت الكارثة. وكان سيرك بارنوم يقدم عرضه المسائي في مدينة سانت توماس في اونتاريو، كندا. وفي الساعة الاخيرة من العرض بدأت عملية نقل ٣٠ فيلا الى قطار السيرك.

وكان المدرب سكوت يقود جامبو والفيل الصغير "ابهام توم" فوق خط للسكة الحديد حين رأى قطارا يندفع نحوهم. وحاول بذعر ان يخرج جامبو عن الخط لكن الوقت دهمه. ورأى السائق الفيلين فحول قوة محرك القاطرة الى الوراء وضغط الكابح، فتطاير الشرر من احتكاك العجلات الفولاذية بالقضبان الحديد لكن الوقت فات. وتلقى جامبو بجسمه كامل الصدمة ونفق من كسر في جمجمته ونزف داخلي. وأصيب "ابهام توم" ايضاً لكنه نجا من الموت.

واذاع بارنوم النبأ على النحو الآتي: "قرابة الساعة التاسعة من مساء ١٥ سبتمبر (ايلول) مات جامبو، الحيوان الاكبر والأنبل والأشهر والأحب والأثمن على الاطلاق."

وتناقلت البرقيات النبأ وبثته في انحاء العالم، وشعر الناس انهم فقدوا صديقاً عزيزاً.

لم يسبق قط ان اجتذب حيوان واحد مثل هذا العدد الكبير من الناس. وقدر عدد اصدقائه في امريكا بعشرة ملايين بعدما أحبه ودلله ملايين الناس في لندن وبعد انقضاء قرن على غيابه لا يزال جامبو أحب حيوان مشى على سطح الكرة الارضية.

■ ثيودور جايمس

عجائب الارقام

فكر في أيّ عدد صحيح فوق الصفر. اضربه بثلاثة. اجمع مع واحد. اضرب بثلاثة من جديد. أضف العدد الاساسي الى الحاصل. الجواب في جميع الحالات ينتهي بثلاثة. احذف هذه الثلاثة، يبقَ لك العدد الذي انطلقت منه.

خذ أيّ عدد مؤلف من ثلاثة أرقام متتالية. اعكس هذا العدد، ثم اطرح الاصغر من الاكبر. الجواب، في أيّ حال، سيكون ١٩٨. مثلا، اذا أخذت ١٢٣ وعكستها، فهي تصبح ٣٢١. أما حاصل الطرح فهو ١٩٨.

س.م.

السحر هو ذلك الجزء من الشخصية الذي لا يعرف صاحبه انه يمتلكه. ا.ك.

خاطر الشريف الشاب بحياته وعرض سمعته للمهانة في سبيل القضاء على الاجرام المنظم والفساد المستشري في المقاطعة

رونالد دونيل وزوجته وابنتاهما ٠

قاهرُ العصَابات

ذات يوم من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٦ تلقى رونالد دونيل (٣١ سنة) دعوة غير متوقعة الى الغداء في احد المطاعم الفاخرة في بتسبرغ، ولاية بنسلفانيا ٠ وكان دونيل آنذاك مرشحاً لمنصب "شريف" (★) لمقاطعة هانكوك في ولاية فرجينيا الغربية٠ وبعد المأدبة السخية استفرده سيلفيو بنساريو وعرض عليه خطة تقضي بأن يحمي - بصفته الشريف العتيد للمقاطعة - مصالح بنساريو في العاب القمار والتصدي لمنافسيه وارهابهم، على ان ينال في مقابل خدماته مبالغ من المال معفاة من الضرائب تبلغ في مجملها ١٠٠ الف دولار ٠

(★) ضابط امن تنتخبه كل مقاطعة امريكية وتوكل اليه مهمات حفظ الأمن وتنفيذ الاحكام القضائية٠

وكانت مقاطعة هانكوك الجبلية التي تمتد ١٠٠ كيلومتر بين ولايتي بنسلفانيا واوهايو موقعاً مثالياً لمثل هذه العمليات. فنوادي القمار فيها تجتذب كبار المقامرين من كليفلاند ويونغستون وبتسبرغ كما ان مصانع الفولاذ توفر عدداً اكبر من اللاعبين المتشوقين الى التسلية. وغدا القمار غير المشروع نهج حياة في المقاطعة مما حدا العديد من السكان على الاعتقاد بأن وراء كل ذلك فساداً مستشرياً. وتناهى الى سمع دونيل همس يقول: "فُزْ في انتخابات هانكوك ثم تقاعد ثرياً بعد اربع سنوات."

عقد دونيل العزم على تبديل هذا الوضع. فهو كان يحمل درجة بكالوريوس في علم النفس وشهادة اخرى في القضاء الجنائي. وبصفته موظفاً حكومياً في المقاطعة كان يرى رجال العصابات واتباعهم يذرعون الممرات خارج مكتبه. وشعر ان ثمة اموراً تجري على غير ما يرام وان عليه تطهير مقاطعة هانكوك تطهيراً شاملا.

في العام ١٩٧٦ ترشح دونيل لمنصب الشريف قائلا لزوجته أليس وهي مدرسة وأم لابنتيه: "انا ادرك انني قادر على القيام بعمل افضل من عملي هذا."

اشاعات – فاز دونيل في الانتخابات بتحول مفاجىء خذل الشريف السابق. وكان بعد اجتماعه ببنسيارو ازداد اقتناعاً بان ثمة مؤامرة كبرى بين العصابات في المقاطعة. غير انه كان يحتاج الى دليل قبل ان يقبض على احد. واستعان بنائبه الاول الذي يثق به لعقد اجتماع مع المسؤولين عن قسم التحريات الجنائية في شرطة فرجينيا الغربية.

وتساءل رون شيفليت المحقق العدلي في الولاية: أترى هذا الشاب مخلصاً حقاً في ما نواه؟ وبعد وقت قصير اجتمع شيفليت بالشريف الجديد ولقنه اساليب العمل السري.

في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٧ التقى دونيل بنساريو ثانية. وكان يخفي جهاز ارسال لاسلكياً الصقه بجسمه تحت ثيابه وجلس يصغي متوتر الاعصاب فيما بنسيارو يطالبه بأن يسمح له بوضع آلات قمار في احد المطاعم. وعندما غادر دونيل المكان كان جسمه يتفصد عرقاً.

بعد انقضاء بضعة اسابيع تلقى دونيل الدفعة المالية الاولى. وذكر له بنسيارو اسماء سياسيين بارزين زاعماً انهم من اصدقائه. ثم طلب منه ان يرسل رجاله لدهم نوادي قمار منافسة ووافق دونيل على ذلك. بعد هذا ارسل شيفليت الحديث المسجل الى مكتب التحقيق الاتحادي الذي تدخل حينئذ في القضية.

طوال الشهرين التاليين ظل دونيل يعمل ١٦ ساعة يومياً فيدهم اوكار العمليات المنافسة ويصادر الآلات وينقلها الى بنسيارو. وانتشرت اقاويل بانه منهمك في نشاطاته الجانبية بحيث يهمل واجباته كشريف. وكان هذا ما يريد دونيل اشاعته بين الناس ليكون طعماً يغري به سمكة كبيرة.

Photo: Tom Barr / Black Star

واصاب دونيل اول صيد سمين في ٢٥ مايو (ايار) ١٩٧٨ حين زاره فرانك بترانتون المدعي العام السابق في المقاطعة. وشدد بترانتون على اهمية عقد "حلف" مع المدعي العام الحالي روبرت آلتومار.

وفي اجتماع آخر بعد بضعة ايام اخبر بترانتون دونيل انه يستطيع الحصول على ما يراوح بين الف وثلاثة آلاف دولار شهرياً. ثم نصحه في لقاء آخر في ٥ يونيو (حزيران) بأن يبعد الشرطة الاتحادية عن المقاطعة كما اوصاه بأن يؤمن حماية لبعض عمليات المقامرة. واضاف بنبرة باردة انه اذا عمد الى تسجيل محادثاتهما، "فلن يبقى على قيد الحياة."

في اليوم نفسه حضر المدعي العام آلتومار الى مكتب دونيل وبحث معه في مسألة "الحلف" مع العصابات المنظمة. واقترح آلتومار شن غارات دهم على اوكار مقامرة يديرها احد خصومه السياسيين. وكان يتكلم مباشرة في مذياع آلة تسجيل اخفاه دونيل على طاولته. وهكذا بدأت شبكة المؤامرة تتكشف.

تراكم الادلة – في ٢٠ اغسطس (آب) ساعد دونيل آلتومار في سحب النقود من آلات ألعاب مصادرة ومحجوزة في مخزن دائرة الشريف. وقد تم بيع ست من هذه الآلات لوسيط ارسله جوجو بيكورا عضو جهاز "المافيا" في بتسبرغ. وكان المدعي العام اتصل هاتفياً بدونيل طالباً مساعدته في سحب المال قبل ان يتسلم الشاري الالآت. وبعدما وضع آلتومار مئات الدولارات من الفئات النقدية الصغيرة في اكياس من الكتان سحب منديلا من الورق من علبة موضوعة على عتبة النافذة ومسح يديه. وكان في جوف العلبة جهاز ارسال صغير. وسحب آلتومار منديلا ثانياً ثم ثالثاً وهو يمسح يديه بعصبية. وكان دونيل في مكتبه يسمع خشخشة المناديل وهي تسحب من العلبة ويتوقع الأسوأ. حينئذ ابتعد آلتومار تاركاً في العلبة منديلا واحداً يخفي الجهاز. وبعد لحظات اخذت له صور على شريط سينمائي وهو يضع الاموال المنهوبة في سيارته.

وبعد أسبوع وقف دونيل يراقب الآلات الست وهي تشحن في سيارة مقفلة. وكان عبر الشارع رجال شرطة في سيارات مدنية يراقبون عملية النقل وحومت في الجو طائرة لمكتب التحقيق الاتحادي لاقتفاء أثر السيارة المقفلة المتوجهة الى بيكورا. وبعدما غادرت السيارة المكان تلقى دونيل مكالمة من آبرفاين المحقق الاول لدى آلتومار الذي قال له: "اود ان ألتقيك بخصوص عطية من نوع ما." وقبل ان يبرح دونيل منزله دس في جيبه مسدساً صغيراً.

والتقى شيفليت على مسافة كيلومتر من بيت آبرفاين فقال له: "كن حذراً يا رون." وتفحص دونيل جهاز الارسال الملصق بجسده وتنهد محاولا السيطرة على ارتعاشه.

وبينما كانت طائرة مكتب التحقيق الاتحادي تحوم في الجو قال آبرفاين لدونيل ان رجال الشرطة الاتحادية حضروا الى المقاطعة وربما كانوا في

أثره. فشعر دونيل بالارتياح. ثم حذره آبرفاين من ان هاتفه قد يكون مراقباً ايضاً.

وتراكمت الادلة الثبوتية وتصاعد التوتر. وكان على دونيل غالباً ان يلتقي رجال العصابات بعد اشعار قصير الامد، وهكذا لم يتح له دائماً الاتصال بمعاونيه وتوجب عليه ان يخفي آلة التسجيل تحت ثيابه ويذهب وحده. وبعد اكثر من ١٦٠ اجتماعاً مع رجال العصابات اخذت اجزاء القضية تأتلف. وعلم دونيل ان آلتومار كان حلقة الاتصال الحكومية الرئيسية في عمليات العصابات. وثمة آخرون كانوا وسطاء للعصابات، وكان بترانتون مستشاراً. ولم يبقَ سوى بيكورا – الحلقة الاخيرة والأهم – متملصاً من قبضة دونيل.

الحلقة الاخيرة – اخذ القلق يساور أليس على سلامة زوجها. وكانت على علم بالدور السري الذي يؤديه وبدأت تلاحظ ضعفاً في جسده وامتقاعاً في وجهه الوسيم. الا انها كانت تدرك ما يفرضه الواجب وهي أدت دوراً مهماً في تأمين الاتصال بين دونيل وشيفليت.

وفي ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ بعدما تلقى دونيل دفعات مختلفة من معاوني بيكورا اتصل برئيس العصابة نفسه وطلب منه بجرأة الاجتماع به وجهاً لوجه. ورد هذا قائلا: "سأكون هناك."

وصل بيكورا الى مكتب دونيل في اليوم نفسه واستمع الى شكواه من ان عدداً كبيراً من الناس متورطون في نقل المال اليه. فقال بيكورا وصوته يدخل المذياع المخفي: "سيقابلك آلتومار." واعترف بيكورا خلال الحديث بان الدفعات التي تلقاها دونيل جاءت منه.

وهكذا تمكن دونيل من الايقاع باحد اكبر رؤساء العصابات. وفي ٦ فبراير (شباط) اصدر القضاء حكمه بادانة آلتومار وآبرفاين وبيكورا بتأليف عصابة استغلال وابتزاز. كما دين بنساريو بالتآمر ومساعدة رجال العصابات. ودين بترانتون بتهمة شهادة الزور وآخرون بتهمة المقامرة او بمخالفات مرتبطة بها.

وخلال الشهرين اللذين اعقبا بدء المحاكمات توارى دونيل وشيفليت واقاما في فنادق مختلفة باسماء مستعارة. وكان دونيل قلقاً بنوع خاص على زوجته وابنتيه على رغم ان شرطيتين سريتين انتقلتا الى بيته لحمايتهن. وعلم مكتب التحقيق الاتحادي ان بضعة اشخاص حاولوا اغتيال دونيل كما أبلغ احد المخبرين عن خطط أعدت لنسف منزله بالقنابل المحرقة. واخذ العمال في مصنع الفولاذ القريب يراهنون على تحديد موعد قتله.

انتهت المحاكمات في ابريل (نيسان) ١٩٨١ واعتبر بنساريو وبيكورا وعشرة آخرون مذنبين بالتهم الموجهة اليهم واخلي آبرفاين. اما بترانتون فمات بداء السكري اثناء المحاكمات.

وذاعت اخبار التحقيق السري الذي اجراه دونيل في انحاء المقاطعة وهزتها بعنف. وكان كل فرد هناك

قاهر العصابات

تقريباً على صلة او معرفة او علاقة عمل باحد الذين حكم عليهم. وعندما قدم دونيل ترشيحه لاعادة انتخابه عام ١٩٨٠ خذل في الانتخابات.

واليوم عادت عمليات المقامرة على نطاق محدود الى مقاطعة هانكوك، الا ان عصابات الاجرام المنظم لم تظهر بعد بالمستوى الذي كانته سابقاً. وفي مطلع ١٩٨٣ علم ان اسم دونيل هو قيد البحث لتعيينه في منصب مفوض الامن الاعلى (مارشال) في ولاية فرجينيا الغربية.

وقد قال شيفليت رئيس الفريق الذي كشف الشبكة: "كان الامر يتطلب رجلا فذاً لتحقيق ما حققه دونيل. وهذا النوع من الرجال يظهر الى الوجود مرة واحدة في كل جيل."

■ شيلدون كيلي

الكشاف والعسكر

بعدما ركبت الفتاة الصغيرة الطائرة برفقة ذويها، شاهدت عسكرياً يدخل وعلى بزته شارة. وراحت تنظر اليه باعجاب خلال الرحلة، ثم سألته: "من أين حصلت على هذا؟" فأجابها بلياقة، ولكن دونما اكتراث: "الجيش أعطاني اياه."

وانبرت الفتاة وقد زال اعجابها: "في فرقتنا الكشفية، نحن ننال الاوسمة باستحقاقنا الشخصي."

د.غ.

قال رجل عاطل عن العمل لزميله: "ما افتقده حقاً هذه الايام هو المشاركة في الاضرابات"!

ا.ك.

مرغوبة لجمال صورتها موثوق بها لجودتها الدائمة في العالم اجمع

متوافرة في نظامي VHS و BETA

TDK®
تي دي كي

جوزفين

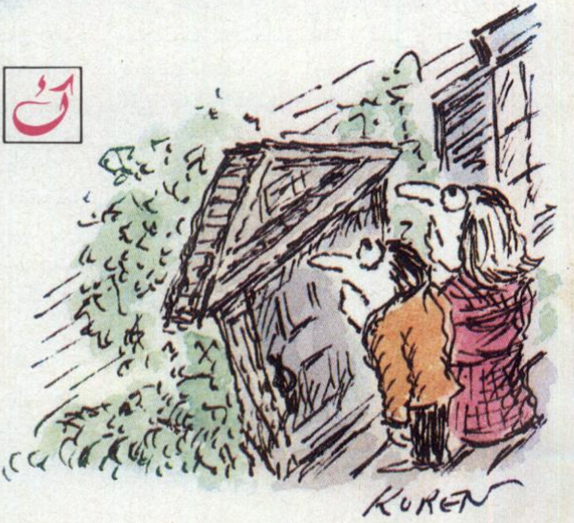

كانت اجمل ما يمكن ان يقع عليه ناظراك. تختال في مشيتها امام كوخنا على الشاطىء كأنها ملكة بين حاشيتها. رأسها مرفوع أبداً وعيناها تتأججان غبطة، وحول عنقها الشامخ قلادة من حجار زائفة وفي شعرها الفضي الاجعد شريطة زرقاء تغلغلت بين خصلاته. الامر الوحيد غير المستحب في جوزفين كان نباحها.

فلهذه الكلبة الفرنسية عواء حاد مثير للاعصاب لا يعلو نبرته صوت في مملكة الكلاب.

ومن حسن الحظ انها لم تكن تعوي الا اذا تركت وحدها. وهذا لم يكن يحدث الا للحظات. فقد افسدها صاحباها وأغرقا في دلالها. اعرف ذلك لانهما سكنا منزلا مجاوراً لكوخنا في هذا المنتجع الصيفي.

السيد والسيدة دوريه زوجان يثيران العجب والاعجاب، يطفحان صحة وحيوية. وهذه نتيجة حتمية لتناولهما الكثير من اللبن وممارستهما الرياضة وامتلاكهما ارثاً ضخماً. كان لهما كل حسن الصبا ورشاقته وعفويته. وفي كل ليلة كانا يقصدان نادياً راقياً على مسافة كيلومترات لتناول العشاء. وفيما يهبط الزوجان اللذان كللتهما الشمس ببهائها سلالم منزلهما متوجهين الى سيارتهما الفخمة، هو في بذلة السهرة وهي في ثوبها المطرز، فانهما لا يغفلان ابداً عن تحيتنا ونحن متكئان بكسل وملل على الشرفة في ملابسنا الحقيرة. ويبادراننا كأنما هما يمزحان: "يوم رائع، اليس كذلك؟" او يسألاننا عما هو افظع: "أأمضيتما يوماً سعيداً؟"

وترقب خادمتهما مراسم الخروج من الشرفة وجوزفين قربها. وما ان يدير السيد دوريه محرك السيارة حتى تنتصب جوزفين وتعوي مرتين كأنها تقول: "لا تتأخرا!"

ونادراً ما كنا نسمع هدير السيارة لدى عودة الزوجين السعيدين من سهرتهما، على رغم انهما كانا يعبران تحت نوافذ غرفتنا كل ليلة.

وهذه النوافذ هي من بنات افكار معماري عظيم: صغيرة ومستديرة وذات اطار نحاسي، كأنها كوى في سفينة.

ويعود عدم شهودنا عودة الزوجين الى ان السيد دوريه كان يبذل جهده لمراعاة شعور الآخرين، فيخفف انوار سيارته ويخفف سرعته حتى يتوقف. ثم يفتح الباب بهدوء فائق ويغلقه بتؤدة، ويتوجه الى الباب الآخر ليؤدي الخدمة نفسها.

وصادف ان كنا مستيقظين ذات ليلة عندما عاد الزوجان الشابان. وفي الضوء الخافت رأينا السيد دوريه يسرع الى فتح الباب لزوجته ثم يمد لها يداً متوددة. انه مشهد تسجله الذاكرة لما بعثه في نفسي من احاسيس شتى.

وحدث في منتصف اغسطس (آب) ان تناولت وزوجتي عشاء فخماً من المحار والسمك استغرقنا بعده في نوم هادىء. اكان ذلك نوماً؟ بل ايد سحرية حملتنا الى الغيوم فتوسدناها. ان نوماً كهذا يصل بك الى حافة الخلود.

فجأة هزتنا أبواق مزقت احلامنا الطرية: "عو عر عر عر."

وطفوت فوق غيومي المحلقة وقلبي ينفطر غيظاً.

وتحول البوق طلقة مسدس: "كراك! كراك! كراك!"

وتململت زوجتي في فراشها. "كارف! رارف! غرراك!"

ولم نلبث ان نهضنا ونظرنا من كوة النافذة." غرروغ! عررر! غرارك! غرراك!"

وصرخت زوجتي:"السيارة! أين سيارة الخادمة؟"

نظرت الى تحت فسرت برودة الى أطرافي. لم تكن السيارة الحمراء البالية متوقفة هناك. اذاً فالخادمة ليست في المنزل. واذا تركت جوزفين وحدها، فانها ستنبح وتنبح حتى...

ونظرنا الى الطريق علنا نلمح اضواء سيارة. لكن الظلام كان مخيماً. وبقي نباح جوزفين يمزق سكون الليل. لم اصدق ان حنجرة كائن حي يمكنها ان تتحمل هذه الضراوة الحلقية.

وانهارت اعصابي فصرخت: "اسكتي! اسكتي!"

كانت تلك غلطة عظمى، فان صوت آدمي جعل جوزفين تستعيض عن الاحتجاج المسعور بالعواء المتوسل، عواء يفطر القلب لما يحمله من هلع عظيم. واسرعت الى التقاط سماعة الهاتف واتصلت بالنادي.

"آلو؟" حملت السماعة الي اصوات موسيقى حالمة. "انا جار السيد دوريه. ارجو ان توصلني به حالا. انها حال طارئة. قضية حياة او موت!"

وسمعت مكبر الصوت يعلن: "السيد دوريه! تليفون! حال طارئة!" فيما اقلعت الفرقة عن عزفها الهادىء واستهلت سلسلة تقلبات هستيرية. وسرعان ما سمعت صوت السيد دوريه القلق: "نعم؟ ماذا حدث؟"

"كلبتك! انها تعوي منذ اكثر من ساعة... كلا، الخادمة ليست هنا... لا اعرف اين ذهبت. كل ما اعرفه ان الكلبة تمزق اوتارها الصوتية ونحن نكاد نجن... شكراً." وألقيت السماعة وقلت لزوجتي: "انه لطيف جداً، سيأتي للحال."

وارتفعت معنوياتنا فعدنا الى قاعدتنا على النافذة. ولعل جوزفين ادركت بحاستها السادسة ان سيدها سيسرع اليها، فأخذت تنبح بصوت جديد، متضرعة وباعثة على الشفقة.

قالت زوجتي نادبة: "انها تبكي!"

وصحت: "لا تبكي يا جوزفين! بابا سيأتي اليك حالا."

بعد قليل رأينا اضواء على الطريق. واسترسلنا في هتاف بهيج. سوف يلفنا نوم وردي بعد لحظات.

ولكن ماذا يحدث؟ سكون! ونظر احدنا الى الآخر بعجب ثم انصتنا في صمت غريب سمعنا معه صرير جدجد وازيز ذبابة. وصدمتني الحقيقة المروعة: لقد توقفت جوزفين عن النباح!

وتألقت اضواء سيارة آل دوريه، فقالت زوجتي: سيظنان اننا مخبولان. علينا ان نجعل تلك الكلبة تعاود النباح!"

وضعت يدي على فمي وزأرت: "انبحي! انبحي! عو! عر!" وساعدتني زوجتي: "بو و و وا و و! با و و و ا و و!"

واصغينا لوهلة، فلم تصدر جوزفين اي صوت. واستمر الجدجد في صريره والذبابة في ازيزها، لكن تلك الكلبة الفرنسية لم تطلق اي نباح.

وصحت بزوجتي:"انبحي بصوت اعلى! تبدين على شفير الجنون!"

- اني كذلك فعلا! ووف! روف! بوف!

وتوسلت الي: "اعو كالذئب."

فعويت عالياً وطويلا امام قمر

غائب. اما زوجتي فأخذت تندب كمن مسه الجنون.

حدث هذا كله من غير ان يترك في جوزفين أدنى تأثير. فانطلقت انا في زمجرة مروعة وزوجتي في عويل مشج، من دون ان تصدر جوزفين اي صوت.

وفي محاولات يائسة لدوزنة أوتارنا الصوتية في هذا اللغط المريع، استغرقنا في هدير وعواء ونعيب، ثم في نباح ولغو وثرثرة ومواء، فصراخ وشكوى، فنهيق وهذيان وقوقأة. كل ذلك في هذر مسعور.

واسترسلنا في اداء مقطوعاتنا، فلم نلحظ اضواء السيارة على الطريق وانعكاس ظلينا عليها.

رباه! اتضرع اليك ان تمسح يوماً ذكرى ما رأيته تحت نافذتنا.

السيد دوريه في بذلته الانيقة التي التصقت بها بقايا اشرطة الورق الملون الذي ينشر في الحفلات، وزوجته في براق مقصَّب وقد علقت الاوراق الملونة في شعرها، وقفا يحملقان الى رأسين اطلا من كوتين ينبحان ويعويان... ضحيتان من مرضى داء الكلب بلغ بهما السعر حد اتهام كلبة وديعة هاجعة بانها تدفعهما الى الجنون.

ولم نعرف ابداً ماذا حل بالخادمة. كل ما اعرفه هو ان آل دوريه، منذ تلك الليلة وحتى انقضاء الصيف، لم يجرؤوا على تحيتنا. وكانا، كلما لمحانا، حثا الخطو بعيداً وتعابير الحذر الشديد مرتسمة على وجهيهما.

وباتا كلما تركا المنزل يصطحبان جوزفين. وكنا نتفهم موقفهما. فأي عاقل يترك كلبة بريئة تحت رحمة مجنونين يمارسان عليها اضطهاداً شيطانياً قد يفقدها عقلها؟

■ **ليو روستين**

بلا تعليق

عاد الرجل الى منزله وقد هده الجوع. فتوجه فوراً الى الثلاجة وتناول طعام الكلب بشهية كبيرة. ولم تجرؤ زوجته على اخباره بعد اكتشافها الامر. لكنه شكا صداعاً في الصباح التالي، فخابرت الطبيب واعلمته بما حدث فاجابها على الفور: "احمليه اليّ اذا بدأ يطارد القطط".

س.ج.

ليس كل رمل شاطئاً

كان موظف في شركة نفط يقود سيارته وسط الصحراء حين شاهد رجلا يرتدي بزة غوص ويحث الخطى فوق الرمال المحرقة. وأوقفه الغواص ليسأله: "كم هو بُعْد البحر من هنا."

ـ البحر؟ يجب ان يكون على بعد ٤٠٠ كيلومتر.

"يا له من شاطىء طويل."

م.غ.

دائرة المعارف

تتكلم شعوب العالم العربي بنحو عشرين لهجة مختلفة. وهناك كلمات كثيرة يظنها العرب عامية في حين انها فصحى وموجودة في لغة الضاد. وهنا ثلاثون كلمة من هذه. وقد وضع امام كل منها اربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. مَعَط: التهم ـ تلوى كالحية ـ نظف ـ نتف.

٢. بعزق: بدد ـ اكثر الكلام ـ تفّ ـ كذب.

٣. أحّ: فاق ـ برد ـ سعل ـ لم يبدِ احتراماً.

٤. تزنبر: غضب ـ تكبر ـ شد وسطه ـ ارتعش.

٥. خشّ: دخل ـ فقد عقله ـ خاف ـ سَمِع له صوت.

٦. ازعر: اجعد الشعر ـ حسن الوجه ـ طائش ـ لص خاطف.

٧. نتش: عض ـ تبلل ـ شرد ذهنه ـ جذب.

٨. تبقط: حمل ـ تناول شيئاً فشيئاً ـ كسب العيش ـ شرب.

٩. صقّع: رحل بعيداً ـ خبأ ـ برد ـ اهمل.

١٠. حوّش: جمع ـ نادى اهله ـ لحق ـ التقط.

١١. زَرَق: تسرب ـ اصيب بالزرق ـ سلَح ـ حشر.

١٢. فرشخ: مشى ـ مد ـ فتح بين رجليه ـ جلس.

١٣. قطم: اخفى السر ـ قطع ـ عجز ـ وقع في ضيق.

١٤. شال: ساعد ـ زاغت عيناه ـ شغل ـ رفع.

١٥. صِرم: ضيق ـ مكان بعيد ـ حذاء ـ قسوة.

١٦. طَنْفس: ساء خلقه ـ كذب ـ عظّم ـ قصّر واستدار.

١٧. معس: اسرع ـ دلك بشدة ـ داس ـ امات.

١٨. ناقر: خاصم ـ نازع في الكلام ـ ضاهى ـ ناشد.

١٩. فخفخ: فرغ ـ نصب فخاً ـ نفخ ـ فاخر بالباطل.

٢٠. سفَق: لم يُعرف ابوه ـ فسد ـ لطم ـ صفّق.

٢١. بشّط: عجل ـ افتقر ـ تبجح ـ جلس على الارض.

٢٢. خربش: نقد ـ كتب خطوطاً مبهمة ـ جرح ـ افسد.

٢٣. فقش: سهر حتى الصباح ـ كسر ـ بذر ماله ـ شتم.

٢٤. صيت: سمعة سيئة ـ خبر ـ ذكر حسن ـ صوت عال.

٢٥. نتع: حمل ـ رفض بعناد ـ وصف ـ خرج قليلا قليلا.

٢٦. قنطر: سقط ـ انتظر ـ دخل ـ شاخ.

٢٧. كشر: تبسم ـ تجهم وجهه ـ مات ـ نفش شعره.

٢٨. جرّس: قرع الجرس ـ احسن الغناء ـ اشهر العيوب ـ خاط.

٢٩. قرفص: عجز ـ جمع ـ جلس القرفصاء ـ تردد.

٣٠. هِردَبّة: عجوز ـ رعاع ـ خبيث ـ حدبة.

الأجوبة الصحيحة

١٠ معط الشعر او الريش: نتفه. ارض مَعْطاء: لا نبات فيها.
٢٠ بعزق: فرّق وبدد. يقال ايضاً "زعبق" بالمعنى نفسه.
٣٠ أحّ: سعل. الأُحاح: العطش والغيظ وصوت من الصدر يشبه الانين.
٠٤ تزنبر: تكبر. الزنبري: الثقيل من الرجال والضخم من السفن.
٠٥ خشّ في الشيء: دخل. جاء السحاب بالخش اي بالمطر القليل.
٠٦ أزعر: قليل الشعر متفرقه. ايضاً: لص خاطف.
٠٧ نتش اللحمَ: جذبه قرصاً، والشعرَ: نتفه.
٠٨ تبقّط الخبرَ: اخذه قليلا قليلا، والطعام: تناوله شيئاً فشيئاً.
٠٩ صقّع الماء: اصبح بارداً كالصقيع. الصُّقاع: صياح الديك.
١٠ حوّش: جمع. حاش الابل. جمعها وساقها.
١١ زرق الطائر: (او ذرق) رمى بسلحه.
١٢ فرشخ: فتح بين رجليه. الفرشخ: السكون.
١٣ قطم الشيء: قطعه او عضه او تناوله بأسنانه فذاقه.
١٤ شال بالشيء: رفعه. شال الميزانُ: ارتفعت احدى كفتيه.
١٥ صرم: خُفّ مُنْعَل. والعامة تقول "صرماية".
١٦ طنفس: ساء خلقه. ايضاً: لبس الثياب الكثيرة. الطِنْفِس: الرديء السمج القبيح.
١٧ معس الشيء: دلكه دلكاً شديداً. المعّاس: الشديد الاقدام.
١٨ ناقره: راجعه في الكلام وحاجّه. بينهم ناقرة اي محاجّة.
١٩ فخفخ: فاخر بالباطل.
٢٠ سفق الوجه: لطمه، والباب: رده. صفقه: ضربه ضرباً يسمع له صوت.
٢١ بشّط: عجل.
٢٢ خربش الكتاب: افسده.
٢٣ فقش البيضة: كسرها بيده. يقال ايضاً "فقس" و"فقص" بهذا المعنى.
٢٤ صيت: ذكر حسن ينتشر في الناس.
٢٥ نتع الدم: خرج من الجرح قليلا قليلا. وكذا الدمع من العين والعرق من البدن.
٢٦ قنطر الفارس: سقط عن ظهر فرسه الى ما امامها.
٢٧ كشَر: تبسم. كشر عن اسنانه: كشف عنها.
٢٨ جرّس بالقوم: سمّع بهم وأشهر عيوبهم. والعامة تقول "جرّص".
٢٩ قرفصه: جمعه وشد يديه تحت رجليه. القرفصى والقرفصاء: جلسة الأعراب.
٣٠ هِردَبّة: عجوز. ايضاً: جبان منتفخ الجوف.

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد
١٣ ـ ١٨: مقبول

كتاب الشهر

الجدار العظيم

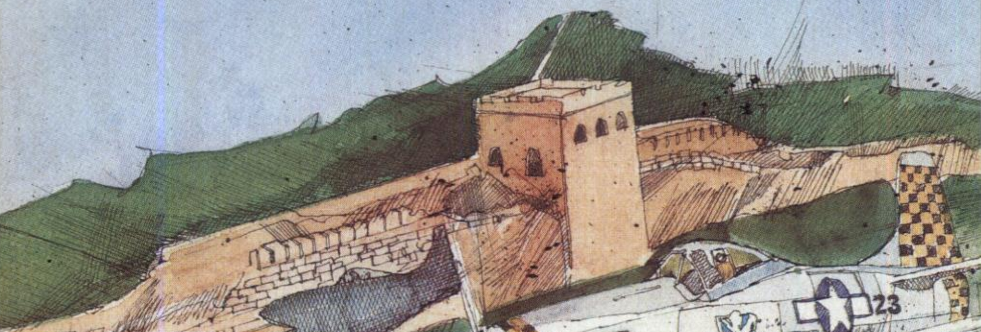

بقلم البريغادير جنرال
روبرت لي سكوت

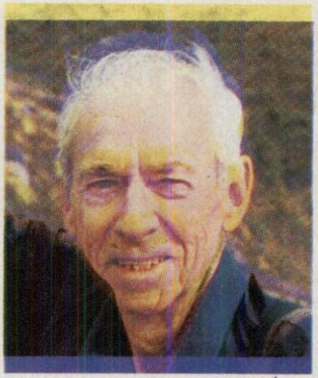

الجدار العظيم

ل

كان روبرت لي سكوت في الرابعة عشرة عندما أقدم على مغامرته الاولى اذ حلق في طائرة شراعية صنعها بنفسه وحط في شجرة. وفي السنة التالية شارك في بناء طائرة حقيقية وباشر تعلم الطيران. وفي الثلاثينات غدا ضابطاً في سلاح الجو الامريكي. ثم أهلته خبرته في هذا الحقل لقيادة الفوج الثالث والعشرين في الصين خلال الحرب العالمية الثانية. وسرعان ما اصبح واحداً من أعظم طياري الولايات المتحدة في المعارك ضد اليابان.

الا أنه انتظر طويلا قبل تحقيق حلم حياته وهو مشاهدة جدار الصين من طرفه الغربي حتى الطرف الشرقي. ولدى انفتاح الولايات المتحدة على الصين أيام رئاسة ريتشارد نيكسون كان سكوت تجاوز الستين من عمره ولما ينطفىء حلمه بعد. وحين تسنى له تحقيقه أخيراً على النحو الرائع الذي يصفه في ما يأتي، كان تجاوز السبعين.

ح

حطت بنا الطائرة في مطار كاي تاك في هونغ كونغ. ونظرتُ حولي داخل طائرتنا البوينغ ٧٤٧ فلم أجد سوى السياح الذين كنت أحدهم في المرحلة الاولى من رحلتي الصينية، ومعظمهم متقدّم في السن. ولا بد من تذكير نفسي باني لم اكن أشذ عنهم في هذه الناحية، علماً أني أبصرت النور في الثاني عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٠٨.

وما أن فتح باب الطائرة حتى كنت من أوائل الخارجين. ووقفتُ أحدق الى السماء فوق قمة جبل فيكتوريا. هناك، قبل نحو ٣٨ سنة، تقدمتُ سرباً من سبع طائرات "كورتيس ب - ٤٠" للاجهاز على اليابانيين الذين احتلوا هونغ كونغ، وكنا على ارتفاع ٥٥٠٠ متر. في قبة تلك السماء كدتُ ألاقي مصرعي، والى تلك القبة عينها وقفت أنظر وأتذكر.

كان هدفنا فرقة يابانية بحرية توقعنا وجودها في المياه القريبة من هونغ كونغ. وكآمر لسرب الطائرات المقاتلة كانت مهمتي مرافقة عشر طائرات اخرى من نوع "ب - ٢٥" الراجم للقنابل. وفي تلك المرحلة الباكرة من الحرب العالمية الثانية كنا ما نزال أسرى الفكرة القائلة بتفوق العدو علينا عدداً.

وبُعيد الظهر انطلقت الطائرات بعدما حددتُ لها موقع القصف. لكن الهدف اختفى من حيث كان إذ ابحرت السفن اليابانية.

وحلقت في اتجاه "فندق شبه الجزيرة" على قمة جبل كولون بعدما أخبرتُ أن الجنرالات اليابانيين يسكنون شققاً على سطحه. وما أن حدتُ قليلا عن مجال القصف حتى نظرت تحتي لأرى طائرات العدو تندفع بسرعة عن المدرج وترتفع الى الفضاء تباعاً. ونظرت الى الناحية الاخرى فاذا بسرب آخر يأتي من الغرب. وأخطرت عناصري بالأمر قبل أن أنقض على طائرة يابانية واعطلها وهي على وشك الاقلاع.

ومع ارتفاعي ببطء اصيبت طائرتي في مؤخرها. وعلى رغم اني كنت أقي نفسي بدرع مصفحة إلا أن الضربة كانت من القوة بحيث أفقدتني لحظة عن الوعي. وبعدما رجعت الى نفسي وجدت أن طائرتي تكاد تنهار. وكان في ذلك إنقاذ لحياتي إذ أبعدني عن خط النار. غير ان الدم كان يسيل على وجهي من جروح لا تحصى احدثتها شظايا الزجاج في رأسي. ووجدت ثقباً في اللوح الزجاجي أمامي كافياً لأقحام رأسي عبره. ومددتُ يدي الى أسفل محاولا التقاط خوذتي الساقطة وقناع الاوكسيجين. وتلمست أرضية الطائرة التي أتى الدم على كل ما فيها. والواقع أن جرحي لم يكن بالغاً، لكنّ الجرح مهما صغر - خصوصاً اذا كان جرحك أنت - يكفي لتغطية كلّ ما حولك دماً.

ومددتُ يدي الى ذراع مخنق الطائرة، وإذ وجدتُها الى الوراء فهمت لماذا هبطت الطائرة الى ذلك الحد. ودفعتها قليلا الى الأمام وتوجهت الى قاعدتنا في بلدة غويلين الصينية. ولم أبرح طوال المسافة

ألمس ظهري، فأدركت أنّ الجسم الذي أصابني اخترق الدرع.

وكان موقعنا في غويلين ضمن واد صغير تحيط به سلسلتان من الجبال الفاتنة التي تحوي تنوعات كثيرة من اللون الأخضر. ولم أجد صعوبة في الهبوط لكني وصلت متأخراً. وكان الدكتور فريد مانجيت في انتظاري ومعه ممرض صيني، وهو أضخم صيني رأيتُه في حياتي. هذا حملني من مقعدي كما لو كنت طفلا وركض بي الى كهف في سفح الجبل.

ولم يكن لدينا مستشفى بل كنا نستخدم ذلك الكهف كغرفة اجتماعات وتخطيطات وكمستوصف. ووضعني الصيني العملاق على أريكة من قصب فيما باشر الدكتور مانجيت عمله تحت نور مصباح ضئيل. وكانت أمامنا في السقف مجموعات من الهوابط القديمة وهي رواسب كلسية تتدلى من سقوف بعض المغاور.

ولم يكن هناك أي نوع من المخدرات أو الكحول لتخفيف الألم. وطلب الدكتور مانجيت من الممرض الصيني أن يتكلم إلي وهو ممسك بيدي خلال المعالجة. وأخبرني أن الجرح ليس عميقاً. لكنّ هناك خدشاً كبيراً أحدثته القذيفة اليابانية التي يبلغ عيارها عشرين مليمتراً. وهي ضربت ظهر المقعد المصفح فاخترقت شظاياه ظهري.

وراح الطبيب يخرج الشظايا واحدة واحدة ويضع كلا منها في يدي. وما فتىء الصيني الضخم يقول لي: "سيدي الكولونيل، أنت تقود الطائرة وتطلق القذائف وتشغل جهاز الارسال وتحارب البرابرة... بمفردك؟" وبقيت أهزّ رأسي بالايجاب وأنا أكاد لا أسمع كلماته.

ووضع الدكتور مانجيت الشظية السابعة عشرة والأخيرة في يدي وهو يقول: "إن صاحبنا مخطىء. فلو كنت وحدك هناك لما عدت اليوم حياً."

وطلى جروحي بمحلول حارق قال انه يعجل في شفائها. وربت كتفي لكي أنهض. ونظرت الى عتمة ذلك الكهف وقد تراءت لي التماعات تشبه الحروف بين رواسبه المدلاة. وأغمضت عيني لكنّ الحروف ظلت تلتمع فيها وقد تحولت كلمات. وأدركت أنّ تلك الكلمات هي خير عنوان لكتاب يروي فيه المرء سيرته. وعاهدت نفسي إن عدت الى الوطن حياً أن أدون قصة حياتي تحت عنوان: "الله هو طياري المساعد."

عمل لصوصي

عشت بنعمته تعالى لأكتب تلك السيرة التي استحالت أحد أروج الكتب كما غدت فيلماً سينمائياً. وبعد مهمتين اخريين في الصين عدت الى واشنطن عام ١٩٤٥ لأتسلم وظيفة في وزارة الدفاع. وبعد ذلك عينت آمر قاعدة في المانيا الغربية ومن هناك قصدت ولاية أريزونا لمهمة أخيرة قبل إحالتي على التقاعد. وكرت السنون قبل أن يتوقف الزمن على نحو مفاجىء مرة اخرى، وكان ذلك في شهر مايو (أيار) ١٩٧٨ بُعيد بلوغي السبعين.

وعلى رغم اني كنت أعيش بالقرب من قاعدة لوك الجوية في أريزونا

حيث يوجد مستشفى عسكري، فاني كنت اقصد الساحل الشرقي للولايات المتحدة لاجراء فحوصي الطبية السنوية. وبما ان وزارة الدفاع الامريكية كانت تجمع معلومات حول الطيارين الذين سجلوا اعمالا ملحوظة فقد كان علي الذهاب الى الطبيب نفسه في مدينة آيكن من اعمال ولاية داكوتا الجنوبية، وهو الجراح جيمس ديلوتش المختص بشؤون الطيارين.

وقد جاءت فحوصي متشابهة طوال عقدين مما حدا الدكتور ديلوتش على التعليق بأني زبون لا فائدة منه. إلا أن الأمور تبدلت هذه السنة، لا من ناحية ضغط الدم الذي بقي طبيعياً ولكن من ناحية صور الأشعة التي أخذت لصدري. وأشار علي الجراح باجراء المزيد من الصور التي لم أعرف نتيجتها قبل أيام ثلاثة إذ وجه ديلوتش أنظاري الى اللوحة المضاءة وقال: "انظر الى ذلك الخط غير المحدد. إنه قمة كليتك اليمنى. ثم انظر الى الكلية الاخرى لترى كم هو خطها منحن. ثم أن ضبابية الكلية اليمنى تبعث لدي القلق."

وفي الأيام العشرة اللاحقة نشدت رأياً آخر وثالثاً ورابعاً. ولدى إجماع الآراء وقعت وثيقة أتيح بموجبها استئصال كليتي اليمنى إذا وجد أنها مصابة بالسرطان. ولم أحاول خداع ذاتي. فان أي جراحة لشخص في مثل سني تنطوي على أخطار، فكيف وهي جراحة رئيسية كالتي كان علي مواجهتها؟ كما ان السرطان لم يكن بغريب عن بيتي. فقبل سنوات سبع ماتت زوجتي كاترين ريكس غرين بهذا الداء العضال بعد حياة زوجية دامت ستاً وثلاثين سنة. وكانت أحست ألماً في جانبها ذات مساء من ١٩٧١ تبين على أثره أنها تعاني سرطاناً في الكبد. وقضت بين ذراعي بعد اثنين وخمسين يوماً.

وفي العاشر من مايو (أيار) أخذت عبر ممرات داخلية معقمة الى غرفة العمليات. وكنت أحس ترهلا في عضلاتي لم أعرفه قبل ذلك الحين. ثم سمعت صوتاً يناديني: "بوب." وكان ذلك صوت الدكتور ديلوتش الذي سألني: "أتشعر بالخدر والنعاس؟ اختر إذاً رقمك المفضل وابدأ منه العد العكسي."

وبدأت بالرقم ٢٣ الذي له تأثير السحر فيّ. فكل شيء بارز حدث لي كان متعلقاً به. ومن هذا أنّ فرقتي الكشفية خلال الحداثة كانت الثالثة والعشرين. وهو أيضاً التاريخ الذي لقيت فيه كيتي ريكس. وبعد ذلك كان رقم الفرقة التي حاربت فيها في الصين. يضاف الى ذلك كله العام ١٩٢٣.

تلك السنة كنت في الخامسة عشرة وقد عقدت العزم على تحقيق أفضل ما يمكن كشافاً متقدماً أن يحققه. وذات يوم زرت عيادة طبيب ليجري علي كشفاً يخولني الحصول على جائزة اضافية. وبينما كنت في غرفة الانتظار تناولت عدد فبراير (شباط) من مجلة "ناشونال جيوغرافيك". وما ان فتحتها حتى تدلت منها صفحات وسطى تبين لي أنها رسم كبير لجدار الصين العظيم.

وكان من اثر ذلك الرسم ان

طبع في ذهني صورة لا تـُمحى لجزء من ذلك الجدار العظيم يمثل بضعة كيلومترات تتخللها أبراج المراقبة البارزة هنا وهناك كملوك رقعة الشطرنج. وفي المسافة بدا الجدار متلوياً بين التلال كتنين رمادي ضخم.

وعندما أخبرت أنّ الطبيب على استعداد لكي يراني سرى فيّ دافع لصوصي من غير أن أنسى - وأنا الكشاف الذي بلغ مرتبة "النسر" - أحد المبادىء الكشفية الاثني عشر الذي يقول: "الكشاف أمين." غير أن دافعاً أقوى اجتاحني. وانتزعت رسم الجدار من المجلة تاركاً بقية العدد لقارىء آخر.

ولم يدر في خلدي آنذاك أن فكرة الوقوف أمام الجدار ستستحوذ علي. أجل، يجب أن أكشف ذلك البناء يوماً وألامس حجاره. بل أكثر من هذا: يجب أن أشاهد طرفي ذلك الاستحكام الطويل الذي يدعوه الصينيون "وانلي تشانغتشينغ" اي الذي يمتد عشرة آلاف لي، واللي وحدة مسافات صينية تعادل ثلث الميل أو ربع الكيلومتر. ولن أكتفي بالطرفين، بل أريد رؤية كل ما يقع بينهما.

قفزة فوق التاريخ

تسنى لي خلال تأدية واجباتي العسكرية في الصين أن ألمح أجزاء من الجدار العظيم، لكنها كانت ضمن الأراضي اليابانية. وحصل ذلك عن ارتفاع عظيم لم اتبين منه معالم الجدار بوضوح. والحق أن معظم الجدار العظيم ليس مبنياً بتلك الحجار الرمادية الكبيرة التي تبرزها الرسوم السياحية. وهو على مسافات طويلة مصنوع من الطين المكبوس الذي تآكلت أجزاء كثيرة منه على مر القرون واضمحل بعضها.

وذات يوم خلال رحلتي العسكرية الثالثة تلقيت أمراً بقيادة سرب من الطائرات الـ"موستانغ ب - ٥١" المقاتلة من تشينغدو عبر نهر يالو وما يسمى اليوم كوريا الشمالية، وذلك بغية قصف مصنع ياباني للفولاذ. وبعد تنفيذ المهمة كان علي الانحراف بالطائرات الثماني الى الجنوب الغربي للتزود بالوقود في منطقة كسيان قبل العودة الى قاعدتنا في كونمينغ. وفي طريقنا الطويلة تلك حلقنا نحو ١٦٠ كيلومتراً فوق شبه جزيرة مثلثة تمتد جنوباً الى البحر الأصفر ومسافة مماثلة فوق البحر نفسه.

وفجأة وجدتـُني أبدل خط العبور من الجنوب الغربي حتى بتنا في اتجاه بكين. وحرتُ من أمري ونحن لا نستطيع التحليق فوق تلك المدينة حيث كانت مدفعية اليابانيين المضادة للطائرات واقفة لنا بالمرصاد. ولم يجدِ التصحيح الذي حاولته في تعديل وجهة الطائرات.

ومع هبوطنا الى ارتفاع منخفض أمكنتني رؤية المسابح على الشاطىء. ورأيت أمامي مباشرة معلماً بارزاً يهيمن على الأفق. وفي تلك اللحظة كادت طائراتنا أن تلامس المياه. ونظرت الى الخريطة أمامي فعرفت أنّ ذلك الرعن هو رأس التنين القديم أي النقطة التي يتلاقى عندها طرف الجدار الشرقي والبحر

الأصفر. وتولدت لدي قناعة مؤداها أنّ العناية الالهية لا المصادفة هي التي وجّهتني في تلك الطريق عبر ساحل الصين الشرقي.

وعبرنا فوق برج للمراقبة في أقل من لمح البصر وقد ترددت أصداء محركاتنا في أرجاء الجدار. ورأيت بقايا الجدار تتعرج عبر الحقول لتتسلق التلال الساحلية. وحلقنا فوق تلك التلال التي ترتفع نحو كيلومتر. ومن هناك ابصرت الجدار الممتد بضعة كيلومترات كما في ذلك الرسم الذي انتزعته يوماً من المجلة. وتولدت لدي حماسة عظيمة لتفحص الجدار على مهل. وأحسست وأنا اعبر القمم واحدة تلو اخرى وورائي زملاء السلاح أن حلمي القديم يتحقق.

وقادنا الجدار نحو ١٦٠ كيلومتراً شمال بكين ونحن في مأمن من الأعداء. لكني أشهد أني كنت على استعداد لملاحقة الجدار حتى في الشارع الرئيسي لعاصمة الصين مهما يكن من امر العدو، لو كان الامبراطور كين شيهوانغدي أقامه هناك.

ومن هناك حتى البحر الأصفر تبعت الجدار العظيم ٧٢٥ كيلومتراً. وخيل إلي أني أنظر الى تنين دهري رمادي ضارب الى الزرقة وانّ حراشفه هي تلك الحجار الضخمة التي صمدت على مر القرون. وبدا أن طائرتي المقاتلة استمدت نفاد الصبر مني فراحت تقفز فوق التاريخ وهي تكاد تصدم ابراج المراقبة. واستحال ظلها وظلي واحداً وأنا أتفحص كل شعب يخترقه الجدار. وكلما ارتفعت الطائرة فوق قنة بدت كأنها تطلق معي صيحة التهليل قبل أن تنحدر مرة اخرى نحو الوهاد الخضر. وكاد الحبور ينسيني أني ورفقائي هناك في مهمة حربية وقد تجاوزنا خطوط الأعداء... أتراه حلمي القديم اصبح حقيقة؟

وكدت أشرق بريقي وقلت في نفسي: "أشكرك أللهم على توجيهي الى هذا المكان. لكني أتضرع إليك أن تعيدني يوماً الى هنا كي أمشي حيث يمشي ظلي الآن."

كنت لا أزال تحت أثر المخدر في غرفة العمليات حين سمعتُ أحدهم يهمس في اذني: "أأنت صاح يا بوب؟ أتسمعني؟"

وبذلت غاية جهدي كي أجيب. لكن النطق كان يشبه رفع ثقل كبير.

وأحسست يد الطبيب تنزل من معصمي الى قبضة يدي حيث وضع شيئاً صلباً وبارداً. وللحظة خلتني داخل ذلك الكهف في غويلين حيث وضع الدكتور مانجيت شظايا المعدن في يدي. فقد كان ثمة شبه بينها وبين ذلك الشيء.

وضع خطة

قال الطبيب: "هذا هو السرطان يا بوب. هذا كل ما وجدناه وما كان يتعذر إخراجه من جسمك وأنت في الصين."

وضحكت فيما تابع الطبيب: "لقد نما كيس حول ذلك الجسم المعدني استحال مع الوقت جيباً يملأه سائل لزج. وهذا يفسر الغموض الذي وقعنا عليه في الصورة. إذاً ليس في الأمر سرطان."

هذا يعني أن الفرصة متاحة لي لكي أمشي حيث مشى ظلي يوماً.

أمضيت يومين ثقيلين في غرفة العناية الفائقة. ولكن سرعان ما سُمح لي بالنهوض والسير بضع خطوات. ولم ألبث أن أقنعت الأطباء بأن سواي يحتاج الى تلك الغرفة أكثر مني. وهكذا عدت الى غرفتي في المستشفى.

وبعد إعتاقي من الأنابيب الممدودة الى قلبي وداخل أوردتي رحتُ أنظر حولي في الغرفة. ثم نهضت وقطعت المسافة بين سريري والحمام وبعدها سبع خطوات الى حافة النافذة، ثم جلت بين السريرين قبل أن أعود من حيث بدأت. وكان مجموع ما قطعته ثلاثين متراً. وهذا يعني أن علي تكرار الأمر ٣٣ مرة ليصبح المجموع كيلومتراً كاملا. وللحال شرعت في ذلك وكانت سرعتي تزداد مرة بعد مرة.

وكنت أدري على الدوام أن المكان الذي أقصد زيارته في الصين لا يمكن المرء الذهاب اليه كسائح. ومعظمه يقع ضمن أرض برية منعزلة. لذلك كان علي قطع بعض المسافات وعلى ظهري عدة تخييم وتوابعها. ولقد حاولت منذ إحالتي على التقاعد الحفاظ على صحتي الجيدة التي تمتعت بها طوال أيامي. ولم أفتأ خلال السنوات الخمس الأخيرة أمارس الركض وأقطع في نصف أيام الاسبوع مسافة تراوح بين الكيلومترات الخمسة والعشرة كل مرة. أما في الأيام الباقية فكنت أقصد نادياً للرياضة البدنية حيث أرفع الأثقال وامرن عضلاتي بالانبطاح والنهوض. واشتريت أدوات تمكنني من متابعة التمارين في البيت خلال أوقات فراغي.

واستغرق هذا العمل معظم وقتي. وفي الأوقات المعترضة كنت أكتب الرسائل وأدرس اللغة الصينية. ووجهت رسالتي الاولى الى السفارة الصينية في واشنطن وأتبعتها برسائل متواصلة الى السفير وسائر المسؤولين أحدد فيها الأمكنة التي أود زيارتها وأصف سنيّ الحرب التي أمضيتها في الصين.

وحل العام ١٩٨٠ من غير أن أحرز أي تقدم ولم أتلقَ في مقابل الرسائل الاثنتي عشرة أو نحوها التي وجهتها الى مسؤولين صينيين سوى ردين قصيرين يعلمانني بتحويل طلبي الى بكين. وصممت على مضاعفة جهودي بعدما تبين لي أن تلك لم تكن سوى طريقة مهذبة لتثبيط عزيمتي.

واعتزمت شرح قضيتي أمام كل عضو أعرفه في مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة. وإذا برهنت تلك الوسيلة عن عدم جدواها، فلن أتوانى عن طرق أبواب البيت الأبيض.

والواقع أن الموجة السياحية قويت كثيراً بعد زيارة ريتشارد نكسون الى الصين. غير أن السياح كانوا يتقيدون ببرنامج الرحلة المقرر سلفاً والمقتصر على زيارة أمكنة محددة لا يتجاوز معظمها المنطقة السهلية الساحلية. ولم يكن برنامج أي رحلة ينطوي على زيارة أقصى الغرب حيث يبدأ الجدار العظيم. وربما كان ذلك عائداً الى

كون الأجانب يشترطون الاقامة في فنادق مريحة وان هذا النوع من الفنادق لا وجود له إلا في الجانب الشرقي من الصين.

لكن غايتي كانت غير ذلك. وكنت أحضرتُ كيس النوم وجهزته مراراً كأني ذاهب غداً. وارتأيت حمله بعلاقة اليد كما لو كان حقيبة على أن أضع ضمنه أحذية وثياباً وأغذية وخرائط وبوصلة وآلة تصوير وقدراً وفنجاناً وعدة نوم. وكان وزن تلك الأمتعة كلها لا يزيد على ٣٢ كيلوغراماً مما يسهل حمله علي ويتيح لي النوم في أي مكان على امتداد الجدار.

وحرصت على إطلاع المسؤولين الصينيين على هذا الأمر بأدق تفاصيله. وكانت النتيجة بعد ثمانية عشر شهراً أني كتبت نحو مئتي رسالة ولم أحصل على شيء. ويبدو أن علي الانتظار الى أن يفتح الصينيون فنادق على طول الجدار.

وأفقت من نومي ذات ليلة على حلم رأيت فيه الجدار العظيم وعقدت العزم على دخول الصين بأي ثمن، حتى اذا صرتُ هناك تملصت من رحلتي السياحية وانطلقت الى بغيتي متنكراً في زي صيني.

وفي التاسعة كنت في طريقي الى أقرب وكالة سفر. وهناك عُرض علي برنامج رحلة تختلف عن كل ما رأيته سابقاً. فهي تستغرق ثلاثين يوماً يؤخَذ خلالها السائح الى معظم انحاء الصين بما فيها المناطق الغربية النائية.

تلك كانت الرحلة الاولى من نوعها وقد حجزت مقاعدها جميعاً قبل وقت ليس بقصير. لكن أحدهم ألغى حجزه قبل يوم واحد فأخذت مكانه وجاء رقمي ٢٣. وهكذا وجدتُ نفسي في هونغ كونغ ذلك اليوم من يوليو (تموز) ١٩٨٠. واذا لم أجد طريقة للتملص من الرحلة خلال أيامها الثلاثين، فاني لا أستحق زيارة ذلك المكان كما أشتهي.

خيبة

دخلنا الصين بالقطار عبر غوانغجو (كانتون) حيث أمضينا ليلة وضحاها نجول في المكان. وبعد ذلك ركبنا طائرة "اليوشن" ذات محرك توربيني وتوجهنا نحو الشمال الغربي مخترقين البر الصيني الواسع. وكنا نقصد كسيان وهي من المواقع التي كنت اقصدها خلال الحرب للتزود بالوقود. وفي العام ١٩٧٤ عثر حفارو الآبار على كنز أثري ثمين هناك وهو تماثيل خزفية لـ ٧٥٠٠ جندي وجواد تعود الى ٢٢٠٠ سنة خلت وتعلو ضريح امبراطور الصين الأول (★). ووقفت مندهشاً حيال تلك التماثيل التي كشفت وجوهها عن تنوع غني.

وحطت طائرتنا مرة اخرى في لانجو على بعد ٤٨٥ كيلومتراً للتزود بالوقود في طريقها الى اورومكي التي تبعد ١٦٠٠ كيلومتر فوق الجدار بما في ذلك طرفه الغربي حيث "بوابة الأبطال" الشهيرة في مدينة جيايوغوان. وراقني ذلك كثيراً إذ

(★) راجع "امبراطور الصين جيشه من خزف،" "المختار" عدد سبتمبر (ايلول) ١٩٨٠.

كنت مزمعاً على الانطلاق من تلك النقطة والسير ٢٧٥٠ كيلومتراً في محاذاة جدار الصين العظيم حتى البحر الأصفر حيث يقوم رأس التنين القديم الذي حلقت فوقه قبل سنوات طويلة.

وعقدتُ العزم على اورومكي للتملّص من رحلتي السياحية. من ذلك الطرف الغربي سأنطلق

لاستكشاف الجدار على حقيقته متجنباً المعابد والقرى والمعالم السياحية العادية.

وكانت هناك سكة حديد تمتد الى الجنوب الشرقي حتى جيايوغوان التي تبعد ٨٠٠ كيلومتر. واعتزمت التنكر في زي صيني أزرق من العنق حتى القدمين حاجباً عينيّ المستديرتين وراء نظارتين قاتمتين ومتوجهاً الى أقرب محطة قطارات لشراء بطاقتي. ودار في خلدي أن أتظاهر بالبكم وأكتب ما أود قوله على ورقة.

إلا أن تلك الطريقة البسيطة لم تكن مجدية حتى وان كنت صينياً ولد في ذلك المكان، إذ لا يمكن أياً كان في اورومكي شراء بطاقة سفر أو التنقل بأي طريقة ما لم يحصل على ترخيص بالسفر تمنحه الحكومة. وهذا القانون يسري على المواطنين والأجانب.

وفي ثلاثة أيام من الخمسة التي أمضيناها في اورومكي اعتذرتُ عن الانضمام الى الرحلات السياحية بحجة اصابتي بالزكام. وكنت أنتظر مغادرة الحافلة للتوشح بالسروال الصيني الأزرق والذهاب الى محطة القطارات وعدتي على ظهري والنظارتان على عيني وقد أخفيت آلة التصوير. ووجدت تعويضاً لأخفاقي في هجر تلك الفكرة والبحث عن خطة عمل للمستقبل.

وبعد رؤية مفاتن اورومكي وإخفاق خطتي عدنا الى لانجو وقد حلقنا فوق حصن جيايوغوان من جديد. إلا أن الغيم كان يغطي المكان الذي سبق أن مررت فوقه ليلا خلال الحرب. وخيل الي أن القدر كان يلعب ضدي حاجباً عني ما وددت مشاهدته أكثر من سواه.

ذلك المساء في لانجو رق لي قلب

دليلتنا السياحية. وكنتُ أوضحت لها أني أود استئجار سيارة لرؤية ذلك الجزء من الجدار الذي يبعد ١١٠ كيلومترات شمال المدينة. ودبرت لي لقاء في اليوم التالي مع محافظ لانجو ومسؤول محلي آخر. لكن ذلك لم يسفر عن أي نتيجة. وقال لي المترجم: "الرفيق المحافظ فهم كل ما قلتِه. إلا أن الجدار العظيم منهار ولا أحد يود أن يرى جداراً متداعياً."

وأدركت أن حلمي الطفولي ذاك يسبب متاعب حقة. لذلك شكرت المسؤولين وعدت أدراجي الى سائر أفراد المجموعة لنرى دب الباندا النائم في حديقة الحيوان.

"هوانغ هي" هو النهر الأصفر الذي يأتي من جبال مقاطعة كينغهاي بالقرب من التيبت وينحدر الى لانجو قبل أن ينعطف شمالا الى منغوليا الداخلية ثمّ شرقاً وأخيراً جنوباً ليغدو على هيئة حدوة حصان يبلغ طولها ١٦٠٠ كيلومتر وتعرف باسم المنعطف العظيم. وكان برنامج الرحلة يقضي بركوب القطار في محاذاة النهر شمالا الى منغوليا الداخلية. ويخترق القطار فرجة في الجدار على بعد ١١٠ كيلومتراً حيث وددتُ الذهاب في سيارة، ومن هناك ينحرف قليلا الى الشرق ويحاذي الجدار عبر ١٦٠ كيلومتراً أو نحوها قبل التوجه شمالا واختراق الجدار من جديد في مدينة يينتشوان. ولا بد من أن تتاح لي الفرصة لرؤية الجدار في أحد تلك الأمكنة.

وأعددت آلة التصوير لكل منظر طريف يعرض لي. لكننا عبرنا النقطة الاولى من غير أن أقع على ما يستحق التصوير. ومع استدارتنا يميناً نحو الشرق انتقلتُ من جانب في القطار الى آخر علي أبصر ما يملأ عيني. غير أني لم أرَ شيئاً يشبه الجدار. وكنت أجيل نظري في الافق عندما توقف القطار في يينتشوان التي تبعد ٣٢٠ كيلومتراً عن لانجو.

ولم أصدق كيف نزلت من القطار. وهرعتُ الى برج إشارة تسلقت درجاته المعدنية فيما موظفو القطار ينظرون إلي بارتياب. وعند تلك النقطة من رحلتنا الشمالية كان مقرراً أن نخلف الجدار وراءنا لنتابع الطريق شرقاً عبر سهل الاوردوس الواقع ضمن المنعطف العظيم. ووقفت في أعلى البرج لكني لم أرَ أثراً للجدار.

وخبأت آلة التصوير وتابعنا الطريق الى منغوليا حيث أمضينا ليالي ثلاثاً ضمن خيمة لباد منصوبة في شكل كوخ قبي. ومن هناك توجهنا الى داتونغ حيث كان مقرراً أن نمكث بضعة أيام نأخذ بعدها القطار الى تيوان (يانكو) ومنها نركب الطائرة الى بكين حيث تنتهي رحلتنا.

في ذلك اليوم من العام ١٩٤٤ عندما قدتُ سرب الطائرات المقاتلة فوق الجدار كانت داتونغ النقطة التي انعطفتُ منها الى موقع التزود بالوقود. لذلك كنت أعرف جيداً أن الجدار يتحول من حجر الى طين في ذلك المكان. وما أن انطلقنا الى داتونغ حتى أعددت آلة التصوير.

وتمت رحلتنا ليلا ولم تبقَ لدي سوى فرصة أخيرة. ومن مكتب للبريد في منغوليا الداخلية كنت أرسلت

برقية الى ليونارد وودكوك سفير الولايات المتحدة في بكين. وكان لدى السفارة ملف خاص بي بعدما أغرقتها برسائلي. وأعلمت السفير أني دخلت جمهورية الصين الشعبية واني سأكون في بكين في الحادي والعشرين من اغسطس (آب). وسألته بخفر أن يحصل لي على اذن من السلطات الصينية يخولني قطع الجدار من جيايوغوان الى رأس التنين القديم بالقرب من شانهايغوان. وركبنا القطار الى تايوان وأنا لم أفقد تفاؤلي وما برحت أقول لنفسي: "لا بد من أن يكون السفير تبلغ رسالتي."

"هل حياتك قطار سريع؟"

في بادالينغ جزء من الجدار يبعد ٦٥ كيلومتراً شمال بكين. انه الجزء "السياحي" من جدار الصين وهو جميل. وقد تم ترميمه ليبدو كما كان أصلا. وينتمي الى سلسلة جدران داخلية تختلف عن الجدار الخارجي القديم وتتعرج نحو مئة كيلومتر شمالا. الا أن السياح يؤخذون الى بادالينغ التي ملأت رسوم جدارها الكتب السياحية. وسرني أن أرى ذلك الجزء من جدار الاحلام وتفحصت الكيلومترات الخمسة التي رُممت وركضت فوق المعبر الذي يعلوها. وتابعت طريقي عبر عشرين كيلومتراً لم يأتِ عليها الترميم واستحال الجدار بعدها ركاماً.

ولما وصلنا الى بكين وجدت أن الصينيين رقوا لحالي. وهناك كان في انتظاري ترخيص بالسفر يمنحني فوق ما طلبت. وعوضاً عن الانطلاق من البوابة الغربية في جيايوغوان التي تبعد ١٦٠٠ كيلومتر بالطائرة عن بكين سمح لي البدء بمدينة كاشي التي تبعد ٣٤٠٠ كيلومتر عن العاصمة وتقع في أقصى غرب البلاد. ومن هناك أتوجه شرقاً الى البوابة الغربية وأتابع طريقي حتى البحر الاصفر.

وربما بدا من قبيل الجنون اضافة هذه المسافة الطويلة الى رحلتي المضنية. الا أن الذهاب الى كاشي من شأنه اضفاء المزيد من السحر على مغامرتي وعندما كنت طالباً في مدرسة "وست بوينت" العسكرية في نيويورك شئت اعداد اطروحتي حول جدار الصين. غير أن الادارة خيبتني بعدم موافقتها وطلبت مني اختيار موضوع آخر. ووقع اختياري على رحلات ماركو بولو. وهذا يعني الانطلاق من البندقية. ولكن بما أن ذلك الرحالة الشهير تابع طريقه شرقاً عبر درب الحرير غرب الصين ففي امكاني التصدي للجدار، كون الدرب المذكورة تحاذي الجدار من دونهوانغ الى لانجو مروراً برواق غانسو.

وهكذا وجدت حماسة في تحري درب الحرير. وبعد تخرجي في "وست بوينت" عام ١٩٣٢ أبحرت الى فرنسا حيث اشتريت دراجة نارية في شيربور وركبتها الى البندقية. ومن نقطة انطلاق ماركو بولو تابعت طريقي حتى بلغت جبل أرارات الارمني بالقرب من الحدود الايرانية.

وفي مراحل حياتي اللاحقة حاولت تحري طريق ماركو بولو أكثر فأكثر. وهكذا عبرت ايران وتسلقت الجبال

العالية على الحدود بين افغانستان وباكستان والصين. وكنت في العام ١٩٧٦ عبرت الحدود الصينية من دون تأشيرة دخول وأمضيت أياماً في كاشي على درب الحرير. وهناك أعلمت السلطات المختصة بوجودي فأعادتني الى باكستان بعد التدقيق في أوراقي. ومهما يكن فقد سرني أني بلغت ذلك الحد، اذ ان الذهاب الى كاشي ومن هناك شرقاً يعني اكمال طريق ماركو بولو.

والحق أن شغفي بالاسفار لم يرق كيتي ريكس التي تزوجتها عام ١٩٣٤، ناهيك بغيابي القسري عن البيت خلال سنوات الحرب التي أمضيتها في الصين وبورما. كما ان معظم عملي في سلاح الطيران بعد الحرب كان من قبيل العلاقات العامة مما حتم علي الانتقال من بلد الى آخر.

وهذا الانقطاع دفعني وزوجتي الى كتابة مئات الرسائل حتى اننا لم ننفك عن الكتابة وأنا في البيت. وكانت كيتي ريكس تعود الى تلك الرسائل خلال غيابي وتجد فيها عزاء كبيراً. ولا أنسى رحلتي الاخيرة قبيل اصابة زوجتي بالسرطان. فقد تبعتني الى السيارة وقبلتني ثم اعطتني رسالة وهي تقول: "لا تفتحها قبل المساء."

وفي تلك الرحلة ألقيت نحو ٧٥ خطاباً خلال تسعين امسية في أربعين ولاية أمريكية. ولدى عودتي الى الفندق كل مساء كنت أضع خطاً أحمر حول المدينة التي تكلمت فيها وبعد ذلك أسترسل في قراءة كلمات زوجتي:

"سكوتي الحبيب،

"أعرف تماماً أن السفر الدائم هو من صميم طبعك. ولكم أود لو كان لديك نصف هذا النزوع الى المكوث معنا في البيت. هلا تجاسرت على القول لنفسك انك سعيد لأن اولئك الذين حولك هم سعداء أيضاً؟ أتكون حياتك قطاراً سريعاً وأنت مسافر بسرعة ودونما توقف؟ ألا صبر لديك على الوقوف؟

"ان" القلوب التي تخفق لك، القلوب التي تحبك، لن تجدها البتة مرة اخرى. والايام القصيرة هذه ستمر سراعاً. فلماذا لا تتوقف، وان مرة واحدة، لتستريح قليلا من هذا الرحيل؟

"حبي لك على الدوام. كيتي ريكس."

تلك كانت رسالتها الاخيرة الي. ولقد قرأتها مرات لا تحصى.

كهوف وكنوز

ما أن حصلت على ترخيص السفر حتى طرت الى اورومكي للمرة الثانية. هناك أخبرتني الشابة التي تمثل المكتب الصيني للسياحة الدولية أن علي استئناف الرحلة بالحافلة. فليس هناك خط جوي يخترق جبال تيان شان.

لذلك، فبدلا من أن تأخذ الرحلة ساعتين جواً استغرق السفر بالحافلة النهار بطوله وردحاً من الليل. وكاد صبري أن ينفد من رحلة بدت بلا نهاية. ووسط ذلك القنوط تراءت لي منازل مبنية بالطين واشارة تحمل اسم "كاشي".

وصحوت من نومي في منتصف العصر وأنا في غرفتي في الفندق. ونظرت من نافذتها الوحيدة الصغيرة لأرى عالماً جديداً. لدى زيارتي الاولى غير الشرعية قبل أربع سنوات كان

الطقس شتاء وقد غطى الثلج الشوارع بأوساخها وغبارها. لكني الآن رأيت كاشي على حقيقتها: مدينة صحراوية تعج بالمناجم والمصانع التي تنفث الدخان والضباب والغبار عند سفح أعلى جبال العالم.

وعلى رغم نشاط السفن التجارية الصينية في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، فقد كانت تجارة الصين تعتمد في المقام الاول على قوافل الجمال عبر آسيا الوسطى. وكانت طريق القوافل تفضي من واحة الى اخرى مروراً بممالك صغيرة وبمدينة كاشي أيضاً. ولا تزال شوارع المدينة تعج بالحركة اليوم وقد اختلطت الجمال بالشاحنات والحافلات والدراجات الهوائية.

وغادرت المدينة بعد يومين من التجول فيها. وركبت حافلة في اتجاه خوتان أحد مراكز الحرير الرئيسية. واخترقت الحافلة خطاً متعرجاً في الصحراء طوله ٥٣٠ كيلومتراً يتصاعد منها الغبار. وكانت خوتان المرحلة الاخيرة في خطوط الحافلات والبرامج السياحية مما يعني أن الخطوة التالية في رحلتي كانت شاقة، اذ كيف لي أن أقطع مسافة ١٤٥٠ كيلومتراً شرقاً على درب الحرير في محاذاة سفح جبال كونلون؟

وتذكرت صورة انطبعت في ذهني لدى مشاهدتي رسم مجلة "ناشونال جيوغرافيك" عام ١٩٢٣. وكان في ذلك الرسم فتى في مثل سني آنذاك يقود قافلة من الجمال ذات السنامين على حافة الجدار. وبت كلما شاهدت جمالا على درب الحرير أتمنى أن يتاح لي اختراق الصحراء الى البوابة الغربية في جيايوغوان ضمن قافلة تعيد الي طيوفاً من رحلة ماركو بولو التي تمت قبل قرون.

ولكن قيل لي ان ذلك مستحيل. "فبعد انشاء الطرق المعبدة حلت الشاحنات محل الجمال." غير أني لم أفقد الأمل في العثور على جمّال عنيد لو لم تكن الرحلة بهذه الطريقة تستغرق وقتاً أطول مما يخولني اذن السفر.

وانضممت الى قافلة من عشر شاحنات تحمل كل منها طنّين من الحرير وهي في طريقها الى البوابة الغربية. وبقينا خمسة أيام من غير توقف يذكر. وكنا نقطع نحو ٣٢٠ كيلومتراً يومياً.

وفي اليوم الخامس بلغنا كهوفاً تبعد عشرين كيلومتراً خارج أسوار مدينة دونهوانغ. وكان جزء من الجدار يمتد الى هناك ويتجاوز جيايوغوان ولكن لا يمكن نعته بـ"العظيم" لأنه مصنوع من الطين المدكوك وقد تآكل الكثير منه بعد مضي قرون عليه. وكان بناؤه تم خلال حكم الامبراطور وو من سلالة هان وذلك بين العامين ١٤١ و٨٧ قبل الميلاد.

ورأيت علماً يلوح أمام مبنى. وقال مدير القافلة انه المكان الذي يستقبل فيه زوار تلك الكهوف. واذ وقفت أسأل عن غرفة وقع نظري على تشانغ جين وهو مسؤول في مكتب السياحة كنت رأيته قبل شهر في لانجو. وعرفني للحال وحصل لي على اذن بزيارة الكهوف قبل أن أطلب ذلك، علماً أن

لعلماء الآثار وحدهم حق زيارة ذلك المكان.

وفي تخوم دونهوانغ جرف يرتفع نحو ١٦٠٠متر وتتخلله كهوف تبلغ الخمسمئة وتحوي ما يزيد على الفي تمثال فضلا عن رسوم رائعة على الجدران والسقوف. وأخبرني عالم آثار يعمل على حفظ تلك الكنوز القصة الآتية التي ترجمها دليلي تشانغ جين:

"لمئات السنين بقيت قوافل الجمال تنطلق من دونهوانغ أو تقف فيها للتزود بالماء والحاجات الاخرى. وكان التاجر الثري يشتري ألف جمل ويكتري مئة رجل لقيادها والعناية بها ثم يحملها حريراً فاخراً قبل انطلاقها في رحلتها الشاقة. وطوال ثماني سنوات من مغادرتها دونهوانغ كانت أخبار القافلة تنقطع عن التاجر.

"وذلك حدا التجار على تكليف النحاتين اقامة نُصب لبوذا علّ الرحلة تتكلل بالنجاح. وبدلا من ابقاء التماثيل معرضة للعوامل الطبيعية التي لا ترحم فانها جُعلت ضمن كهوف تقيها."

وبعد زيارة الكهوف رافقني تشانغ جين في احدى الشاحنات الى جيايوغوان وقطعنا الطريق في محاذاة الجدار. وتبين لي أن معظم الجدار الذي أقامه الامبراطور وو في ذلك الطرف الغربي اختفى وبقيت أجزاء متقوضة منه هنا وهناك وقد بُنيت بالطين الذي جففته الشمس. ووجدنا عدداً من أبراج المراقبة التي تدل الشواهد على أنها كانت أساساً من طبقتين أو ثلاث طبقات قبل أن تتداعى وتنهار.

ولم تخف خيبتي على تشانغ جين، لكنه حثني على تشديد نفسي. ووعد بأن يأخذني اليوم التالي الى الحصن الذي تم ترميمه. وبالقرب من ذلك المكان قرية يقطنها الجمّالون مع جمالهم. وقال دليلي انه سيؤمن قافلة جمال لمرافقتي. وأويت الى النوم تلك الليلة وقد عاد الي حلمي القديم. وعقدت العزم على اكتراء قافلة جمال ذات سنامين مهما يكن الثمن، لأخلد بعض رحلتي برسم يشبه ذلك الذي انتزعته من المجلة الجغرافية عام ١٩٢٣.

القافلة

عند ذلك الحصن يبدأ جدار مينغ وهو الاسم الذي أطلق على ذلك الجزء من جدار الصين تمييزاً له عن جدار الامبراطور وو. ولا يزال جدار مينغ محافظاً على أهميته الاستراتيجية التي كانت له منذ بنائه عام ١٣٧٠.

وبر دليلي بوعده فأخذني الى الحصن في الصباح التالي. وكانت جمالي كلها هناك وهي قافلة من أحد عشر جملا من ذوات السنامين.

ولدى بلوغنا الحصن تم تعريفي على رجل صيني متوسط السن يرتدي سروالا من قطن أزرق خشن وفوقه سترة "ماو" خالية من أي شارة تدل على وظيفته الرسمية. لكني توقعت أن يكون مسؤولا رفيعاً في "جيش التحرير الشعبي". وبدا أنه يعرف الكثير عني وعن مهمتي العسكرية في الصين إبان الحرب العالمية الثانية. وتوجه الى غرفة في الحصن عاد منها بقبعة عسكرية صينية تبرز في

مقدمها نجمة حمراء كبيرة· وأعطاني اياها وقال بالصينية ما معناه: "ها أنذا أجعل منك عضواً فخرياً في جيش التحرير الشعبي·"

وانتزعت قبعة البيسبول الأمريكية عن رأسي ووضعت تلك الهدية مكانها· والحق أنها أعانتني في الايام اللاحقة·

امضينا اليوم الاول في جوار الحصن، وقد التُقطت لي صور وأنا أركب الجمل الامامي ووورائي الجمال العشرة الباقية في خط مستقيم أمام أسوار جدار الصين العظيم·

وسرعان ما وجدتني اطلع على خصوصيات الجمال وولعها بالمشاكسة· وكانت الفتاة التي تقود القافلة تنيخ جملي كلما شئت الركوب· وإذ اتقدم نحوه تشد الحبل وتتفوه بكلمات يبدو ان الجمل كان يعافها· فهو كان يشرئب ويصدر صوتاً مروعاً لم اعرف مثيلا له في حياتي· وكان صراخه يرتحل مسافة كيلومترات وأحياناً تنضم اليه الجمال الاخرى·

وفي النهاية كان جملي يرضخ على مضض، فيحني رأسه ثم يتفرس في صخور الصحراء أمامه قبل ان يخر على وجهه· وبعد ذلك كان ينزل قائمتيه الخلفيتين بعد ثنيهما، فأمتطي تلك الفجوة بين سناميه وأنا العن نفسي لما سببته لذلك المخلوق من عذاب وشكوى·

ولم يكن النزول عن ظهره بأخف مشقة من الصعود· وكنت في آخر النهار أتمنى لو كان لي سلم انزل عليها· وما البث ان ادعو الفتاة الى نجدتي وأنزل عن ظهر الجمل متحدياً قواعد الركوب والنزول التي مارسها

القوم آلاف السنين. ولا انسى كيف نظر الي كل من هناك بدهشة حين سألت الفتاة ان تمسك برأس الجمل فيما ركضت اليه من مسافة ستة أمتار وقفزت وتمسكت بقمة سنامية قبل ان مرر رجلي اليمنى فوق السنام الخلفي وأثبت وضعي في تلك الفرجة الطبيعية بين السنامين.

ولكن يبدو ان صعودي الى ظهره وهو غير بارك لم يرقه. وكثيراً ما أدار رأسه واستغرق في نواح طويل وهو ينظر الي باشمئزاز محاولا أن يبصق في وجهي من بين اسنانه الصفراء. وحاولتُ تمسيد عنقه استلطافاً لكنه عضني غير مرة.

وفي اي حال فقد كان اليوم الاول بمثابة امتحان للصبر والصمود. أما الرحلة الحقيقية فلم تبدأ قبل اليوم الثاني. وسرنا فوق الدرب الصفراء في محاذاة الجدار الذي تصلب بفعل الشمس والمطر عبر القرون. وفي بعض المواضع كان متآكلا الى حد كبير.

وعلى رغم خيبتي من جراء تداعي الجدار فقد سررت ايما سرور لعبوره ولمسه بيدي الاثنتين مرة بعد مرة. ولدى وقوفنا لالتقاط الصور كنت انزل عن الجمل وأقفز الى قمة الجدار وأمشي فوقه قليلا.

وسرعان ما وصلنا الى الشعاب الجبلية التي كانت باديء الامر فجوات صغيرة. ولكن ما ان بلغنا الواحة الاولى ذلك المساء حتى اختفى الجدار على نحو غير متوقع. وفي وقت باكر من الصباح التالي تناولنا البطيخ والشاي القوي وتابعنا طريقنا. غير أننا لم نصادف تتمة الجدار حتى الظلام.

وفي اليوم الثالث تبعناه مسافة ٥٥ كيلومتراً قبل ان يختفي من جديد. وأُريت على الخريطة ان معظم ما بقي من الجدار شمالا حتى لانجو لا يتجاوز بعض حجار متداعية. ونُصحت باعادة الجمّالين من حيث أتوا.

وأمن تشانغ جين سيارة تابعنا فيها الرحلة. وعقدنا العزم على اتباع الخط الرئيسي المعبد حتى نبلغ نقطة في الشمال ما زال الجدار فيها قائماً. ومن هناك نبحث عن طريق شمالية فرعية تفضي بنا الى الجدار، حتى إذا وجدته سرتُ على القدمين في اتجاهيه.

وهكذا كان. وعدت أمرر يديّ على الجدار وأنا اقطع كيلومتراً هنا وثمانية هناك، والتقط بعض الحجار الصغيرة تذكاراً.

وفي اليوم الرابع وصلنا، انا وتشانغ جين، الى السكة الحديد التي عبرتُها سابقاً نحو منغوليا الداخلية. هناك كانت لانجو الى الجنوب والجدار الى الشمال. وانعطفنا الى ممر ضيق اجتزنا عبره بضعة كيلومترات افضت بنا الى تلك الثغرة التي قفزتُ عندها من جانب الى آخر في القطار لتصوير الجدار عبثاً. وعرفت إذذاك سبب عدم رؤيتي الجدار، الا وهو عرض الثغرة الذي يبلغ تسعة كيلومترات.

كنا هناك في وقت متقدم من العصر ولكن كان علينا اكتشاف المكان. ووجد السائق ممراً في

محاذاة الجدار فيما نزلت وتشانغ جين من السيارة وتسلقنا الجدار ورحنا نقطعه ركضاً. ونظرت الى اسفل فتراءى لي النهر الأصفر وقد انعطف شرقاً ثم شمالا في رحلة الألف ميل التي تكون المنعطف العظيم. وبدا الجدار متعرجاً وهو ينحرف شمالا مع النهر، لكنه وراء ذلك تبع ضفة النهر نحو الافق في خط مستقيم. ولمست سطح الجدار العظيم مرة اخيرة قبل ان نتوجه في السيارة الى لانجو.

ورحت أرسم خطة لليوم التالي، حارصاً على الا يفوتني شيء من الجدار. ترى اذهب في سيارة اخرى تأخذني حتى الثغرة العريضة ومن هناك اتبع خط القطار قبل متابعة طريقي الى يينتشوان حيث تقوم ثغرة اخرى تسلقتُ عندها برج الاشارة في محطة القطارات؟ ومن هناك يتوجه القطار شمالا، فيما يتابع الجدار خطه شرقاً عبر سهل الاوردوس. اذاً يمكنني اتباع الجدار في سيارة.

في الظل

ما ان اشرقت شمس الصباح حتى ادركتُ اخفاق خطتي. ونزلت الى غرفة الطعام التي كانت تعج بالسياح. وقبل ان يأتيني خبر مكتب السياحة عرفتُ انه يستحيل على اجنبي بمفرده ان يأخذ سيارة وان جميع السيارات محجوزة.

وتكونت خطة بديلة في ذهني. وسألت مكتب السياحة ان يحصل لي على بطاقة تخولني ركوب القطار الى بكين مع التوقف في داتونغ. والمدينتان مذكورتان في ترخيص رحلتي. لكن المشكلة كانت أني قطعت الطريق نفسها مع السياح الامريكيين قبل شهر من غير ان ارى اثراً للجدار. غير اني الآن بت اعرف شيئاً وان قليلا عن طريقة عمل القطارات الصينية.

وفي انتظار البطاقة اليوم التالي رحت انظم صُرتي بعناية. وارتديت قميصاً "سياحياً" ملوناً واعتمرت قبعة البيسبول ثم توجهت الى محطة القطار وقد حملت الصرة الزرقاء كما لو كانت حقيبة ثياب. وفي ذلك لم ابد مختلفاً عن اي سائح آخر من اولئك الذين كانوا يملأون الباحة. وتوجهت الى موظفة شابة مسؤولة عن مراقبة البطاقات وكانت آلة التصوير تتدلى من عنقي. وبعد الصعود الى القطار كان على الموظفة نفسها ان تجمع البطاقات مما يعني ان الراكب يبقى اسير القطار حتى بلوغ غايته.

وهرعت الى مقصورتي في القطار مقفلا الباب ومنزلا الستائر. وانتزعت سروالي القطني الازرق من الصرة ومعه سترة "ماو" والقبعة العسكرية الصينية. وارتديت تلك الملابس بسرعة وخبأت شعري الرمادي تحت القبعة. ثم وضعت النظارتين الشمسيتين على عيني وانطلقت خارجاً الى الممر من غير ان يأتي احد سائلا عن اوراقي.

وعلى رغم كون الصين جمهورية شعبية إلا ان "الشعب" لا يتاح له ركوب تلك الاجزاء من القطار المخصصة للأجانب. اما الأجزاء المخصصة للركاب الصينيين فهي غير

مريحة وتقتصر على مقاعد خشبية او تختفي منها المقاعد كلياً. واخترقت بضع مقاصير سياحية حتى بلغت الجزء الصيني من القطار. وهناك اقتعدت الأرض رافعاً ركبتي وخافضاً رأسي.

ورويداً رويداً امتلأ المكان بالصينيين رجالا ونساء واطفالا يرتدون ثياباً كثيابي ويحملون اكياساً على غرار صرتي الزرقاء. وإذ اهتز القطار استعداداً للانطلاق انزلت قبعتي قليلا على وجهي.

وبقيت هناك ٣٢٠ كيلومتراً من غير ان يشك احد في امري. وعلى بعد ثلاثين كيلومتراً من يينتشوان رفعتُ رأسي لأرى رجل أمن ببزته البيضاء واقفاً هناك. وسمعت دقات قلبي داخل سترة "ماو". الا ان الضابط توجه الى القاطرة الملاصقة وعاد ليتحدث الى احد الاطفال قبل ان ينصرف.

وقبيل منتصف الليل خفت سرعة القطار استعداداً للوقوف. وترجلتُ وسط المسافرين الذين راحوا يجمعون امتعتهم. وحرصت على ان ابقى بينهم بعد خروجي الى المحطة. وهناك شاهدت رجل أمن آخر وهممت بالابتعاد عنه ما استطعت. لكنه لم يوقف احداً. وفي الباحة لم اجد اي حافلة او سيارة. وسار رفقاء الطريق شرقاً وعرفتُ الوجهة من النجوم. وتبعتهم وأنا احاول المشي بثقة خوفاً من افتضاح امري.

ولم انظر الى خريطتي طوال الرحلة لئلا يفشى سري. غير اني تعرفت على يينتشوان وضواحيها قبل وقت طويل. وكانت محطة القطار تبعد نحو تسعة كيلومترات ونصف كيلومتر غرب المدينة. وسرنا ساعتين قبل بلوغ المدينة وأنا حريص على البقاء وسط الجماعة من غير كلام. ووجدت فندقاً خاطبت موظفيه كما لو كنت حجزت مكاناً لنفسي قبل اشهر. وكنت احمل جواز سفري وترخيص الرحلة وقد انتزعت القبعة والنظارتين. وطرح علي الموظف الذي كاد النوم يغلب عليه سؤالا بالصينية فهمت منه انه يود ان يعرف ما اذا كنت احد افراد الرحلة السياحية. ويبدو ان الحظ اسعفني بوصول جماعة سياح في الوقت نفسه. فهززت رأسي ايجاباً واخذت منه مفتاح احدى الغرف.

وفي الصباح التالي كنتُ اتناول فطوري من كعك الرز والشاي عندما صادفت احد افراد الرحلة وهو ياباني. وبخليط من الانكليزية المكسرة واليابانية تناولنا برنامج رحلته. وافرحني جداً انهم ذاهبون من يينتشوان الى يولين في محاذاة الجدار. والمسافة بين المدينتين ٤٣٥ كيلومتراً في حين ان الجدار متقوض في نصفها على الأقل. وكان في حافلة صديقي الجديد بعض مقاعد خالية بسبب مرض اصاب عدداً من جماعته.

وهكذا انضممت الى الرحلة اليابانية لدى انطلاقها من يينتشوان بعد يومين. وسحبت خريطتي ودار حديث مفعم بالحيوية بيني وبين صديقي وأنا ادله على النقاط التي زرتها. وكثيراً ما ترجلنا من الحافلة والتقطنا الصور التذكارية أمام

الحطام. ومهما تكن حال الجدار، فهو كان يعني لي الكثير في اجزائه جميعاً.

وبلغنا يولين منتصف العصر واخذني اصدقائي اليابانيون الى فندق هناك. ولما غادرت حافلتهم نظرتُ لأرى ذراعين او ثلاثاً تلوح لي من كل نافذة.

جاسوس!

انطلقت صباحاً وأنا احاول ملاصقة الجدار والابتعاد عن الطريق الرئيسية. إلا ان الجدار ابى ان يرافقني طويلاً. وسرت بايقاع عسكري نشط يشمل ١٢٨ خطوة في الدقيقة. وهذا يعني قطع ستة كيلومترات ونصف كيلومتر في الساعة. غير ان الجدار نفسه انتهى بعد ثلاثة كيلومترات وربع كيلومتر.

وإذ ذاك دنوت من الطريق الرئيسية حيث اقتصرت حركة السير على عدد من الشاحنات. وجدير بالذكر ان منطقة الاوردوس قفر يملأه الغبار وتتناثر فيه قرى قليلة تحوي عدداً من اكواخ الطين المتجاورة.

وكنت كلما لمحت جزءاً من الجدار، مهما ساءت حاله، انحرف عن الطريق لأراه عن كثب. وذلك استغرق اليوم الاول كله في يولين. وافضى بي حطام الجدار الى نهر صغير فيما الشمس تغرب.

وعلى بعد ٤٠٠ متر من هناك شاهدت سحابة من الدخان تعلو احد الأكواخ. وتركت صرّتي وتوجهت الى ذلك المكان وهو منزل مؤلف من غرفتين بدا لي انهما شيدتا بالطين الأصفر نفسه الذي بني به الجدار. ووقف رجل امام البيت ينشل الماء من بئر، وحول المنزل مزروعات قليلة وبعض طيور الدجاج والحيوان التي اقيم حولها سور من طين. ودنوتُ من الرجل وأنا احييه بتلويح يدي واقول بالصينية: "بطيخ... ارجوك." وكنت اكلت البطيخ في كل مكان في الصين ووجدت انه يقويني طوال النهار.

ويبدو ان كلماتي الصينية التي جاءت بلكنة الجنوب الامريكي لم تعنِ شيئاً لذلك الرجل. وعندئذ اشرت بيدي الى البطيخ في حديقته واخرجتُ من جيبي اوراقاً نقدية صينية لاقول له اني اقصد شراء البطيخ. وفي تلك الأثناء تحلق حولي عدد من الأطفال. واخرجت بعض قطع الحلوى من جيبي مشيراً نحو الاولاد. وقطع الرجل رأس بطيخ من حديقته واعطاني اياه. واجزلت له الشكر وعدت الى حيث صرتي.

وغرفت الماء من النهر واشعلت النار في قطع من الحطب والاخشاب. ووضعت وعاء فيه ماء فوق النار واضفتُ الشاي الى الماء. وكان عشائي ذلك الشاي وبعض البطيخ. ثم تناولت من صرتي كيساً من دقيق الشوفان وبعض رقائق الشوكولاته

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارىء أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

تملأ القسيمة - بالعربية او الأجنبية - وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت . لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

التي صنعت خصيصاً لي في اريزونا اعتماداً على وصفة في حوزتي. وبعد ذلك سحبت كيس النوم وغفوت سريعاً.

وفي الصباح تناولت البطيخ والحلوى قبل ان اشرع في استكشاف الجدار. وارتضيت بالقليل الذي رأيته منه ذلك اليوم. ونحو المغيب توجهت الى منزل آخر واتبعت طريقة مماثلة للحصول على البطيخ. واكلت ونمت كما في الليلة الفائتة. وانقضى اليومان الثالث والرابع كسابقيهما. واذ اختفى اثر الجدار كله تقريباً رحت اسائل نفسي عن جدوى بقائي في تلك المنطقة.

وفي وقت متقدم من اليوم الرابع بلغت بلدة فوغو الصغيرة بعدما سرت مئتي كيلومتر على القدمين فضلا عن المسافة التي قطعتها مع السياح اليابانيين. وبذلك اجتزت معظم المنعطف العظيم على النهر الأصفر. واذ لم يكن هناك جسر عبرت النهر بقارب قديم يدفعه حبل في الماء.

وبعد ايام ثلاثة مشيت شرقاً ووصلت الى بلدة اخرى لم اجد في تخومها اثراً للجدار. في الأيام الذهبية القديمة كان الجدار يشكل حاجزاً من الشرق الى الغرب يصد هجمات الاعداء الشماليين. لكن اقساماً اخرى منه اقيمت بين الولايات المتناحرة. ومعظم تلك الاقسام يمتد من الشمال الى الجنوب. وظهر على خريطتي ان واحداً من تلك الاقسام ليس بعيداً عن حيث انا وانه جزء من جدار داخلي كبير رمم ايام حكم سلالة مينغ بين ١٣٦٨ و١٦٤٤. ووصلت الى ذلك الجزء ظهر اليوم الرابع الذي تلا انطلاقي من النهر الأصفر. وارتفعت معنوياتي كثيراً اذ رأيت ان ذلك الجدار مبني من الحجر وان ارتفاعه، كذلك عرضه، سبعة امتار ونصف متر. وبلغت بي الحماسة حداً جعلني اخرج السكين من صرتي وأحفر اسمي بالصينية مع ذكر العام ١٩٨٠ مستخدماً حجراً كمطرقة.

وبلغت عصر ذلك اليوم بلدة شوكسيان وفيها خط مزدوج للسكك الحديد يذهب الى داتونغ المدينة الثانية المذكورة في ترخيص السفر. وتبادر الى ذهني بادىء الامر ان في امكاني اخذ القطار الى داتونغ بسهولة كأن الامور كلها جرت كما ينبغي. الا ان شوكسيان لم تكن ضمن برنامج رحلتي الرسمي مما يعني انه لا يحق لي اخذ القطار منها الى داتونغ. ولم يكن لدي اي تفسير للطريقة التي وصلت فيها الى شوكسيان. لذلك رجوت ان يسعفني الحظ لأجد المخرج اللائق.

واستطعت اكتراء سيارة مع سائقها من غير إثارة الشكوك. وفي اليوم التالي قطعت ٦٥ كيلومتراً شمال الجدار حتى وصلت الى ياوزيشانغ وهي منطقة حلقت فوقها خلال الحرب. ووجدت نفسي مرة اخرى أمام الجزء الحجري من الجدار. وكانت هناك أبراج مراقبة تم ترميمها على غرار ما حصل بالنسبة الى جزء الجدار الواقع شمال بكين. ولم أستطع مقاومة رغبتي في حفر اسمي بالصينية في أفضل تلك الأبراج جميعاً، وكان ذلك وراء ياوزيشانغ.

وأمضيتُ بقية النهار استمتع بالمنظر وأنا أسير على قمة الجدار وألتقط بعض الصور. وبلغنا داتونغ مساء. وخلفت ورائي خمسة آلاف كيلومتر من الصين قطعت الكيلومترات المئتين الأخيرة منها على القدمين. ودخلت الفندق وأنا اتشوق الى الاستحمام والاستراحة يوماً أو اثنين. وقدمت أوراقي في مكتب السياحة وأنا على أتم استعداد لاستئناف رحلتي. ولكن ما أن دخلتُ المكتب حتى سمعتُ المترجم يذكر اسمي مرتين على الهاتف. ووقفت أصغي حسناً الى ما يقول. وسرعان ما دخل شخص في زي رجل أمن. وإذ ذاك بدأت أسوأ أيامي الصينية التي دامت نحو أسبوع.

"كيلروي مر من هنا"

اعترفت للمترجم بأني بدلت ملابسي لدى ركوبي القطار في لانجو مؤكداً حسن نيتي التي لم تتجاوز استكشاف الجدار. ورحت أدله على الطريق التي قطعتها والخريطة أمامي. ودهشت حين أخذ رجل الأمن يقيس المسافات على خريطته هو. ثم تذكرت أنّ تلك المنطقة التي تبعد بضع مئات الكيلومترات عن يينتشوان حيث تركت القطار ربما كانت المجال الحيوي للقذائف الصينية ذات الدفع الذاتي.

إذاً، لم تكن مديرية الأمن الداخلي لجمهورية الصين الشعبية تعالج أمر سائح غادر القطار بلا إذن، وإنما كانت تقف وجهاً لوجه أمام "جاسوس"!

في الأيام اللاحقة لم أكف عن إعطاء تفسيرات حول وصولي الى يينتشوان وكيف ركبت القطار مرتين الى منغوليا الداخلية وكيف تركت القطار لتتبع الجدار العظيم شرقاً. وأخذ المترجم وقتاً لفهم الرواية قبل نقلها الى الضابط.

وعرفت في ما بعد أن المسؤولين عن الأمن خابروا الفنادق التي حللت فيها في يينتشوان ويولين وشوكسيان. وفي هذه المدينة الأخيرة حيث اكتريت سيارة مع سائقها تمّ استجواب السائق.

ويبدو أنّ ضابط الأمن اهتمّ لخريطتي خصوصاً العلامات التي وضعتُها حيث حفرت اسمي. وأوضحتُ له اني قلدت بذلك ما رأيته في أجزاء الجدار الواقعة شمال بكين.

وفي الصباح التالي أوقظت من النوم باكراً. وظننت أني بت في قبضة العدالة الصينية. وطلب مني المترجم أن ارافقه هو وضابط الأمن في سيارة ذات لون كاكي لجيش التحرير الصيني. ولم يذكر أي شيء عن وجهتنا.

ودهشت لرؤية مرافقي يتصرفان على نحو هادىء ولائق. وجلست معهما في المقعد الأمامي فيما الضابط يتبع خريطتي غرباً خارج داتونغ. وبدا أنه كان متجهاً الى برج المراقبة الذي حفرت اسمي على حجاره.

وتذكرت عادة درج عليها الجنود الأمريكيون خلال الحرب العالمية الثانية إذ كانوا يكتبون على الجدران "كيلروي مر من هنا." وبذل المترجم

وحل الظلام قبل وصولنا الى داتونغ. وقصدنا مكتب السياحة على الفور وهناك أعيدت إليّ أوراقي.

نزهة مع "الجنرال لي"

في الصباح التالي وجدت ضابط الأمن ينتظرني. وبعد تحية حارّة عرفني على رجل صيني يرتدي ملابس زرقاء تشبه ملابسي. ولم يكن ذلك "السيد لي" بمدنيّ. والواقع أنّ خمسين سنة في الجيش كانت كافية لئلا أخدع من عسكري آخر. وكان اسمه كاسمي الأوسط وسميته بيني وبين نفسي "الجنرال لي". وكان أحياناً يبدو في الثلاثين وأحياناً في مثل سني على رغم خلو رأسه من أيّ خصلة شعر بيضاء.

ووضعت صرتي في المقعد الخلفي من سيارة "جيب" صينية حيث جلس السيد لي فيما جلست أنا في المقعد الأمامي مع السائق. ولم ادرِ الى أين

غاية جهده لنقل تلك الفكرة الى الضابط.

وبلغنا ذلك البرج ظهراً وتقدمت رفيقيّ الى حيث حفرت اسمي. ووقف الضابط يتفحص الكتابة ثمّ استدار نحوي مصافحاً وقائلا: "كيلروي مر من هنا." وأخذ يضحك بمرح.

وعدنا الى السيارة العسكرية. لكننا لم نذهب مباشرة الى داتونغ، بل الى الأماكن الاخرى حيث حفرت اسمي. وما انفك الضابط يتحدث الى المترجم الذي قال لي إن صاحبنا يذكر له أماكن صينية اخرى يجب ألا تفوتني.

كنا نذهب. وتبادر إلي أنهم يسوقونني الى بكين تحت نظر السيد لي. ولكن عوضاً عن الذهاب شرقاً نحو العاصمة انطلقت السيارة الى الشمال. وتنفست الصعداء وقد وضعت خريطتي أمامي. واتكأ السيد لي الى الأمام وخاطبني للمرة الاولى بلغة انكليزية ممتازة.

قال: "أنا الآن دليلك يا جنرال. تريد مشاهدة الجدار العظيم؟ فليكن لك ما تريد. ان جمهورية الصين الشعبية تودّ تحقيق رغبتك."

وظهر خط الجدار الرمادي الأزرق وأخذ يزداد وضوحاً. وسرعان ما أصبحنا على مسافة ١٢٠٠ متر منه. وأشار السيد لي الى الجبال أمامنا التي تقع ضمن الجدار وترتفع ٢١٠٠متر. وأضاف أن السيارة لا تستطيع اختراق ذلك الحصن: "من هناك علينا تدبُّر أمرنا شخصياً."

وأنزلنا حمولتنا ولاحظتُ أن مع رفيقي صرة شبيهة بالتي معي. وخيل إلي أنه رافقني الى هناك ليرى إن كان في استطاعة ذلك "الأمريكي المجنون" أن يجتاز الجدار فعلا.

وكان امتحاني الأول في تسلق الجبال. وعلى رغم أن المرحلة الاولى أوصلتنا الى ارتفاع ١٨٠٠ متر فان ذلك بدأ ثلاث مرات أكثر نظراً الى وعورة الأرض. وسرت على قمة الجدار ودليلي أمامي. وكلما بلغنا نقطة متداعية كنا ننزل ونبحث عن معبر للماشية نقطعه حتى النقطة التالية.

وعند الغروب وصلنا الى برج مراقبة في حال جيدة. وأنزل السيد لي صرته ووقف ينظر حوله. كانت الشمس تنحدر مثل كرة نار فوق ذلك الطرف من الجدار المسمى "رأس التنين". ووقفنا أمام ذلك المشهد الرائع.

وسحب السيد لي من صرته وعاء للشاي ومنصباً ثلاثي القوائم يعمل على الغاز المضغوط. وكان معظم عشائنا من الحلوى الأمريكية. ثم اضطجعنا ونمنا داخل البرج. ولم يحمل السيد لي معه أي طعام. وأظن أنه شاء اختبار قدرتي على الجوع أيضاً.

وفي الصباح مشينا حول البرج وقسنا قاعدته التي بلغت مساحتها ١٢ متراً مربعاً. وأوضح دليلي كيف تولى مهندسو سلالة مينغ صنع أساس البرج وذلك بحفر خنادق متوازية في الصوان يبعد أحدها عن الآخر سبعة أمتار ونصف متر، قبل أن يضعوا بينها حجاراً يبلغ طول كلّ منها أربعة أمتار وعرضه متراً وكثافته نصف متر. ولا عجب أن يبقى البرج قائماً على ذلك الأساس الصلب.

واستمرت رحلتي مع "الجنرال لي" أحد عشر يوماً على هذا المنوال، أمضينا ليلة واحدة منها في فندق وليلة اخرى لا أنساها ضمن اخدود تحت الجدار المتهدّم لجأنا إليه عند نقطة مرتفعة وقاية من البرد والمطر الغزير. وقطعنا نحو ٤٠٠ كيلومتر في أطرف أجزاء الجدار وأجمل المناظر طراً في الأرض.

ونادراً ما كنا نتحدّث ونحن نغذّ السير في محاذاة الجدار. لكننا كنا نبحث في أمور كثيرة بعد أن نحط رحالنا مساء. وكان السيد لي يتكلم

كمعلم شارحاً تاريخ المنطقة وطبيعتها. وفي المقابل أخبرته عن إعجابي بالجدار طوال حياتي، خصوصاً في ذلك اليوم من أيام الحرب عندما حلقتُ فوق رأس التنين القديم على البحر الأصفر وتبعت ظلي عبر الجزء الذي نجتازه الآن. ولدى عبوري السريع فوق رأس التنين ذلك اليوم شاهدت خمسة حروف صينية عملاقة على بوابة برج. وإذ لم أعرف قراءتها التقطتُ صورة لها. وحمض الشريط بعد عودتنا الى القاعدة. واضطر مترجمنا الميجور شو الى الاستعانة بالقاموس ليفهم معنى ذلك وهو: "البوابة الاولى في العالم."

وبدا أن "الجنرال لي" فهم كل ما قلته. وأوضح لي أن الصين كانت تعتبر نفسها هي العالم وتعد بكين مركز ذلك العالم. وبهذا المعنى ربما صح أن تلك البوابة على البحر الأصفر هي بوابة العالم الاولى. وهي كانت هكذا بالنسبة إلي.

وبلغنا نقطة تبعد ٣٧٠ كيلومتراً عن البحر الأصفر ولكن كان علي العودة الى بكين لتجديد إذن السفر. ورافقني السيد لي الى القطار حتى المقعد ولم يسلمني بطاقتي الجديدة الى أن صفر القطار إيذاناً بالرحيل.

رأس التنين القديم

استغرق إصدار الأذن الجديد وقتاً أطول مما توقعت. لكنه وصل أخيراً. وبفضل رسالة كتبها السيد لي حصلتُ على مساعدة جيش التحرير الصيني خلال البقية الباقية من رحلتي. وأخذوني الى النقطة عينها حيث قضيت ليلتي الأخيرة بمعية السيد لي. ومن هناك أمضيت أياماً ثلاثة قطعت خلالها ١١٠ كيلومترات الى بلدة صغيرة اسمها غوبيكو حيث كان الكابتن تشو في انتظاري.

ورفض في البدء السماح لي بقطع مسافة ال ٣٧٠ كيلومتراً على القدمين قائلا ان هناك شاحنة تعبر المسافة يومياً. وأوضحتُ له هدفي فبدا أنه قبل. وبت كلما وصلت الى فرجة في الجدار تخترقها طريق وجدت إحدى شاحنات الكابتن تشو العسكرية في انتظاري.

وكنت أقطع مسافة تراوح بين ٤٥ و٤٨ كيلومتراً يومياً. ومع وشوك تحقيق هدفي وجدت أن حلمي القديم ينتهي في حين لم أشأ له الانتهاء.

واتجهت أفكاري الى مئات الكيلومترات التي خلفتها ورائي وقد سرني أني لم أتوانَ في أي مرحلة منها. وهكذا كانت حياتي كلها فعلا: ألا أتمهل حين أستطيع الركض. أما الآن فوجدتني أفعل كل ما في وسعي لأطالة الرحلة، فأتوقف مثلا لالتقاط صورة حيث لا شيء يدعو الى التصوير.

وتوجهت نحو جياوشانغوان آي "المعبر الجبلي المقرّن" وهو قمة تبعد ٢٥ كيلومتراً عن الساحل كنتُ حلقتُ فوقها عام ١٩٤٤. وقررت أن اقضي ليلتي الأخيرة نائماً هناك.

وكنت كلما ارتقيت قمة توقعتُ أن أرى البحر الأصفر منها. وأخيراً جاء على غير انتظار. وكان الوقت مساء والسير على قمة الجدار حذراً. لذلك أنزلت الصرة عن ظهري ووقفت هناك

مكباً على رأس التنين الحجري الذي تبعته كل ّ تلك المسافة.

وجلست استعداداً للنوم وفي نفسي صراع بين مشاعر الانتصار ومشاعر الندم. وتملصت مراراً من كيس النوم وارتقيت الجدار العظيم بتؤدة لئلا يفوتني شيء من المشهد. وكنت أرقب الأنوار المتذبذبة في المدينة الساحلية عندما عبرت في خلدي صورة زوجتي كيتي ريكس. لقد مر على وفاتها تسع سنوات. وأظن أني كنت ألجأ الى تلك الامور الغريبة لكي أنسى واقعي. ولم تبرح صورتها

مخيلتي طوال تلك الليلة المؤرقة. وكنت اغمض عيني علي أراها وأسمع ما تريد قوله لي. والحق أني سمعت كلماتها الأخيرة وأدنيت اذني الى شفتيها وهي تقول: "أعرف أنك تود تحقيق تلك الامور على طريقتك. واني أفهم ذلك... أنا أفهم."

وانطلقت نحو سفح الجبل قبل شروق الشمس. وكان السير فجراً ضرباً من الغباء إذ كدتُ ان أهوي مراراً. أليس من الغباء أن أزل وأكسر رجلي في تلك المرحلة الأخيرة؟ ولما طلعت الشمس كنت قريباً من السفح. هناك كان معظم الجدار ركاماً الى أن بلغت الحصن في شانهايغوان وهو من الأمكنة التي أعيد بناؤها. هناك وقفت أمام الأحرف الصينية التي حُفرت قبل خمسمئة سنة: "البوابة الاولى في العالم."

وانتهى الجزء المرمم بعد مسافة قصيرة ملاصقة للطريق الساحلية العامة التي استحال الجدار خلفها أكواماً من طين. وقطعت ثلاثة كيلومترات ثم سرت خطوتين فخطوة أخيرة. ووجدتني واقفاً فوق شرفة رأس التنين القديم التي تعلو البحر. وسمعت الأمواج تتكسر على بعض الحجار القديمة التي كانت جزءاً من الجدار.

ورفعت قبعتي الزرقاء ولوحتُ بها تلويحة النصر أمام السماء التي كانت أكثر زرقة منها. وبعد ذلك ركضت فوق كثبان الرمل من رأس التنين القديم الى حيث تتكسر أمواج البحر الأصفر على جدار الصين العظيم.

■ **روبرت لي سكوت**

تأمّلات معاصِرة

الاعتراف بالخطأ

اعترف بأخطائك على نحو صريح ومرح، وشجع معارفك على الاعتراف بأخطائهم أيضاً. واياك أن تعاقب أو تنتقد بقسوة. بل تذكر أن الاطفال، إذ يتعلمون المشي، يسقطون مراراً. فاذا ضربت طفلا كلما سقط، وجدت أنه لن يكترث للمشي.

روبرت تاونسند

فسحات الايام

مهم جداً أن ينظم المرء حياته. ولكن لا يقل عن ذلك أهمية ابقاء فسحات في أيامنا لما يأتي عفواً وعلى حين غرة. ولطالما جاءت فرص الحياة الثمينة من غير انتظار وغيرت مجرى حياتنا نحو الافضل.

جان هيرسي

عطيّة الحب

انك لن تعرف معنى محبة الآخر لك الا بعد أن تختبر الحب وفقده. فاولئك الذين لم يحطمهم موت الحب لا يدركون مبلغ الأذى الذي قد يجرونه على سواهم، كما لا يقدّرون عطية الحب.

سيدني هاريس

الاهانة

افضل طريقة لتقبل اهانة هي تجاهلها. وإن لم تستطع تجاهلها فزايد عليها. وان عجزت عن المزايدة فاضحك. اما اذا لم تتمكن من الضحك، فربما كنت تستحقها.

رصل لينز

بنات الذهن

من الحكمة أن يبقي المرء قلماً وورقة في جيبه ليدون الافكار التي تأتيه عفو الخاطر. فالافكار التي تأتي من غير مشقة هي، في الغالب، أفضل بنات الذهن. وينبغي تدوينها فوراً لانها لا تعود.

فرنسيس بيكون، فيلسوف وكاتب بريطاني

الوحدة في حضور الآخرين

الوحدة التي نعانيها في حضور الآخرين تفوق تلك التي نعرفها في خلوتنا. ففي حضرة الآخر، وان يكن شخصاً نحبه، تبرز فوارق في الذوق والطبع والمزاج والنظر الى الامور. ويفقد واحدنا انطباعه الاصلي حيال الاشياء ليتساءل: "ترى ما موقف صديقي من الامر؟" أما في وحدتنا فنعرف مشاعرنا على حقيقتها.

ماي سارتون، شاعرة وروائية

التعليم والحس الانساني

التعليم هو توعية الآخر على الكلمات او على المشاكل والمشاغل وعلى الافكار، كذلك على القلق والحس الانساني. فالعالم مليء بالقلق، والحس الانساني هو الحل والجواب.

صامويل فريدمان

شهادة الاعداء

اعتراف المرء بمقدرة اعدائه امر ايجابي. فللأعداء كما لجميع مخلوقات الله تعالى هدف في الوجود. انهم ينقدون سلوكنا حيث لا يجرؤ الاصدقاء على نقده. كما انهم يعززون تقديرنا لذواتنا عبر كلامهم المستمر عنا.

روجر روزنبلات

الجبال العالية

الجبال العالية هي اوحش اماكن الارض بحيث لا يعيش فوقها كائن وقتاً طويلا. لكنها تضفي الحياة على اشياء الكون الاخرى وتخبىء تحتها حياة قديمة. والناس تجتذبهم الجبال لما توقظه فيهم من دهشة وخوف واجلال، وهي عواطف شبيهة بالدافع الذي يقود شخصاً الى مكان عبادة من غير ان يدري. وربما كانت هذه الامكنة كالمعابد تدعونا الى الغوص في مسائل الوجود الاساسية.

جون ريدر

الوقت

لكل امرىء علاقته الشخصية بالوقت. فالمنتظر يقيس الوقت، والمؤرخ يسجله، والمتبطل يقتله. ولكن مهما تكن علاقة الانسان مع الزمن، فقد اعطينا جميعاً مهلة واحدة، اذ ان اليوم مؤلف من ٢٤ ساعة والاسبوع من ١٦٨ ساعة. فلماذا لا نستغل هذه الساعات حسناً؟

دنيس هنسلي

الفتى والثور

أسمعت بالفتى الذي رأى ثوراً جامحاً يطارده وسط مرعى؟
لقد نظر هذا الفتى أمامه، فلم يجد مهرباً سوى شجرة دهرية يرتفع أدنى أغصانها ثلاثة أمتار عن الارض. وما كان منه الا ان ركض نحوها وقفز قفزة هائلة. فلم يبلغ الغصن وهو صاعد، لكنه بلغه وهو نازل.

حكيم مجهول

الانسان القديم

فيما ينظر عالم الآثار الى جمجمة، فانه يعرف أن صاحبها كان يعرف الاجوبة عن الاسئلة الكثيرة التي تحير فكره. وعلى رغم الفوارق الحضارية بين الاثنين، فان ذلك الانسان القديم لا بد من أن يكون اختبر أحاسيس ومشاعر مماثلة.

ايفور نويل هيوم، عالم آثار

في السرّاء والضرّاء

ربما كان العزم على المضيّ هو الذي يتيح الصمود لزيجات كثيرة. واذا صح ان العزم مرادف احياناً للفردية او للعناد، فهو مرادف ايضاً للحب وتكريس الذات. وتعاهد الزوجين على الاخلاص المتبادل في السراء والضراء لا يعني السراء فحسب، بل الضراء ايضاً التي من دونها لا تكتمل حياة.

جويس كولوني

رماد الحياة

اوثر ان اكون رماداً لا غباراً، لان الرماد هو انطفاء الحريق. كما افضل ان اكون نيزكاً متلألئاً لا كوكباً خامداً. فان وظيفة الانسان الصحيحة هي ان يحيا، لا ان يعيش.

جاك لندن، روائي امريكي

وفر التبريد لـ ٣ غرف نهارًا و ٣ غرف أخرى ليـلًا باستخدام جهاز خارجي واحد فقط

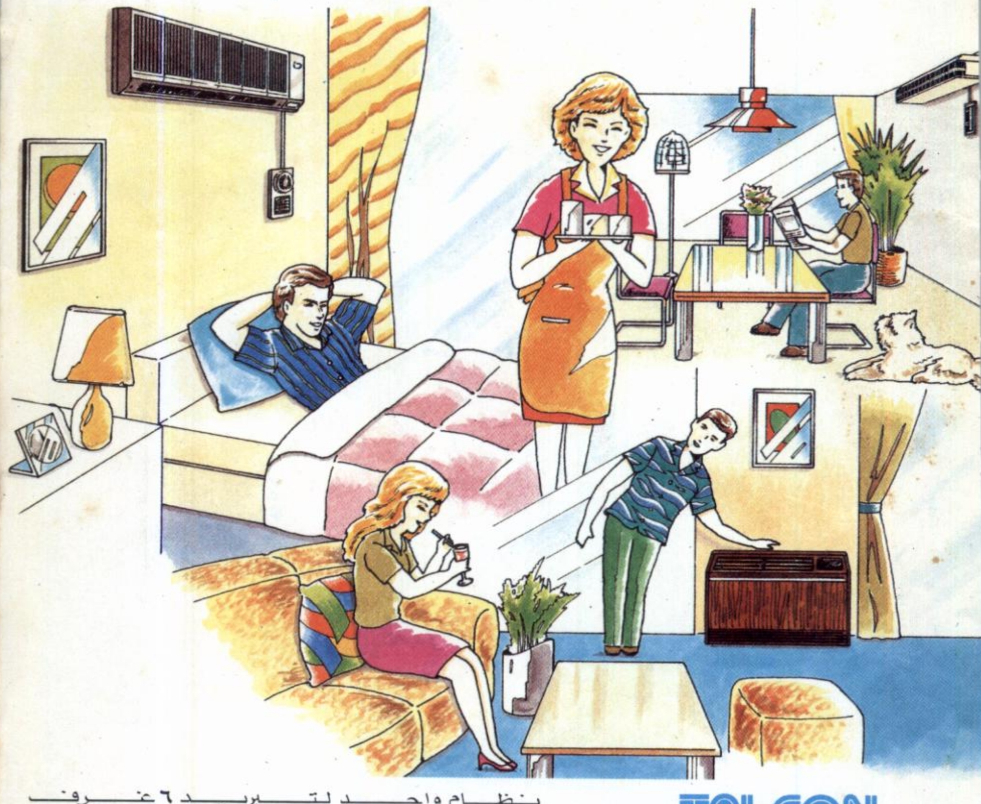

نظام واحد لتبريد ٦ غرف
بإمكانك خفض تكاليف وضوضاء معدات تكييف الهواء باستخدام تري-كون من سانيو. حيث يوفر جهاز خارجي واحد ٥٤,٠٠٠ بي تي يو/ساعة بالكامل لنظام من ٣ وحدات داخلية - وبالإمكان تحويله لتوفير نفس طاقة التبريد الى ٣ وحدات اخرى. وهكذا بإمكانك تبريد غرفة جلوسك وغرفة الطعام والمطبخ اثناء النهار وتبريد ٣ غرف نوم اثناء الليل - لضمان الرفاهية طوال النهار/ وطوال الليل للعائلة بكاملها.

٣ انواع من الوحدات الداخلية
للتأكد من أن أنظمة تري-كون مناسبة لاية غرفة فإن سانيو تتيح لك الإختيار بين الوحدات التي تثبت على السقف أو الحائط أو الأرضية - كل منها بأجهزة التحكم الخاصة بها. لكافة وحدات تري-كون الستة في الداخل.

تشغيل هادئ جدًا
تستخدم تري-كون كمبريسورات سانيو الرحوية الموثوقة والهادئة جدًا بحد ذاتها، كما ان وحدات تري-كون الداخلية لا تستخدم اية كمبريسورات بتاتًا. وبذلك فهي توفر تبريدًا هائلًا دون أية ضوضاء زائدة.

إستعمالات متنوعة إضافية
تفخر مكيفات هواء تري-كون باستعمالاتها المتنوعة دون خفض قدرتها على التبريد بحيث يمكن استخدامها في المكاتب والمطاعم.. الخ. اضافة الى المنازل لإبقاء ٣ غرف مكيفة الهواء في وقت واحد باستخدام جهاز خارجي واحد فقط.

TRI-CON

مكيّف هواء متعدّد الفواصل

اختر ما يناسبك من طراز الـ ٣ وحدات (كل وحدة توفر ١٨,٠٠٠ بي تي يو/ساعة)

SANYO سانيو